

التعريب



مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

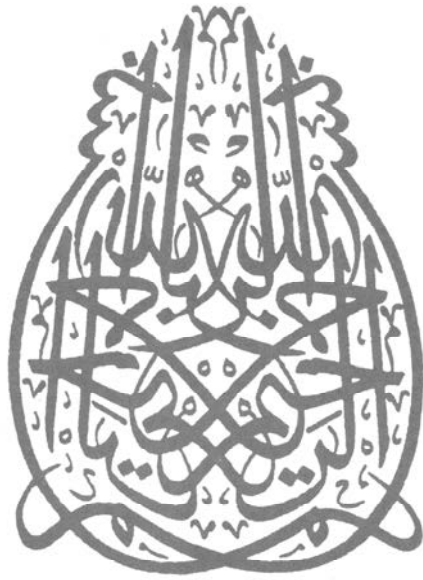
الأخـر
العـرـبـي
هـو
القـوـمـيـة

المنظمة
العربية
للتربية
والثقافة
والعلوم

48

شعبان 1436 هـ - حزيران (يونية) 2015 م

السنة الخامسة والعشرون
العدد الثامن والأربعون



﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الثامن والأربعون

حزيران (يونية) 2015

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور زيد إبراهيم العساف

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور مفيد جوخدار

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترايبي

الأستاذ الدكتور عدنان الحموي

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

الأستاذ شحادة الخوري

الأستاذ الدكتور عدنان سومان

مجالات اهتمام المجلة

إن اهتمامات المجلة مركزة في الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وترجمة الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية.

وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعياً في أحد المجالات التالية:

- تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
- بحوث مترجمة ودراسات في التعريب.
- التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
- من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
- عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
- الإعلام بالأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التنضيد والإخراج الفني حسنة تلو

التعريب: مجلة نصف سنوية مُحَكَّمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة

والتأليف والنشر بدمشق — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دمشق — ص.ب: 3752 — هاتف / 3334876 - www.acatap.org - E-mail: acatap2@gmail.com

السنة الأولى: 1991 — دمشق ع 2015/6/15

الاشتراك: قيمة الاشتراك السنوي: داخل الوطن العربي: 25 دولاراً أمريكياً

خارج الوطن العربي: 35 دولاراً أمريكياً

قيمة النسخة الواحدة بدون أجور البريد 5 دولارات أمريكية أو ما يعادلها

في هذا العدد

* افتتاحية العدد 7

* بحوث في اللغة والتعريب

● السياسة اللغوية وتنمية اللغة العربية 11

د. علي القاسمي

● مظاهر التعريب في صدر الإسلام 27

د. علي أحمد

* بحوث في المصطلحات

● وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق 45

د. ممدوح محمد خسارة

● التصاوغ 79

د. عبد الحلیم منصور

● استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضيع التاريخية والأثرية 95

أ. مصطفى غطيس

● ترجمة المصطلح اللساني عند محمد يحياتن 119

د. سيدي محمد بن مالك

*** بحوث في الترجمة**

- نظريات الترجمة 139
د. قاسم المقداد
- نظريات "الغرض" في الترجمة 155
د. ملكة أبيض
- المهارة في الترجمة 167
أ. د. محمد أحمد طجو
- الترجمة إلى العربية في زمن الرواد المعاصرين 177
د. عبد العزيز المقالح
- إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة 189
أ. سعيدة خيرة بن عمار

*** من أعلام الحضارة العربية الإسلامية**

- القيادة الإدارية في فكر الفارابي 213
د. أشرف صالح محمد سيد

*** من أنشطة المركز خلال النصف الأول من عام 2015 229**

*** قواعد النشر في المجلة 233**

*** إصدارات المركز من الكتب 237**

الافتتاحية

بقلم: أ. د. عبد الله حمد محارب

المدير العام

للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

إذا كانت اللغة هي وسيلة التواصل بين الناس في أمة واحدة، فإن الترجمة هي السفارة التي يجيد سفيرها وفادة لغة أخرى، واستقبالها، والتعاون معها لتقديمها إلى من يريد التعرف بها. وهي - الترجمة - من دون شك حاجة ملحة في الثقافة العالمية لتصل كل تردداتها إلى كل البلاد، وليست وليدة العصر الذي نعيشه الآن، بل ليست وليدة العصر العباسي واهتمام الخلفاء العباسيين بها فحسب، بل هي منذ أقدم الأزمنة، وإلا كيف تواصلت الأمم المختلفة اللغات؟!

نستطيع القول إن للترجمة أثراً في ألفاظ اللغات أيًا كانت، خففت العامية من جهة، وسمحت برفد المعاجم من جهة أخرى، لأنها تسدّ نقصاً في اللغة التي دخلت إليها وتصبح الجسر الذي يعبر عليه المثقفون والمتعلمون ليصلوا إلى العامة من الناس، قاطعين حواجز ومسافات ومزيلين كل الاختلافات بين الأمم وثقافاتهما.

إذن الترجمة موجودة منذ أقدم العصور، وتمثّل هذا بالاتصال بين الأمم ولو شفاهاً، لكنها مع التطور الذي أصاب المجتمعات صار لزاماً على المثقفين والجماعات والمؤسسات أن تبدأ عملية نقل الكلمات والألفاظ، والأدب والفكر والحضارة بطريقة منظمة ووفق قواعد وأحكام تنظم عملية الترجمة.. وكان العرب قد بدؤوا هذا في العصور العباسية، أو لنقل برز دور الترجمة واضحاً في هذه العصور؛ لأن ثمة دعماً قُدم للمترجمين وبدأت تتسع وتنتشر وترداد

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

الألفاظ التي تفيد حضارات لم يعرفها العرب كيلا تكتب اللغة بألفاظ دخيلة أو أعجمية، واستمرت عمليات الترجمة وما زالت حتى عصرنا هذا بل اتسعت أكثر فأكثر، وصارت لازمة وضرورية مع التقدم العلمي الخطر الذي نشهده.

لقد نشطت الترجمة بين اللغات جميعها في أصقاع الأرض، وصار القارئ قادراً على الاطلاع على الكثير من الكتب أو المقالات أو الأبحاث، وزاد هذا من ثقافته الفكرية واللغوية وحفّزه أكثر إلى معرفة ثقافات الأمم الأخرى وفكرها. كل هذا جعل الأدباء والكتّاب ينظمون عملية الترجمة، بل إنّ بعضهم وضع نظريات في الترجمة، وقوانين وأحكاماً يجب على المترجم أن يعرفها لتكون المادة المقدّمة صحيحة فكرياً ولغوياً. ولكن الكثيرين حذّروا من أخطاء الترجمة التي تقع في الإعلام وبعض الكتب، التي يُسرّع البعض إلى ترجمتها لأهميتها من دون أن يتحقق لترجمتها لغتان يجيدهما المترجم: لغته الأم واللغة المترجم عنها. وكثيرة هي الدراسات والأبحاث التي وقفت على هذا الجانب وحذرت منه.

من هنا كان حرصنا أن نخصص قسماً/جزءاً من هذا العدد للترجمة لكتّاب لهم جهود في الترجمة، عسى أن تكون الأبحاث المقدمة مادة علمية فيها من المعرفة والنظريات بقدر ما فيها من مهارات وفنون يجب أن يتقنها المترجم. وقد يكون مفيداً جداً أن يطّلع كل منا من خلال المقارنة بين نصين مترجمين على ترجمة المصطلح، ولاسيما إذا كان مترجماً من لغتين، كالفرنسية والإنكليزية، وهذا يقع على عاتق بعض المؤسسات التي لها صلة بالترجمة لتكون اللغة واحدة، وهذا بعض ما سنقرؤه في أبحاث هذا العدد الذي نرجو أن يقدم مادة علمية مهمة تكون خطوة إضافية في رقي لغتنا التي بها نعترّ.

والله ولي التوفيق.

بحوث في اللغة والتعريب

السياسة اللغوية وتنمية اللغة العربية

(تنمية الكتابة العربية نموذجاً)

د. علي القاسمي

العراق

السياسة اللغوية

السياسة اللغوية هي خطة علمية لتنظيم الشأن اللغوي. وتتولى الدولة عادة التخطيط اللغوي في البلاد لتحديد وظائف اللغات الوطنية والأجنبية، ومجالات استعمالها، والعلاقات بينها، وطرائق تنميتها أو محاصرتها والقضاء عليها. ومن الجائز أن تمارس التخطيط اللغوي السلطة المحلية في الولاية أو المقاطعة. كما يمكن أن تكون لكل منظمة دولية أو مؤسسة علمية سياستها اللغوية.

والسياسة اللغوية لا تتوقف عند وضعها وإعلانها، بل تحتاج إلى نقلها من مرحلة التفكير والتخطيط إلى مرحلة الفعل والتطبيق. والمرحلة الأخيرة تستلزم توفير المتطلبات والوسائل والأدوات اللازمة لتنفيذ الخطة، والتدخل الفعلي لضمان النتائج المتوخاة¹.

وتعد دراسة السياسة اللغوية فرعاً من علم اللغة الاجتماعي (اللسانيات الاجتماعية). ومعروف أن الدول كانت تمارس منذ القدم سياسات لغوية محددة سواء معلنة أو مضمرة،

¹ ولهذا فإن الفرنسيين يميزون بين التخطيط اللغوي *planification linguistique* وبين التدبير اللغوي *aménagement linguistique*، داخل السياسة اللغوية *Politique linguistique*، على حين أن الأمريكيين يستعملون مصطلحي *Language Policy* و *Language Planning* بوصفهما مترادفين، ولا يوجد مصطلح التدبير اللغوي عندهم، لأنه جزء من التخطيط.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

مقصودة أو عفوية. وما تعريب الدواوين التي كانت بالفارسية في العراق والبيزنطية في الشام زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت 68هـ/705م)، وما إنشاء بيت الحكمة في بغداد أيام الخليفة العباسي المأمون (ت 218هـ/833م) لترجمة علوم الهند وفلسفة اليونان وآداب الفرس، إلا مظاهر من مظاهر السياسة اللغوية التي اتبعتها الأمة الإسلامية لنشر لغة القرآن الكريم أساساً من أجل نهضة حضارية كبرى¹.

وتتضمن السياسة اللغوية إصدار القوانين والأنظمة اللازمة، وإنشاء مؤسسات رسمية أو غير رسمية لتنفيذ تلك الأنظمة والقوانين، وتطوير بنّيات جديدة ووسائل وأدوات للوفاء بالاحتياجات اللغوية المتجدّدة. ولمعظم الدول سياسات لغوية معلنة في دساتيرها أو قوانينها أو أحكام محاكمها. وقد أسس عالم اللسانيات الاجتماعية الكندي جاك كُليرك قبل سنوات طويلة موقعاً على الشبكة (الإنترنت) لجمع وترجمة وتصنيف السياسات اللغوية في بلدان العالم². وفي عام 1994، أصدر كتاباً في ستة مجلدات جمع فيه 470 من التشريعات اللغوية، نشرته جامعة لافال بتمويل من دائرة اللغة الفرنسية في مقاطعة كيوبك الكندية³. ويقدم ذلك الموقع الشبكي اليوم صورة عن الوضع اللغوي والسياسة اللغوية في أكثر من 350 ولاية ومقاطعة في 195 دولة معترفاً بها. ويشتمل هذا الموقع على معلومات عن اللغات في كل بلد، وأنظمتها الكتابية، واللغة الرسمية، والسكان، ونوع السياسة اللغوية ومنطلقها، وموقف الدولة من الأحادية أو الثنائية اللغوية أو التعدد اللغوي أو عدم التدخل في الشأن اللغوي. ومن الممكن البحث في هذا الموقع عن موضوعات لسانية مثل الأسر اللغوية، أو لغات العالم، أو التوزيع الجغرافي للغات، الخ.

وتتعرض السياسة اللغوية في الدولة على بقية سياساتها، كالسياسة التعليمية والسياسة

¹ للتفاصيل يُنظر: علي القاسمي، لغة الطفل العربي: دراسات في السياسة اللغوية وعلم اللغة النفسي (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2009) ص 13-45.

² www.l'amenagement linguistiques dans le monde.com.

³ Jacques Leclerc, *Recueil des législations linguistiques dans le monde* (Laval: Presses de l'Université Laval, 194).

..... السياسة اللغوية وتنمية اللغة العربية

الإعلامية والسياسة الاقتصادية وغيرها، بل حتى على أنظمتها الثانوية مثل نظام منح تأشيرة الدخول في أراضيها. فمعظم الدول الأوروبية، مثلاً، لا تمنح تأشيرة العمل إلا إذا كان طالبها يعرف اللغة الرسمية للدولة المستقبلية ويجتاز اختباراً لغوياً منمطاً. وكذلك معظم الدول الخليجية العربية، فهي لا تمنح تأشيرة عمل إلا لمن يعرف اللغة الإنكليزية، بأية رطانة كانت، هندية أو فلبينية أو نيبالية.

منطلقات السياسة اللغوية

تتطلق السياسات اللغوية المختلفة من خمس وجهات نظر متباينة:

الأولى: الإدماج اللغوي: وهو الاعتقاد بأن على كل مواطن أن يتكلم اللغة السائدة في المجتمع، بقطع النظر عن لغته الأم أو لغة الأقلية التي ينتمي إليها. وبذلك يتساوى جميع المواطنين في القدرة اللغوية والتواصلية، وهذا مما يحقق العدالة الاجتماعية، كما أن الصناعة بحاجة إلى لغة مشتركة تساعد على انتقال المعلومات بسرعة ويسر قصد تحقيق التنمية الاقتصادية الناجحة. ومن أمثلة ذلك، منطلقات السياسة اللغوية في فرنسا، و"حركة الإنكليزية فقط" في الولايات المتحدة الأمريكية.

الثانية: التعدد اللغوي: وهو الاعتقاد بضرورة تأمين الحقوق اللغوية لجميع المواطنين مهما تعددت أعراقهم وتباينت ألسنتهم. ويدعو هذا الاعتقاد إلى تنمية اللغات الوطنية على قدم المساواة. ومثال ذلك تعايش اللغات الألمانية والفرنسية والإيطالية والرومانشية في الاتحاد السويسري، حيث تُعدّ هذه اللغات لغات رسمية في البلاد ويتعلّمها الأطفال في المدارس. ووجهة النظر هذه مناقضة للأولى، إذ تقول بأن ضمان حقوق المواطنين بما فيها الحقوق اللغوية يُسهم في التنمية البشرية.

الثالثة: الإحياء اللغوي، الذي يعمل على إحياء لغة ميتة وتنميتها وتطويرها، لتكون اللغة الرسمية التي يتكلمها جميع المواطنين، ومن أمثلتها اللغة العبرية في إسرائيل ولغة الكشوة في البيرو.

الرابعة: التدمير اللغوي، الذي يسعى - عن قصد أو غير قصد، علناً أو سراً - إلى تدمير اللغة الوطنية أو لغة من لغات الأقليات، لتمكين لغة أخرى أو لغة أجنبية وجعلها اللغة الرسمية الفعلية في البلاد، ومن أمثلتها تدمير اللغة العربية الفصحى المشتركة في البلدان العربية من خلال سياساتها الإعلامية والتعليمية، لتمكين لغة المستعمر القديم - الإنكليزية أو الفرنسية - لتُستعمل في الإدارة والمؤسسات الاقتصادية والمالية والتعليم العالي وفي الحياة العامة في البلاد، بحجة أن اكتساب العلم لا يتم إلا بلغة العلم.

الخامسة: العالمية اللغوية: التي تعتمد البلاد بموجبها لغة عالمية وتفرضها لغة رسمية فيها، بسبب كثرة اللغات الوطنية، كما هو الحال في الهند التي يوجد فيها نحو 300 لغة وطنية، وفي الفلبين التي يتكلم سكانها أكثر من 85 لغة وطنية، فاختار البلدان اللغة الإنكليزية لغة رسمية فيهما، وتسعى سياستهما اللغوية إلى أن يتحدث جميع السكان بالإنكليزية.

مكانة اللغة

ونتيجة لهذه المنطلقات الفكرية، والسياسات اللغوية المبنية عليها والمنبثقة عنها، تختلف مكانة اللغة من بلاد إلى أخرى، ومن ولاية إلى أخرى في البلاد نفسها. وتتخذ هذه المكانة أحد الأوضاع التالية:

1. **لغة رسمية وحيدة:** كما هي مكانة اللغة الفرنسية في فرنسا، على الرغم من وجود لغات عربية أخرى في فرنسا تعترف الدولة بست منها هي: الألزاسية، والكتلانية، والكورسيكية، والبريتونية، والغالية، والأوكستانية، ولكن لا تستعملها مطلقاً.
2. **لغة رسمية مشاركة:** كالألمانية والفرنسية والإيطالية والرومانشية في الاتحاد السويسري، أو كاللغة الفرنسية في مقاطعة كيبيك في كندا.
3. **لغة رسمية محلية:** كما هو حال لغة الإيبو في نيجيريا.
4. **لغة مُرحَّب بها:** وتسعى الدولة إلى تطويرها والرفع من مكانتها في التعليم والإعلام والحياة العامة، مثل اللغة الفرنسية في بلدان المغرب "العربي"، والإنكليزية في بلدان المشرق

..... السياسة اللغوية وتنمية اللغة العربية

"العربي". ويسمى بعضها باللغة الثانية،

5. لغة غير مرحب بها: كاللغة المقدونية في اليونان.

6. لغة تُحتمل: مثل اللغة الإسبانية في ولاية نيومكسيكو الأمريكية.

أهداف السياسة اللغوية ومضامينها

إن كل سياسة لغوية توضّح الأهداف المتوخاة، والوسائل والأدوات الواجب استعمالها لتحقيق تلك الأهداف. وتتباين أهداف السياسات اللغوية ومضامينها من سياسة لغوية إلى أخرى. ويمكن أن يكون للسياسة اللغوية هدف أو أكثر من الأهداف التالية:

1. اختيار اسم اللغة: قد ترمي السياسة اللغوية إلى تبديل اسم اللغة أو تعديله. كما هو الحال في تسمية لغة البهاسا المستعملة في كلٍّ من دولتي إندونيسيا وماليزيا، بحيث تُسمى هذه اللغة بالإندونيسية في إندونيسيا، والماليزية في ماليزيا. وكذلك الحال في تسمية اللغات الصربية/البوسنة/الكرواتية التي هي لغة واحدة وتسمى بمسميات عديدة طبقاً للاختلافات السياسية والعرقية والدينية.

2. تبديل كتابة اللغة: وقد تقضي السياسة اللغوية بتبديل النظام الكتابي للغة، كالسياسة اللغوية التي اتبعتها مصطفى كمال أتاتورك (رئيس الجمهورية التركية من 1923-1938م)، وحدث بموجبها استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي في كتابة اللغة التركية.

3. نشر اللغة: قد ترمي السياسة اللغوية إلى نشر لغة ما في داخل البلاد وزيادة عدد الناطقين بها على حساب لغة أخرى، أو نشرها في الخارج وجعلها لغة عالمية، كما هي السياسة البريطانية منذ قرون، الهادفة إلى نشر اللغة الإنكليزية داخل الجزيرة البريطانية وتفضيلها على الاسكتلندية والويلزية والإيرلندية، ونشرها في الخارج لغة عالمية.

4. المحافظة على اللغة والحيلولة دون انقراضها: كالسياسة اللغوية التي اتبعتها سورية أخيراً في المحافظة على اللغة الآرامية التي نطق بها السيد المسيح (ع) والحيلولة دون انقراضها، وذلك بإنشاء معهد لتعليمها في بلدة معلولا الناطقة بالسريانية (التي هي مستوى

من مستويات الآرامية).

5. **تنقية اللغة:** كالسياسة اللغوية التي اعتمدتها الأكاديمية الإسبانية الملكية عند تأسيسها سنة 1713م، إذ كان هدفها المحافظة على المستوى اللغوي الذي بلغته اللغة القشتالية في القرن السادس عشر الميلادي، وصيانتها من أية ألفاظ دخيلة أو "منحطة"، فكان شعار الأكاديمية "تُنقّى، وتثبت، وتهب العظمة Limpia, fija y da splendor".

6. **تنمية اللغة:** وتشمل تنمية اللغة تطوير ألفاظها الحضارية والعلمية وتبسيط قواعدها وتيسير كتابتها وتوفير المدونات المتنوعة والبرامج الحاسوبية المختلفة لدراساتها، ونشرها في الشبكة (الإنترنت)، وغير ذلك مما يجعل منها لغة تستجيب لمتطلبات العصر ويسهل تعلّمها ونشرها.

السياسة اللغوية في العالم العربي

في كتابنا "السياسة الثقافية في العالم العربي"¹ توصلنا إلى اقتناع مفاده أن الممارسات اللغوية التي تتبعها البلدان العربية - عن قصد أو غير قصد - في الإدارة والتعليم والإعلام والتي درسناها وثائقياً وإحصائياً، لا تسعى إلى تنمية اللغة العربية الفصيحة المشتركة لتكون أداة للتكامل العربي والتنمية البشرية المنشودة، بل تتغيا تدمير هذه اللغة وإحلال اللهجات الدارجة لكل بلد عربي محلها (والتي يسمونها باعتزاز اللغة الوطنية فيقولون مثلاً: اللغة المصرية، اللغة العراقية، اللغة التونسية، وهكذا) أو إحلال لغة المستعمر القديم محلها (الإنكليزية أو الفرنسية).

إن أية سياسة لغوية مخرصة في البلدان العربية ينبغي أن تقوم على فرض استعمال اللغة العربية الفصيحة المشتركة في جميع مراحل التعليم ومختلف مستوياته وتخصصاته، وفي الإعلام، وفي جميع المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والمالية، وفي الحياة العامة، وأن

¹ علي القاسمي، السياسة الثقافية في العالم العربي (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2012).

..... السياسة اللغوية وتنمية اللغة العربية

تشتمل على المحاور التالية:

1. تنمية اللغة العربية الفصيحة المشتركة لتكون أداة للتنمية البشرية والتكامل بين البلدان العربية، وخازنة للتراث العربي الإسلامي.
2. نشر اللغة العربية الفصيحة المشتركة في الداخل بتعميم التعليم الإلزامي ومحو الأمية وترقية الثقافة العربية، ونشرها في الخارج.
3. المحافظة على اللغات الوطنية في البلدان العربية وتنميتها، كالأشورية في العراق، والسريانية في سورية، والأمازيغية في بلدان المغرب العربي.
4. تعليم اللغات الأجنبية في البلدان العربية.

تنمية اللغة العربية الفصيحة المشتركة

يتطلب النهوض باللغة العربية الفصيحة المشتركة خطة مفصلة تتضمن ما يلي:

1. إنشاء المؤسسات الرسمية ودعم المؤسسات الأهلية العاملة في مجال إنشاء المدونات النصية الحاسوبية المختلفة، وإنتاج البرامج الحاسوبية التحليلية والتركيبية اللازمة للبحث فيها. وحث مؤسسات الدولة، الإدارية والتعليمية والثقافية وغيرها على الإكثار من إنشاء المواقع العربية المختلفة على الشبكة (الإنترنت).
2. تصنيف المعاجم الحديثة بطريقة علمية، تستجيب لاحتياجات مختلف المستعملين: معاجم عامة، معاجم موسوعية، موسوعات ودوائر معارف، معاجم أحادية اللغة، معاجم ثنائية اللغة، معاجم للصغار، معاجم للكبار، معاجم تاريخية¹، الخ. فالمعجم أداة استيعاب اللغة وتعلمها.
3. تبسيط قواعد اللغة العربية وذلك ببحوث لغوية متعددة تقوم بها مجامع اللغة العربية والمؤسسات التربوية ومراكز البحوث.
4. إطلاق بحوث متعددة لتطوير طرائق حديثة لتعليم اللغة العربية في مختلف المستويات

¹ علي القاسمي، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2014) ص 410.

- التعليمية، للناطقين بها ولغير الناطقين بها.
5. **وضع الألفاظ العلمية والحضارية** التي ولّدتها المجامع اللغوية العربية وغيرها من المؤسسات المعنية موضع الاستعمال في التعليم العالي والبحث العلمي لتكون مصطلحات فعلية ولئلا تبقى مجرد مولّدات تحتضر على رفوف المكتبات.
6. **إصلاح الكتابة العربية**، بتوحيد قواعد الإملاء.

إصلاح الكتابة العربية

الكتابة العربية المشكولة هي نظام كتابي صوّاتي (فونيمي) كامل، ما عدا بعض الثغرات القليلة. ولهذا لا تحتاج مداخل المعجم العربي إلى رموز صوتية تساعد على نطقها بصورة صحيحة كتلك التي نجدها في المعاجم الإنكليزية والفرنسية¹.

بيد أن الكتابة العربية ابتليت - كاللغة العربية - بالازدواجية. فاللغة العربية المنطوقة تعاني الازدواجية من جرّاء وجود مستويين هما الفصحى والعامية مع فرق كبير بينهما، ولم تتبع بلداننا سياسات لغوية تقرّب العامية من الفصحى وتقلص الفرق عن طريق التعليم والإعلام. وهذا ما فعلته بلدان أخرى كالألمانيا التي نجحت في تعميم لغة مشتركة تحل محل اللغات الألمانية الثلاث التي كانت سائدة فيها في أوائل القرن التاسع عشر. والكتابة العربية تعاني الازدواجية المتمثلة في الاختلافات الإملائية من قطر إلى آخر، وفي وجود كتابة خاصة بالقرآن الكريم. ولم تعمل مجامعنا اللغوية الموقرة، وبالذات اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية المكرّم، على وضع حد لتلك الازدواجية الكتابية. وفيما يلي بيان لذلك.

الكتابة العربية العامة

¹ كان أستاذنا في جامعة تكساس في أوستن الدكتور Archibold A. Hill رئيس الجمعية اللغوية في الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك يقول: إن الكتابة العربية المشكولة هي أفضل نظام كتابي في العالم، وإن الكتابة الإنكليزية هي الأسوأ بعد الصينية.

..... السياسة اللغوية وتنمية اللغة العربية

تتعدد أسباب الازدواجية في الكتابة العربية ولعل أهمها ما يأتي:

1. أسباب علمية تاريخية: فكتابة الياء في آخر الكلمة على شكل ألف مقصورة جاء نتيجة لعدد المحارف المحدود في المطابع والآلات الكاتبة القديمة. فاضطر بعضهم إلى الاقتصار على حرف واحد لتمثيل الياء والألف المقصورة، فصرنا نكتب (على) ونعني بها (عليّ) و(على)، وأمسى الفهم طريقاً للقراءة وليس العكس.

2. كثرة الاستثناءات في قواعد الإملاء: فعلى الرغم من أن قاعدة كتابة الهمزة المتوسطة قد استقرت منذ قرون عديدة على الوجه التالي: "تنظر في حركة الهمزة والحرف الذي قبلها، ونكتبها على ما يناسب أقوى الحركتين. أقوى الحركات الكسرة وتناسبها النبرة، فالضمة ويناسبها الواو، فالفتحة ويناسبها الألف: بئر، سئل، نُبئتُ، سألَ، سؤال، مَسْئول¹". فإننا نجد أن العادات الكتابية والإملائية تختلف في تطبيق هذه القاعدة من بلد عربي إلى آخر. ويُعلّل الخروج عن تلك القاعدة بالاستثناء، فكلمة (هيئة) تُكتب في بعض البلدان (هيئة) استثناءً. وفي كتاب واحد نجد (مسؤول) و (رؤوس) تُكتب على شكل (مسئول) و(رؤوس) استثناء من القاعدة بسبب "كراهة تتابع الواوات"، كما يعللون، ولكننا نجد في الكتاب نفسه (فؤوس) و(كؤوس) تُكتب طبقاً للقاعدة. وهكذا تكاثرت الاستثناءات، حتى صارت هي القاعدة. ونحن نعلم أن الاستثناء يكون فيما سُمع عن العرب من الكلام المنطوق، وليس فيما نضع من قواعد لتيسير المکتوب. ويقول الباحث الدكتور عبد الحميد هرامة:

"وأكثر أخطائنا الإملائية يأتي من عدم الاتفاق على قواعد إملائية بصفة عامة وقواعد للهمزة بصفة خاصة، والاكتفاء بتقليد الكتب القديمة لسدّ هذه الحاجة غير كاف ولا مجد في عصر صارت فيه الكتابة الحاسوبية تتطلب دقة في القواعد واتفاقاً على تعميمها في برامج الكتابة وصناعة المدقق اللغوي الموحد للغة العربية"².

¹ علي القاسمي (المنسق) وآخرون. المعجم العربي الأساسي (تونس: الألكسو، 1989) المقدمة ص 53.

² عبد الحميد هرامة، "المدقق الإملائي ومشكلة الهمزة". بحث غير منشور.

كتابة القرآن الكريم

يتفق معظم الباحثين اليوم على أن الكتابة العربية قد أخذت من الكتابة النبطية المتأخرة التي كانت تخلو من الإعجام (تنقيط الحروف) ومن الشكل (الحركات: الفتحة، الكسرة، الضمة، السكون)، كما تخلو من الألف في وسط الكلمة (مثل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). وكان كتاب الوحي يكتبون آيات القرآن الكريم عند نزولها بتلك الكتابة، كما كُتبت رسائل النبي (ص) إلى الملوك بها كذلك.

الرسم العثماني

وقد أمر ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان (رض) (ت 35 هـ) بجمع القرآن الكريم وتدوينه في عدد من المصاحف ووزعها على الأمصار الإسلامية. وهكذا أطلق اسم "المصحف العثماني" على تلك المصاحف أو ما نُقل عنها. وسُمي رسمها بالرسم العثماني. وتتقسم آراء الفقهاء في "الرسم العثماني" إلى فريقين:

- فريق يرى أن الرسم العثماني توقيفي، يجب المحافظة عليه وعدم تعديله بأي شكل كان.
- وفريق يرى أن الرسم العثماني ليس توقيفياً عن الرسول (ص)، وإنما هو ما تلقته الأمة بالقبول، وارتضته، وحافظت عليه، وأصبح سُنة متبعة.

وهكذا، يرى كلا الفريقين المحافظة على الرسم العثماني. وجميع المصاحف المطبوعة اليوم تحمل عبارة "بالرسم العثماني". ويلخص كاتب مادة "الرسم العثماني" في موسوعة وكبيديا الشابكية الأسباب التي يسوقها الفقهاء في ضرورة المحافظة على الرسم العثماني بقوله:

1. الحفاظ على الرسم العثماني ضمان قوي لصيانة القرآن الكريم من التغيير والتبديل.
2. تبركاً بما رسمه أصحاب النبي (ص)... وانهقد عليه الإجماع في عهد الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين.

..... السياسة اللغوية وتنمية اللغة العربية

3. إنه الرسم الذي يحمل جميع وجوه القراءات¹.

وتشير النقطة الثالثة إلى وجود اختلافات في قراءة بعض الكلمات في القرآن الكريم فمثلاً: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ (سورة البقرة: 74)، قرأها بعض الصحابة والتابعين (عما يعملون). ولما كان الرسم العثماني غير منقوط، أصبح في وسع القارئ أن يقرأ بالوجهين (عما تعملون) أو (عما يعملون). ومثال آخر ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ (سورة الفاتحة: 1)، قرأها بعضهم (الحمد لله) وبعضهم الآخر (الحمد لله). ولما كان الرسم العثماني غير مشكول (الحمد لله)، صار في مقدور القارئ أن يقرأ بالوجوه الثلاثة. ويشير الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي إلى فضيلة الرسم العثماني وقدرته على حمل جميع وجوه القراءات، فيقول: "فلما رُسم المصحف العثماني بغير نقط وبغير تشكيل من حيث الفتحة أو الضمة أو الكسرة، أصبح برسمه وبشكله هذا يُقرأ على أوجه صحيحة ثابتة"².

وطبعاً إذا قرأ طالبٌ مسلم من غير الناطقين بالعربية في مصحف بالرسم العثماني: (عما نعملون)، فأحسب أننا نعدُّ قراءته هذه غير صحيحة ولا ثابتة. كما يتساءل المرء: أكان الاختلاف في القراءات القرآنية سيوجد لو كانت الكتابة العربية قد تطورت في زمن الرسول (ص) وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان (ر)، وكتب القرآن الكريم بالإعجام الكامل والشكل التام قبل جمعه*؟!

¹ مادة "الخط العربي" في وكيبيديا على الشابكة. وقد تكاثرت القراءات والقراءات الشاذة في القرآن الثاني الهجري، وهذا ما اضطر ابن ماجد (ت 324 هـ) إلى تأليف كتابه "كتاب السبعة في القراءات" الذي حققه المرحوم الدكتور شوقي ضيف، والذي اقتصر فيه على سبعة من القراء المشهورين. وهم: نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم وحمة والكساني الكوفيون. وهناك عشرات الكتب الأخرى في القراءات، وينظر كذلك العدد الرابع من المجلد السابع عشر من مجلة المورد العراقية (1409 هـ / 1988) وهو العدد الخاص بالدراسات القرآنية.

² سفر بن عبد الرحمن الحوالي، "الرسم العثماني واختلاف أوجه القراءات" في موقعه على الشابكة: www.alhawali.com

* وضع علماء القراءات شروطاً ثلاثة لقبول القراءة القرآنية هي:

وتؤيد المخطوطات القديمة للقرآن الكريم المحفوظة في متاحف العالم شرقاً وغرباً أن المصاحف التي نقلت عن المصحف العثماني تخلو من الشكل والإعجام. ويظهر ذلك واضحاً في مخطوطة طاشقند في أوزبكستان للقرآن الكريم الذي يُعتقد أنها أقدم مخطوطة للقرآن الكريم عُثر عليها حتى اليوم. وكانت هذه المخطوطة قد نقلت عن المصحف العثماني بالخط الكوفي في العراق في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وحملها الفاتحون المسلمون معهم إلى آسيا الوسطى¹. وهذه صفحة منها:



وكلُّ ما وافق وَجْهَ النَّحْوِ وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصحَّحَ إسناداً هو القرآنُ فهذه الثلاثة الأركان [المجلة]

¹ En.wikipedia.org/wiki/Samarkand_kufic_quran

* القسم الأخير من الآية 89 والقسم الأول من الآية 87 من سورة الأعراف [المجلة].

تطور الكتابة العربية

ونظراً للصعوبات التي تسببها الكتابة العربية غير المُعجّمة ولا المشكولة، فقد وجّه رابع الخلفاء الراشدين الإمام علي (كرم الله وجهه) أبا الأسود الدؤلي بإضافة الشكل والإعجام تيسيراً لتلاوة القرآن الكريم ونشره. فقام أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) بإضافة الحركات على شكل نقاط (الكسرة نقطة تحت الحرف، والفتحة نقطة فوق الحرف، والضمّة نقطة بعد الحرف) بمدادٍ لونه أحمر تمييزاً لها عن نقاط الحروف التي تكتب بمدادٍ لونه أسود، ولم يضع علامة للسكون. وتابع جهوده تلميذاه نصر بن عاصم الليثي (ت 89 هـ) ويحيى بن يعمر (129 هـ). وفي زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت 86 هـ) أُدخلت تحسينات أخرى على الكتابة العربية. ثم قام الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 هـ) برسم الحركات كما نستعملها اليوم للتمييز بين تنقيط الحركات وتنقيط الإعجام وليتمكن الناس من الكتابة بنفس لون المداد، وأضاف إليها السكون. وتوالت في أوقاتٍ لاحقة عمليات تطوير الكتابة العربية لتتضمن علامات مثل التاء المربوطة علامةً للتأنيث، والألف المقصورة، والهمزة بشكليها: همزة القطع وهمزة الوصل¹.

وخلاصة القول إن الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين رضي الله عنهم جميعاً هم الذين طوّروا الكتابة العربية وعدّلوا وحسنوا الرسم العثماني، لييسروا تلاوة القرآن الكريم. وإن ما نسميه بالرسم العثماني الذي تكتب فيه المصاحف الشريفة المنقوطة المشكولة اليوم، ليس هو الرسم العثماني غير المنقوط ولا المشكول الذي كُتبت فيه المصاحف العثمانية الأولى. بل هو رسم عثماني مُحسّن مطوّر. وهذه سُنّة الحياة. ويبدو أن جهود تحسين

¹ تُنظر الكتب المتعلقة بتطور النحو العربي والكتابة العربية وهي كثيرة مثل:

- رمزي منير بعلبكي، الكتابة العربية السامية (بيروت: دار العلم للملايين) نَفَذَ، وتكرّم المؤلف بتزويدي بنسخة رقمية.

- المختار ولد أبيه، تاريخ الخط العربي (الرباط: الإيسيسكو، 1996)

- مراد حسان صبحي، تاريخ الخط العربي بين الماضي والحاضر (طرابلس: الدار الجماهيرية، 2003)

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

الخط العربي وتطوير إملائه قد توقفت خلال ما نسميه بعصر الانحطاط، الذي مانت فيه روح الابتكار والتعديل والتحسين والتطوير. فأمسينا اليوم نتمسك بالقديم على نواقصه، وإضفاء القدسية عليه.

كتابة القرآن الكريم اليوم

إن القرآن الكريم هو **كلام** الله تعالى الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت: 42). وهو منزلٌ كلاماً على رسوله الأمين (ص). أما رسمه فهو صورة لذلك الكلام العظيم (لفظ "رسم" يعني هنا صورة أو كتابة). ويمكن أن تتعدد الصور للموضوع (الشيء أو الشخص) الواحد وتنبأين في جودتها ودقتها ووضوحها، تبعاً لمهارة الرسّام أو المصور، وطبقاً لتقدّم العصر وتطور الأدوات والتقنيات، أو غير ذلك. وبعبارة أخرى، فالكتابة هي نظامٌ رمزي مرئي للكلام المنطوق المسموع وليس الكلام نفسه. ويمكن أن يُرسم الكلام ذاته بأنظمة كتابية متباينة تختلف في درجة مقروئيتها. وقدسية القرآن الكريم نابعة من كلام الله تعالى، وليس من رسمه الذي وضعه بشرٌ يصيب ويخطئ.

ولهذا ينبغي أن يُرسم كلام الله تعالى بأفضل الأنظمة الكتابية العربية وطبقاً لأحسن القواعد الإملائية المتطورة، بُغية تيسير قراءته لأبنائنا الناشئين، وتجنبهم الوقوع في الخطأ عند تلاوته، وعدم إرباكهم بالفروق بين رسم اللغة العربية عموماً وبين رسم القرآن الكريم. ولكي نخلّص رسمه من الاختلافات الإملائية الموجودة فيه اليوم، مثل كتابة التاء مفتوحة في كلمة "امرأة" في سورة آل عمران (35) ومربوطة في سورة النساء (128)، وكتابة كلمة "رحمة" بتاء مربوطة في سورة الأنعام (147) وبتاء مفتوحة في سورة هود (73)، وتخليصه من الفروق في كتابة الألف الممدودة الطويلة التي تُنَبِّت في كلماتٍ وتُحذف من كلماتٍ أخرى، وغير ذلك من الأمثلة، ولتجنب المتعلمين من الناطقين بالعربية وغيرهم من الوقوع في خطأ تلاوة كلمات مثل (الصلاة) و(الزكاة التي تكتب في القرآن الكريم على شكل (الصلوة) و(الزكوة)).

..... السياسة اللغوية وتنمية اللغة العربية

إن الدعوة إلى المحافظة على الرسم العثماني للقرآن الكريم واعتبار هذا الرسم توقيفاً لا يمكن مخالفته وسنة لا يجوز تجاوزها، هي من مخلفات عهود الانحطاط عندما توقف العقل العربي عن الإبداع، وترك القديم على قدمه بلا تحسين ولا تطوير، وإضفاء القدسية عليه. لا بدّ لنا اليوم من كتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني مع جميع التعديلات والتحسينات التي طرأت على هذا الرسم على يد الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم. وقد بدأنا نشهد اليوم محاولات فردية لكتابة القرآن الكريم بالإملاء العربي الحديث لتيسير تلاوته، وهذا ما يدعو اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية الموقر إلى التدخل لتوحيد قواعد الإملاء العربي، وكتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني مع جميع التحسينات التي أدخلت عليه¹.

الخاتمة

إن السياسة اللغوية كبقية السياسات التعليمية والصحية والاقتصادية، تحتاج إلى إرادة مخلص، وتخطيط علمي قويم، وتنفيذ حازم أمين، بل هي أهم السياسات جميعاً لأنها الأساس والمنطلق في التنمية البشرية، بعد أساس العدالة الاجتماعية. والبلدان المحظوظة التي تسود فيها لغة مشتركة أو التي خطّطت لتسود فيها لغة مشتركة هي التي حقّقت التنمية البشرية المنشودة. أما البلدان التي شاء سوء حظها أن تتكاثر فيها عشرات اللغات، أو البلدان التي أهملت لغتها المشتركة الواحدة وسوّدت لغة أجنبية فيها، فهي اليوم في عداد البلدان المتخلفة التي تكثر فيها الاضطرابات الاجتماعية والسياسية.

وتقوم السياسة اللغوية الرشيدة على تنمية اللغة المشتركة وتعميمها في الحياة العامة، وفي التعليم في جميع مراحلها وتخصصاته، وفي الإعلام، وفي المؤسسات الاقتصادية والمالية؛

¹ من الإرهاصات للتخلي عن الرسم العثماني غير المعدل ما ورد في موقع بلال على الشابكة، إذ نجد ملاحظة هذا نصها: "هام: تم كتابة القرآن بصورة مناسبة للأغراض التعليمية والبحث، لذلك لم يتم استخدام الرسم العثماني". www.bilal-prayer.com/Quran/html، ولهذا ينبغي أن يتدخل اتحاد المجامع لتوحيد كتابة القرآن الكريم بالإملاء الكامل قبل أن تتكاثر المحاولات الفردية.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

وإنشاء المدونات النصية المختلفة دعماً للبحث اللغوي، وتنمية وجودها في الشبكة، وتشجيع الترجمة من اللغات العالمية إليها وبالعكس، وتطوير طرائق تدريسها، وتيسير نحوها وكتابتها. وفيما يخص اللغة العربية، ينبغي العمل على تخليصها من الازدواجية الموجودة بين اللهجات العامية والعربية الفصيحة المشتركة، ومن الازدواجية الكتابية المتمثلة بالاختلافات الإملائية بين البلدان العربية، وبالاختلافات الإملائية بين الكتابة العربية عموماً وبين كتابة القرآن الكريم.

مظاهر التعريب في صدر الإسلام

د. علي أحمد

جامعة دمشق

يشمل هذا البحث الحِقبة المعروفة بعصر الرسول الكريم (ص) والحِقبة التي تلتها وهي حِقبة الخلفاء الراشدين¹. فقد صنفت هذه الحِقبة بأنها الحِقبة الزمنية التي وضعت فيها أسس وجذور حركة التعريب على مختلف الصعد والاتجاهات. وكان للرسول العربي الكريم (ص) الدور الأكبر في وضع هذه الأسس الطيبة، لأنه (ص) كان يقود الأمة باتجاه الوصول إلى أعلى المراتب في التعاون والوحدة، وفي العلم والتفوق وفي الخلق الكريم واحترام الآخر.

فهذه الموضوعات وغيرها هي التي كوَّنت ما يسمى بثقافة التعريب، التي ازدهرت ازدهاراً لافتاً في العصر الأموي والعصر العباسي الأول، وفي معظم دول العرب، التي ظهرت في المغرب الكبير والأندلس. وكان كل من أسهم في استمرار حركة التعريب في العصور الوسطى، يعتمد اعتماداً كبيراً على مسيرة النبي العربي الكريم في هذا الموضوع الحيوي المهم، لأنها مسيرة شملت العناية الإلهية بالتأييد والتشجيع، ذلك أن الله سبحانه وتعالى أكرم الرسول العربي الكريم (ص)، بأن أنزل عليه القرآن باللغة العربية لأنه من العرب، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾². وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى اصطفى أمة العرب من بقية الأمم، وأعطاهما هذا الشرف العظيم، وأرادها أن تكون أمة خير ومحبة وعلم وتسامح، لكنها، وبالأأسف، لم تكن على قدر هذا الاصطفاء والعطاء، وربما الذي جعلها كذلك

¹ بدأت هذه الحقبة سنة 1هـ/622م وانتهت في سنة 41هـ/662م.

² سورة يوسف، الآية 12.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

هو تهاونها مع غير العرب من ترك وأوروبيين وغيرهم، فعملوا بكل قواهم على ضرب حركة التعريب في كل لحظة وجدها مناسبة وما زالوا حتى يوم الناس هذا.

إن اختيار العناية الإلهية الرسول الكريم (ص) ليكون خاتم رسله إلى البشر، اختياره من العرب، هو شرف عظيم للأمة العربية لا يوازيه شرف على الإطلاق، وهذا مما يوجب على الأمة أن تسعى على الدوام لَتَبَوُّوْ مكانة لاثقة في التعاون والوحدة والعلم والخلق الكريم، تتوازي مع هذا الشرف العظيم، الذي منحه الله لها باختيار الرسول (ص) لأن يكون من أمة العرب. ذلك لأن الرسول (ص)، كان رائداً في العلم ورائداً في السعي على طريق توحيد الأمة العربية، ورائداً في نقلها من مرحلة الضعف والهزيمة إلى مرحلة القوة والانتصار، ورائداً في الخلق الكريم، ورائداً في معاملته الإنسانية للجميع على أساس المواطنة العربية، ورائداً في كل شيء يعود على البشر بالفائدة والنفع وحصول المحبة والوئام.

إن مجيء الرسول (ص) إلى أمة العرب، هو بحد ذاته مكرمة ربانية، هدفت إلى جمع شمل العرب الذين عانوا من التداير والافتراق والاختلاف الشيء الكثير، وجعلهم قوة عربية واحدة لها أهدافها واستراتيجيتها الواضحة، بما يحقق المصالح العليا للأمة على مر الزمن، دون الإضرار أو التعرض بالأذى لمصالح الأمم الأخرى، وهي ميزة إيجابية في مسيرة التعريب، التي مثلها بصدق وأمانة وإخلاص الرسول الكريم (ص). لذلك فإن ما قام به منذ أن جاء إلى الدنيا حتى آخر لحظة في حياته، كان من أجل مصلحة أمته للوصول بها إلى العروة الوثقى. ومع ذلك لا بد من ذكر بعض مواقفه الخالدة على طريق حركة التعريب، التي كوَّنت محور نشاطه العام، ذلك لأنه (ص) كان يريد أن ينطلق من العرب إلى بقية شعوب العالم.

ففي عصر الرسول الكريم (ص) والخلفاء الراشدين، رسمت الخطوط الكبرى لحركة التعريب، وحددت مفاصلها الرئيسية، التي كانت متنوعة حتى شملت وجوه الحياة كافة، وذلك دون التعرض بالأذية لأية فئة من غير العرب، لأن العروبة بثوبها الإسلامي تحترم وتقدر جميع الناس، وتؤمن بقوة بحقوقهم في الحياة والحرية والأمان والاستقرار. وقد تجلى ذلك الواقع

..... مظاهر التعريب في صدر الإسلام

الإيجابي في تصرفات الرسول الكريم (ص)، وسياساته العامة واعتزازه بالعرب، وكذلك في سياسات وتصرفات الخلفاء الراشدين، وبخاصة في ميدان الحرص على جعل المنطقة في الشام ومصر والعراق، تسير على خطا التعريب نتيجة عمليات تصفية الجيوب البيزنطية والفارسية.

فقد ولد الرسول الكريم (ص) ونشأ في بيئة عربية خالصة، كان أهلها يشعرون بمطامح الفرس والروم في أوطانهم، وهذا ما أدى إلى ظهور الروح القومية، وبخاصة في اليمن بعد أن استولى عليها الأحباش. وزاد من لهيب الشعور القومي هزيمة أبرهة في مكة المكرمة، وهذا ما أعطى اليمنيين دافعاً قوياً إلى مناوأتهم والتصدي لهم بكل الوسائل. واستطاع سيف بن ذي يزن الحميري أن يلحق الهزيمة في صفوفهم، وأن يطردهم من الديار العربية¹.

وحينما انتصر العرب على الفرس في موقعة ذي قار سنة 609م، فرح الرسول الكريم (ص) فرحاً شديداً، وعبر عن ذلك بقوله: "هذا أول يوم انتصف العرب فيه من العجم" ... وكان بذلك يعبر عن أمني العرب جميعاً في التحرر والانعقاد من السيطرة الفارسية المطلقة².

ومع أنّ خروج الرسول الكريم (ص) من مكة المكرمة كان رُغم إرادته، فإنها بقيت ماثلة في فكره وقلبه ودخل دائرة حبه واهتمامه، وهذا ما جعله يدعو الله مدة ثمانية عشر شهراً، كي يأمره بالصلاة باتجاهها، فاستجاب الله لرسوله في الخامس عشر من شعبان. وكان الرسول الكريم (ص) يهدف من وراء ذلك، أن يشعر أهل مكة المكرمة بأهمية مدينتهم للعرب، وأنه لا بد من عودته إليها، بعد أن أصبحت قبلة عربية، يرتضيها ويقبل بها عرب الجزيرة العربية، باعتبار أنها كانت في الماضي عاصمة الوثنية العربية، ولا مانع أن تظل العاصمة الروحية في ظل دولة الإسلام، التي اتخذت من المدينة المنورة عاصمة لها على الصعيد السياسي،

¹ السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ عصر ما قبل الإسلام، ج1، طبعة الإسكندرية، 1968، ص569 وما بعدها.

² المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص278. ابن الأثير-الكامل، ج1، ص285.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

والآن أصبحت مكة المكرمة المركز الروحي الأول للعرب المسلمين¹.

وقيل إن الرسول الكريم (ص) كان دوماً يعتز بأصله العربي الصريح، ويدعو بحرارة إلى محبة العرب، فقد ذكر أنه قال: "من أحب العرب فبحبه لي"، لأن الله سبحانه وتعالى، اختاره لأن يكون من أصل عربي، وأنزل عليه القرآن بلسان عربي مبين.

هذا وقد بدأت مشاريعه العربية من الأيام الأولى لوصوله إلى المدينة المنورة، فقد وضع الصحيفة (الدستور) التي تنظم الحياة العامة في الدولة الجديدة، وكان من أهم بنود هذه الصحيفة، البند الذي يؤكد احترام الآخر، الذي تمثل آنذاك باليهود والنصارى، وهو واقع اشتهر به العرب دون غيرهم من الأمم، لأن الرسول الكريم (ص) كان يؤسس لدولة عربية، تمتلك كل أساليب ومتطلبات الدولة القيادية، التي تستوعب جميع العناصر على اختلاف دياناتهم وأعراقهم، وهذا ما ظهر جلياً حينما استقبل (ص) بالمدينة المنورة كبير أساقفة نجران، وأجرى معه محادثات مطولة، تخللتها كل الوسائل الدبلوماسية ومظاهر الاحترام للآخر، لأن الرسول الكريم (ص) كان ينطلق في ذلك من حق المواطنة العربية، التي تمتع بها كبير الأساقفة السابق الذكر، وهي حق من حقوقه².

لكن العملية التي كان لها أثرها الكبير في حركة التعريب، هي عملية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، أي بين المهاجرين من مكة المكرمة وبين أهل المدينة المنورة من الأوس والخزرج. والمؤاخاة بحد ذاتها هي عملية إنسانية نبيلة في كل المقاييس، لأنها تقضي بإقامة صروح قوية من التعاون والتعاقد بين هاتين المجموعتين، أدت إلى توحيد القوى العربية التي كانت بالأمس متنافرة ومتقاتلة، وإلى جعل الأعداء في الداخل والخارج يحسبون حسابات جديدة، لم تكن في أذهانهم قبل عملية المؤاخاة هذه، لأن الذين تأخوا أصبحوا بفضل المؤاخاة قوة عربية كوَّنت نواة الدولة العربية، التي ستقوى مع مرور الأيام لتصبح سيادة

¹ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص274.

² انظر عن ذلك كتب السيرة النبوية، وكتب التاريخ العام التي اهتمت بهذه المسألة.

الموقف في الجزيرة العربية¹.

وبموجب عملية المؤاخاة والصحيفة (الدستور)، زال من الوجود في زمن الرسول (ص) نظام القبيلة، وحل محله ما يسمى اتحاد العرب في دولة واحدة موحدة كما قال الله تعالى للعرب ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾²، وهي أمة لا يعترف فيها بالعصبية والقبلية والجاهلية، لأنها تقوم على التعاون والاندماج من أجل تحقيق مصالح الأمة العليا في كل مجالات الحياة، والدفاع عنها في زمن الخطر الخارجي والداخلي.

ولكن هذه الدولة العربية الجديدة، اصطدمت بعقبات داخلية كبيرة كان على قائدها الرسول الكريم (ص)، أن يزيلها بالسرعة الممكنة لخطرها على الدولة بحكم قربها. من ذلك أنه أنزل ضربة كبيرة بالأحزاب في السنة الخامسة للهجرة، وقد تألفت هذه الأحزاب من تجمعات قبلية مناوئة لما يجري على صعيد تكوين الدولة العربية. ثم أتبع ذلك بتوجيه ضربة حاسمة للتجمعات اليهودية، التي لم تستطع أن تتعايش مع الدولة العربية الجديدة، مع أن اليهود أعطوا كل متطلبات الأمان والاستقرار والعيش الكريم في الصحيفة (الدستور) التي اعتمدها الرسول (ص) في دولته بالمدينة المنورة. تلا ذلك عقد صلح الحديبية مع المكيين، وذلك لمدة عشر سنوات، استطاع العرب خلالها بقيادة الرسول (ص) تقوية جبهتهم في كل مكان، وهذا ما حصل على أرض الواقع³، وذلك بتوجيه كتب إلى كل الدول المجاورة في الشمال والجنوب للدخول والاشتراك في عملية بناء الدولة العربية الجديدة. وكان ذلك بداية جيدة للوصول إلى النتيجة التي تجلت بعام الوفود، ثم بعد ذلك بفتح مكة المكرمة، وبغزوة تبوك. فعام الوفود هو السنة التاسعة للهجرة، وفيها جاءت وفود القبائل إلى المدينة المنورة، لتعلن الولاء للدولة

¹ ابن هشام، السيرة ج1، ص501. ابن حزم - جوامع السيرة، ص96.

² القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 110.

³ أحمد إبراهيم الشريف، الدولة الإسلامية الأولى، ص210 وما بعدها.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

العربية الجديدة، أما فتح مكة المكرمة فقد وضع حدا للتمرد واندماج المكين في مسيرة الدولة الجديدة بقيادة الرسول (ص). كذلك الأمر فيما يخص غزوة تبوك التي حققت دخول تبوك وما حولها في المسيرة الجديدة¹ ذلك لأن تبوك ومؤتة وما حولها في جنوب الشام، كانت الهاجس الأول للرسول الكريم (ص)، لأنه كان يحلم بتحريرها من البيزنطيين، الذين كانوا العقبة الكبيرة في سبيل انطلاق التعريب خارج الجزيرة العربية.

وقد حرص الرسول الكريم (ص) على استمرار العرب في الحكم من بعده، وألحَّ على العرب الذين شغلوا دوراً إيجابياً في نجاح دعوته، وأشار إلى الخلافة يجب أن تكون في قريش بقوله: "الأئمة من قريش"، وذلك اعترافاً بفضل قريش في خدمة اللغة العربية، وريادتها في هذا المجال الحيوي، وأوصى القرشيين بأن يحسنوا إلى الأنصار، وأن يتجاوزوا عن المسيئين منهم، لأنهم كانوا عنده بالمرتبة الثانية بعد القرشيين، اعترافاً بجميلهم وحسن أدائهم في الأيام الصعبة من حياة الرسول (ص) الكفاحية. وقد استغل المجتمعون في سقيفة بني ساعدة قول رسول الله (ص) هذا، واعتمدوا عليه في تبرير ما قرروه في هذه السقيفة، من انتخاب أبي بكر للخلافة، واستبعاد كل المرشحين الآخرين كالإمام علي بن أبي طالب، وسعد بن عباد زعيم الأنصار².

وإذا كان الرسول الكريم (ص) قد أوصى بذلك، فإن هذه الوصية على المستوى الظاهري، تتناقض مع قوله (ص) في حجة الوداع: "ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم اشهد". لكن ابن خلدون برر بقوة حق قريش في القيادة والسياسة والإدارة، وانطلق في ذلك من مفهومه المعروف بتأثير العصبية القبلية حينما تكون القبيلة قوية، وهذا ما توفر عند قبيلة قريش، التي كانت عصبية قوية كثيرة العدد، وكانت مجتمعة حول استراتيجية واضحة، ودليل ذلك أن سائر العرب، كانوا يعترفون لقريش بالقوة والسيطرة والقيادة والغلبة،

¹ البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص82.

² تاريخ الطبري، ج3، ص 199- السيوطي، تاريخ الخلفاء، طبعة بيروت، 1969، ص10- أحمد الشريف.

.....مظاهر التعريب في صدر الإسلام

وهو أمر في غاية الأهمية، ذلك لأنه يساعد على استمرار الدولة بعد غياب الرسول الكريم (ص)، الذي كان يعرف واقع قریش معرفة ميدانية¹.

أما في العصر الراشدي فقد ظهر أمر التعريب ظهوراً أكثر ملاءمة ووضوحاً ونصاعة في عدد من الوجوه والمواقع الهامة. فمنذ المرحلة الأخيرة من حياة الرسول الكريم (ص)، بدأ الشعور القومي العربي يتنامى بسرعة لافتة، وقد تجسد ذلك باهتمام الرسول الكريم (ص) بشمال الحجاز، حيث خاض أنصاره معركة مؤتة، كما خاض بنفسه معركة تبوك، واستمر الشعور العربي بنموه القوي في أثناء الفتوحات العربية في الشام والعراق ومصر والمغرب، وكان ذلك واضحاً في العراق، حينما أصر العرب على تحريره من الفرس، الذين كانوا يُعَدُّون خطراً كبيراً على الجزيرة العربية².

ومما ساعد في سرعة إنجاز التحرير في العراق والشام، نجاح العرب في الحفاظ على وحدة الدولة بعد رحيل النبي (ص) إلى ربه، وذلك بالقضاء على حركة الردة، التي هدّدت الدولة العربية في عقر دارها. ثم ذلك الشعور العربي القوي بالانتماء إلى مدرسة العروبة، وهو شعور غلب على كل المشاعر الأخرى وتفوق عليها، ولاسيما في صفوف عرب جنوب بلاد الشام وعرب جنوب العراق، الذين انضموا إلى إخوانهم الفاتحين القادمين من جزيرة العرب، مثال ذلك بنو نمر وبنو تغلب، الذين قالوا بصراحة: "تقاتل مع قومنا"³.

وقد تجلّى ذلك في العراق بوجه خاص، في معركة البويب سنة 13هـ/635م. وكذلك فعل عرب جنوب بلاد الشام، حينما استقبلوا الجيوش العربية الفاتحة بالترحاب، وعدّوهم مخلصين لهم من السيطرة البيزنطية، إضافة إلى اشتراكهم معهم في العرق واللغة والانتماء⁴، ولاسيما

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص338 وما بعدها. السيوطي - المصدر السابق، ص8 وما بعدها.

² أحمد الشريف، المرجع السابق، ص174.

³ تاريخ الطبري، ج4، ص73.

⁴ البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص162. تاريخ الطبري، ج4، ص155.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

مدينة دمشق التي ساهم أهلها بدخول العرب الفاتحين إليها دون مقاومة، وكذلك فعلت معظم مدن الشام الأخرى، لأن أهل هذه المدن، اقتنعوا بأن الفاتحين من إخوانهم العرب، سيخلصونهم من ظلم مارسه عليهم الروم وقتاً طويلاً¹.

وقد حدث الشيء نفسه في مدينة القدس، حينما أصر البطريرك صفرونيوس ألا يسلم مفتاح المدينة المقدسة إلا للخليفة عمر بن الخطاب، لأنه كان يرى فيه زعيماً عربياً حريصاً على عرب القدس برمتهم، وبذلك يمكن الحفاظ على كل مقدسات المسيحيين، ولا سيما الكنيسة العظمى، وهذا ما حصل على أرض الواقع، حينما حضر عمر بن الخطاب إلى القدس، وأعطى الأمان لكل المسيحيين فيها، منطلقاً بذلك من حق المواطنة، الذي يعيش في ظله كل المواطنين عيشة هادئة مستقرة وآمنة، وهو ما عرف في التاريخ الاسلامي بالعهد العُمري².

كذلك لم يكن المصريون بأقل من أهل الشام والعراق على صعيد مساعدة الفاتحين العرب، فقد انضم المصريون إلى صفوف الفاتحين منذ اللحظة الأولى لوصولهم إلى مصر، وقاتلوا الروم البيزنطيين. فقد كتب بنيامين بطريرك الإسكندرية، حينما سمع بدخول العرب أرض مصر إلى الأقباط سكان مصر، يأمرهم باستقبال عمرو بن العاص والانخراط في صفوف جيشه، وأن يمتثلوا لأوامره وقيادته³.

وقد شملت حركة التعريب شؤون التنظيمات الإدارية والعسكرية، فقد أمر عمر بن الخطاب، أن تكون الجندية قاصرة على العرب دون غيرهم، ومنعهم من امتلاك الأراضي في الشام ومصر والعراق، حتى لا يتركوا عملهم الأساسي وهو عمل الجندية، ويتوجهوا إلى الاشتغال في أعمال الفلاحة والزراعة. وأمر بإقامتهم في معسكرات خاصة، حتى يعزلهم تماماً عن بقية الناس، حتى يحافظوا على أصولهم العربية الصريحة. ولكن هذه الإجراءات، لم يقدّر

¹ البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص167 وما بعدها. تاريخ الطبري، ج4، ص159.

² البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص167 وما بعدها. تاريخ الطبري، ج4، ص159.

³ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص86 و106 و107.

..... مظاهر التعريب في صدر الإسلام

لها أن تستمر بعد وفاة عمر بن الخطاب، فعادوا إلى امتلاك الأراضي والسكن حيث طاب لهم المقام، فضعف العنصر العربي إلى حد ما¹.

وعلى صعيد البحر، أمر عمر بن الخطاب، بأن يتولى العرب وحدهم أمر الحراسة والمراقبة في المحارس البحرية على المتوسط، ذلك لأن الثقة في غير العرب في هذه المرحلة من عمر الدولة العربية، لم تكن كبيرة أو بالأحرى لم تكن موجودة، وقد أخذ بهذه السياسة بوجه خاص معاوية بن أبي سفيان، الذي عرف عنه اهتمامه بالافت بأعمال البحرية².

وفي ميدان السياسة أوصى عمر بن الخطاب في أواخر أيامه خيراً بالعرب، فقد قال لأبي طلحة الأنصاري: "... وأوصي الخليفة بالعرب فإنهم مادة الإسلام، أن يؤخذ من صدقاتهم فتوضع في فقرائهم". وهذه الوصية على جانب كبير من الأهمية، وبخاصة ما يتعلق منها بالعرب على أنهم مادة الإسلام وأداته، ووحدتهم تعني وحدة الإسلام وقوته واستمراره وعزته³.

ومما يدل على محبة عمر بن الخطاب للعرب وثقته بهم، إنه أمر بإعفاء بني تغلب من المسيحيين من دفع الجزية طوال حياتهم، وسبب ذلك أنهم يتحدرون من أصول عربية صريحة. وهذا يدل على أن المصلحة العليا للدول العربية، لن تتحقق إلا بجهود العرب تحديداً، لأن المشاعر العربية كانت تتفوق على كل المشاعر الأخرى، ذلك لأنها هي التي تحافظ على تماسك ووحدة الدولة العربية الجديدة. وقد دلت الأحداث بعد الخلافة الراشدة صحة هذا الأمر، حينما عجزت رابطة الدين عن توحيد من دخلوا إلى الإسلام من كل الأمم، فقد سعى الفرس لتحقيق مصالحهم القومية الفارسية، وكذلك فعل الأتراك، وحينما تأخر العرب عن فعل ذلك أي

¹ تاريخ الطبري، ج4، ص148.

² السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، طبعة ثانية، الإسكندرية، 1969، ص93.

³ ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص381. إبراهيم سعيد وعلي أحمد، نهاية عظماء العرب في العصور الوسطى، طبعة دمشق، 1999، ص22 وما بعدها.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

التمسك بعروبتهم وجذورهم القومية، سقطوا تحت سيطرة الآخرين من فرس وأتراك ومماليك، ولم تتفعهم روابط الدين التي تربطهم مع هؤلاء في تحقيق أدنى شيء من حقوقهم، وكانوا على الدوام في أسفل الدرك الاجتماعي، ليس لهم من الأمر سوى طاعة هؤلاء الغرباء وخدمتهم في كل ما يأمرهم ويريدون.

وكان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يحرص منذ صغر سنه على أن تكون كلمة العرب هي العليا، وهذا ما جعله على الدوام يدعو إلى توحيد صفوف الأمة وتعزيز قوتها ومواطن نجاحها، وإلى ضرورة استمرارها، وذلك بأخذها بأسباب القوة والتطور عن طريق الإقدام على العلم بكافة أنواعه.

وهذا ما نوه به رسول الله (ص) بصراحة، فقال في حديث نقل عنه (ص): "أنه سأل أصحابه ذات مرة، من سيد العرب؟ فقالوا: أنت يا رسول الله، قال: بل عليُّ سيد العرب، أما أنا فسيد ولد آدم"¹.

وقد كانت كل النشاطات التي قام بها الإمام علي بن أبي طالب، تصب في خدمة الدولة العربية. وكانت هذه النشاطات في كافة الاتجاهات، وكان لها أثرها الإيجابي الفعال، فيمكن القول إن الخدمات الجليلة والتضحيات الكبيرة التي لم تنته إلا باستشهاده، لم يستطع أحد في عصره أن يقوم بها أو يقدمها على الإطلاق. وكان ذلك منذ بدء الدعوة الإسلامية، حيث كانت سنه لا تتجاوز عشر سنوات. وتجسدت هذه الخدمات في التضحية من أجل الرسول (ص)، حيث كان لسيف الإمام علي بن أبي طالب الحظ الأوفر في إحراز النصر فيها، ولاسيما تلك المعارك الفاصلة، كبدر والخندق وفتح مكة وخيبر وغيرها. فقد استطاع بتضحيته وإيمانه ووفائه لعروبته ودينه، أن يحول جميع المواقف لمصلحة المشروع العربي، الذي تجسد في عصره بدولة العرب بالمدينة المنورة.

ولكن الذي حدث كان مأساوياً في كل المقاييس، ذلك لأن الأمة التي صنع مجدها في

¹ إبراهيم سعيد وعلي احمد، المرجع السابق، ص34.

..... مظاهر التعريب في صدر الإسلام

عصر الرسول والراشدين، الإمام علي بن أبي طالب، لم يقابل بالاحترام والتبجيل، كما كان ينبغي أو كما تفعله الأمم الحية تجاه رجالها المشاهير، وبدلاً من ذلك قابلته الأمة بالجفاء والكراهية والحرب، وجعلت منه الخصم مدةً من الزمن. وتعد هذه الظاهرة من أسوأ الظواهر التي أخذها الأعداء على الأمة، لأنها ظاهرة سلبية لا تليق بالأمم الحية مطلقاً، ذلك لأن الامام علياً كان رجل عصره، وسيد زمانه، ونجماً ساطعاً في أمته، وبطلاً مدافعاً عن وطنه بالسيف واللسان، وعالماً بارعاً قلّ نظيره في تاريخ الإنسانية، ورجلاً متميزاً في عروبته ووطنيته.

وعلى الرغم من المشاكل التي واكبت عثمان بن عفان في خلافته بالمدينة المنورة، فقد كانت له مواقفه الإيجابية على طريق التعريب، وكان من أحسن هذه المواقف على الإطلاق، السماح للراغبين في نشر ثقافة التعريب خارج مناطق المشرق، أن يتوجهوا إلى المغرب لنشر هذه الثقافة، فقد تحرك والي مصر عبد الله ابن سعد بن أبي سرح بمجموعة من جيشه ومعه مجموعة من الصحابة، ووصل إلى سببلة بالمغرب الأدنى (تونس) وهناك خاض معركة العبادلة نجح بنتيجتها في تحرير بعض المواقع من البيزنطيين، وذلك خلال المدة (27-29هـ/647-649م)¹. وقد أدى هذا النجاح الجزئي فيما بعد إلى الاستمرار في عملية تعريب واسعة شملت المغرب الكبير برمته.

وكان أبو بكر الصديق في شوق دائم لسماع أخبار تحركات المثنى بن حارثة في العراق، وكانت تفرحه تلك الأخبار التي تتعلق بمهاجمة الفرس في مناطق السواد وغيره، فقد كان المثنى بن حارثة يغير على التجمعات الفارسية باستمرار من منطلق تحرير كل الأرض، التي يسيطر عليها الفرس في العراق، لتصبح عربية كما كانت في الماضي. ومن كثرة ما كان أبو بكر يعول على المثنى بن حارثة في تعريب العراق مجدداً، كتب إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يحارب المرتدين، أن يتوجه إلى العراق على وجه السرعة، وقام خالد بن الوليد بتنفيذ أمر أبي بكر، الذي كان له أكبر الأثر في إشعال جذوة قتال الفرس في نفوس العراقيين،

¹ المالكي، رياض النفوس، ص10 وما بعدها. حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 75 وما بعدها.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

فانضموا إلى قوات خالد بن الوليد، التي استطاعت تحرير عدد من مناطق العراق كالحيرة والأنبار، ثم أكملت عملية تحرير العراق في عصر عمر بن الخطاب¹.

وفي زمن ولاية معاوية بن أبي سفيان على الشام في خلافة عمر بن الخطاب، أمر بإبدال سكان السواحل الشامية بسكان من العرب الخالص، ذلك لأن معاوية ومعه عمر بن الخطاب وغيرهم من المسؤولين، كانوا لا يتقنون بغير العرب وبخاصة في اعتمادهم في أماكن حساسة كما في السواحل، التي كانت مع تماس مع العدو البيزنطي الذي كان يملك قوة بحرية ضاربة²، وقد استمرت هذه السياسة في خلافة عثمان بن عفان، الذي أعطى لمعاوية حرية واسعة في هذا المجال الهام.

هذه المواقف المتعددة الوجوه، كانت بالنسبة للمنطقة العربية بمثابة انقلاب جديد، نتج عنه توحيد العرب في دولة كبيرة هي الدولة الأموية التي انتشرت على رقعة واسعة من الأرض، ونشرت ثقافة التعريب التي ما زالت آثارها حتى اليوم في البلاد، التي لا تتبع للأرض العربية كما في الصين وآسيا الوسطى وأوروبا وغيرها.

وكان من حسن حظ العرب بعد انقضاء عصر الراشدين، أن الروح العربية التي تكونت في دولة الرسول (ص) والراشدين، بقيت قوية إلى حد بعيد، ولاسيما في حقبة الفتوحات العربية في آسيا الوسطى وأوروبا وغير ذلك من مناطق غير عربية. فقد كان الفاتحون يسبغون على منهج متميز في المعاملة الطيبة، وفي التضحية بلا حدود في سبيل تحقيق القضية، التي نذروا أنفسهم لها، فلم تكن تشغلهم العصبيات، ولم تكن تغريهم الأموال وزخرف الدنيا، بقدر ما كانت تشغلهم قضية نشر ثقافة التعريب، هذه الثقافة التي تؤمن بحق الناس في التخلص من الجهل، وبحقهم في العيش الكريم القائم على الاستقرار والحرية والأمان.

¹ الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، طبعة القاهرة، 1960، ص111. البلاذري، فتوح البلدان، ج2، ص295.

² عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي، ص93 وما بعدها.

.....مظاهر التعريب في صدر الإسلام

وفوق كل هذا فقد تسلح الفاتحون العرب بأهم أخلاق ثقافة التعريب، فقد أخذوا على عاتقهم تطبيق مبادئ احترام حقوق الإنسان في كل الميادين، وهذا ما جعل بعض المؤرخين والباحثين يقولون بصدق ووضوح، إن تاريخ الانسانية برمته لم يعرف فاتحاً أرحم من العرب، الذين ابتعدوا عن ارتكاب المجازر وأعمال القتل بغير حق، وهذا ما لا نجاه إلا نادراً في تاريخ الشعوب الأخرى، التي كانت مسيطرة وسائدة قبل ظهور الإسلام. وكان العرب يريدون من وراء هذا السلوك الإنساني المتفوق، تعريف شعوب المناطق المفتوحة وشعوب العالم برمته، أنهم رسل حضارة وعلم وأخلاق في المقام الأول، وهذا هو سر نجاح الفتوحات العربية في مشرق الدنيا ومغربها. فقد كان الفاتحون أَعَفَّةً مترفعين عن الأذية والضرر وبخاصة في لحظة النصر وامتلاك القوة والقرار، وهي أخلاق الثقافة العربية، التي بقيت سلوكاً إيجابياً ملتصقاً بالعرب أُنَى وجداً، ولاسيما بالسمعة العربية وثقافة التعريب عامة¹.

وكذلك يمكن أن نضيف أن ثقافة التعريب، التي رسمت في عصر الرسول الكريم وعصر الراشدين، وطبقت على أكمل وجه في الحياة العربية العامة، كان من أكبر مظاهرها ما نسميه اليوم بالعلمانية، التي تجبر الحاكم أن يقف موقفاً وسطاً من كل مواطنيه بقطع النظر عن دياناتهم وعقائدهم، لأنهم يشتركون جميعاً في حق واحد هو حق المواطنة. وهو أمر في غاية الأهمية تميزت به حضارة العرب عن غيرها، حتى أصبح من أهم منجزاتها على الصعيد الإنساني والأخلاقي. والأمثلة على ذلك كثيرة في عصر الرسول (ص) وغيره. ولعل في مقدمة هذه الأمثلة ضرورة المعاملة الطيبة لغير المسلمين في ثقافة التعريب، التي لم تأت من فراغ بل استندت إلى أسس تنظيمية وتشريعية، بدأ العرب بتطبيقها منذ إعلان النبي العربي الكريم لدولته العربية بالمدينة المنورة، فقد كان مبدأ احترام غير المسلمين من أهم المبادئ، التي صيغت منها الصحيفة التي كانت بمثابة دستور عام وضعه النبي العربي الكريم لدولته بالمدينة المنورة. فقد أكد هذا الدستور على مبدأ حرية الأديان السماوية واعتبار معتقي هذه

¹ علي أحمد، مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، طبعة دمشق، 1960، ص 374-375.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

الأديان مواطنين لهم حقوق المسلمين كافة، بشرط أن يحافظوا على حقوق المواطنة ومتطلباتها مثل احترام قانون الدولة وعدم الإخلال بالنظم العامة للدولة القائمة¹. وقد مارس النبي الكريم هذا المبدأ على أرض الواقع منذ الأيام الأولى لدعوته. فحينما اشتد الحصار والاضطهاد على أتباعه الأوائل بمكة المكرمة من قبل المعارضين المكين، وجههم إلى ضرورة اللجوء إلى الحبشة بقوله: "ولو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم أحد عنده فهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه"². وكان النبي العربي الكريم يريد من راء ذلك عدة أمور أهمها، أنه كان يريد أن يعرف ملك الحبشة بأن ثقافة التعريب التي بشر بها بجزيرة العرب، هي أخت الثقافة في الحبشة من حيث الهدف العام وهو خدمة الإنسانية عامة، وفي الوقت ذاته منع ملك الحبشة من التدخل بما يحصل بجزيرة العرب، وإعطاء رسالة للمعارضة المكية القرشية بأن التمادي بمعادة حركة التعريب، التي يقودها النبي العربي الكريم ربما تجبره للجوء إلى دولة قوية لا قبل للمكيين القرشيين بمواجهتها هي الحبشة³. كذلك فقد حرص الرسول العربي الكريم على أن تكون أول صلاة في الإسلام على غائب، هي صلاته على النجاشي ملك الحبشة، وقد أداها (ص) مع الصحابة بالمدينة المنورة على أثر سماعه بخبر وفاة النجاشي صاحب الأيادي البيض في حماية رواد التعريب من أتباع الرسول الأوائل، وكان ذلك في سنة 9هـ/631م بعد وصوله إلى المدينة المنورة قادماً من غزوة تبوك⁴.

وبالاستناد إلى هذه السياسة الطيبة التي اعتمدها الرسول الكريم، فإن معظم قادة الدول العربية في العصور الوسطى، عاملوا غير المسلمين معاملة طيبة ولاتقة في كل المجالات، فقد وجد الأمويون على سبيل المثال في هذه السياسة الطيبة عاملاً مساعداً في الإبقاء على وحدة

¹ نبيه عاقل، تاريخ الدولة العربي، عصر الرسول والخلفاء الراشدين ط3 دمشق 1991، ص83.

² تاريخ الطبري، ج1، ص181 وما بعدها. ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص4.

³ أحمد الشريف، الدولة الإسلامية الأولى، ص46.

⁴ البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص84.

..... مظاهر التعريب في صدر الإسلام

دولتهم واستمرارها¹. وكذلك كان الحال في الدولة العباسية وبقية الدول العربية، التي أعقبتها في المشرق والمغرب على حد سواء، وهذا ما جعل غير المسلمين في طليعة المدافعين عن أوطانهم وخاصة عند مواجهة العدوان الفرنجي في بلاد الشام ومصر على مدى أكثر من مئتي سنة²، لأن تأثير العروبة فيهم كان غالباً على كل تأثير.

وكما نرى فإن مسيرة التعريب التي انتهجها العرب منذ عصر الرسول الكريم (ص)، جعلتهم في مقدمة شعوب الأرض في العصور الوسطى، فقد مثلوا بجدارة أمة حضارية أعطت كل شعوب العالم الكثير من المنجزات العلمية والحضارية دون مقابل، بمعنى أن أمتنا العربية انطلقت نحو ذلك من منطلق إنساني بحت، وهو مظهر إيجابي تتميز به الأمم المتحضرة، وتعمل جاهدة لترجمته حقيقة ساطعة على أرض الواقع، كما فعلت أمتنا العربية في العصور الوسطى وما زالت، إيماناً منها بضرورة العمل المتواصل من أجل سيطرة روابط التفاهم العالمي العام، على أسس راسخة ووطيدة من العدالة والاحترام المتبادل، وتعزيز أواصر الصداقة والسلام على أسس متينة من العدل والمساواة بين كل شعوب الأرض، ونبذ كل أواصر التمييز القائمة على اختلاف اللون والجنس والثقافة، والتركيز على أن ما تتميز به الأمم المتحضرة من تقدم علمي وازدهار حضاري، هو نتيجة أكيدة لمنجزات حضارية اشتركت في صنعها أمم متعددة على مر الزمن، وأنه من الحق والعدل في آن واحد، أن تستفيد من منجزات الحضارة المزدهرة كل شعوب الأرض دون تمييز، وهو ما تحقق وصاد في زمن ازدهار حركة التعريب في العصور الوسطى بداية من صدر الإسلام موضوع هذا البحث، لأنها حركة حضارية شكلت واحدة من المحطات المتألقة في مسيرة الحضارة الإنسانية. وهذا ما يدفعنا للتتويج بمسألة على جانب كبير من الأهمية، هي أنه من الضروري أن يبقى الاهتمام منصّباً على بقاء مفهوم العروبة حياً في النفوس، وخاصة في هذه المرحلة الصعبة من حياة

¹ البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص138.

² ابن جبير، الرحلة، ص259 وما بعدها.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

العرب، لأن العروبة هي الهوية الحقيقية للأمة العربية وسر وجودها ووحدتها، وبدونها سيبقى العرب على هامش الشعوب لا قيمة لهم في الزمان ولا في المكان.

فالعروبة هي التي حافظت على وجود الأمة العربية واستمرارها، على الرغم مما أصابها وحل بساحاتها من نكبات وتدمير وويلات، حيث لا يعرف تاريخ الإنسانية أمة أصابها من البلاء ما أصاب الأمة العربية، ومع ذلك فقد استمرت وها هي اليوم لا تحتاج... إلا لمن يوحدتها على أساس عربي واضح الرؤى والأهداف.

بحوث في المصطلحات

وضع المصطلح العربي

وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

د. ممدوح محمد خسارة

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

لاشكَّ في أن تطوير اللغة العربية وتنميتها لجعلها وافية بمتطلبات العصر بأهم تجلياته وهي العلم والتقانة، يعني - فيما يعنيه - وضع المصطلح العلمي العربي المناسب.

وقد بذل العلماء واللغويون والمترجمون جهوداً عظيمة في هذا الميدان، حتى توافرت للعربية مئات المعاجم العلمية المتخصصة، وهو ما مهدّ لظهور كتابة علمية عربية تكتسب مع الممارسة والمرانة ما يُدّنيها من شروط الكتابة العلمية العالمية وهي الدقّة والوضوح واليسر والإيجاز.¹

ولمّا كان المصطلح العلمي العربي الدقيق ركناً هاماً من أركان تعريب العلوم والتعليم، فقد رأينا المصطلحيين من علميين وتراجمة ولغويين كثيراً ما يختلفون حول وضع مصطلح ما، وقد تمضي سنوات طوال يترسّخ فيها المصطلح العلمي أو يزول من الاستعمال بعد أن تجاوزه الزمن، وما يزال بعضهم يجادل فيه بدواعي توخي الدقّة أو السلامة أو السهولة أو الشبوع، وفي سياق هذه الدواعي تظهر آراء وأحكام تحتاج إلى نظر ومباحثة.

نعم، ثمة منهجيّة نظرية عامة لوضع المصطلحات في العربية تقوم على طرائق الوضع

¹ د. محمود مختار، دور الحاسوب في تعريب العلوم، الموسم الثقافي السابع لمجمع اللغة العربية الأردني: 9.

الثلاث وهي الترجمة والتوليد والاقتراض¹. إلا أنَّ الخلافات تظهر في ميدان التطبيق العملي حول أيِّ الطرائق هي الفضلى لمقابلة مصطلح أجنبيٍّ ما. ومع أنَّ ثمة شروطاً عامّةً يجب توجيهاً في المصطلح عند إقراره وهي دقة الدلالة والسهولة ويُسر الاشتقاق منه وقابليّة للتصريف²، فإن الخلافات تعرض أيضاً حول مفهوم كل مشارك في وضع المصطلح لهذه الشروط وتطبيقها عملياً..

وبالطبع، نحن لا نشكّك في دوافع أي باحث أو مجتهد في هذه الاختلافات، إذ هو يقدر الصواب ويُحسن النية فيما يذهب إليه، ولكن حسن النية وسلامة القصد لا يعينان صواب الرأي والاجتهاد دائماً.

ونرى من المفيد، بل والضروريّ، أن يُنبّه على ما تعنيه تلك الطرائق والشروط، إذ طالما اختلف المصطلحيون في فهمها نظرياً وفي كيفية تطبيقها عملياً.

وقد تبدّت لي بعض مفاهيم خاطئة في وضع المصطلح العربي من خلال عملي في لجنّتي مصطلحات ألفاظ الحضارة والإعلام في مجمع اللغة العربية بدمشق، ومن جراء متابعتي لما يُنشر من بحوث حول علم المصطلح.

وأهم ما نراه ونعده مفاهيم خاطئة في وضع المصطلح ما يلي:

1. الاعتقاد بوجوب أن يستغرق المصطلح مدلوله ومسمّاه

يرى بعضهم أنه يجب أن يحيط المصطلح إحاطة تامّة بمدلوله، فما يوضع اسماً لآلة – مثلاً – يجب أن يستوعب مفهوم تلك الآلة بخصائصها وكيفية عملها وأدائها. وهذا اعتقاد

¹ ينظر: د. أحمد عيسى، التهذيب في أصول التعريب: 113 ومصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية:

93، ود. طالب أبو شرار ود. جاسر صفية، دراسة تجريبية، المؤتمر الأول للكتابة العلمية باللغة العربية، بنغازي

1990، ص 333-334. ود. فتحي أبو زخار، استعراض واقع اللغة العربية والتطلع إلى الكتابة العلمية، المؤتمر الأول

للكتابة العلمية باللغة العربية، بنغازي، 1990، ص 241-242.

² ينظر: د. محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها، 613-614.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

خاطئ، ذلك أن المصطلح ليس مفهوماً كاملاً قائماً بذاته، بل هو رمز إلى مفهوم. ينقل د. محمود فهمي حجازي من تعريفات المصطلح أنه: «كلمة أو مجموعة من الكلمات في لغة متخصصة يوجد موروثاً أو مقترضاً، ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم ليدل على أشياء مادية محدّدة». ويعقّب على هذا التعريف قائلاً: «وهنا نجد تأثيراً واضحاً للنظرية العامة لعلم المصطلح التي تجعل المفاهيم والأشياء المادية منطلق البحث، وتجعل المصطلحات وسيلة للتعبير عنها»¹.

فالمصطلح وسيلة للتعبير عن المفهوم عنده. ولكن تعريفات أخرى للمصطلح كانت أكثر تحديداً عندما جعلت المصطلح رمزاً يعبر عن المفهوم، فقد جاء في منشورات اليونسكو: «المصطلح رمزٌ متفق عليه يمثل مفهوماً محدّداً في مجال معرفي خاص»². أما التعريف الذي اعتمدته المنظمة الدولية للتقييس (إيزو)، فهو: «المصطلح هو أي رمز يُتفق عليه للدلالة على مفهوم. ويتكون من أصوات مترابطة في صورها الكتابية، وقد يكون المصطلح كلمة أو عبارة»³، وفي معجم (لنغمان): «المصطلح هو كلمة أو عبارة لها معنى خاص في مجال علمي أو تقني». أما عند العرب «فالمصطلح هو اتفاق جماعة مخصوصة على أمر مخصوص»⁴ أو هو «اتفاق طائفة على لفظ بإزاء المعنى»⁵. أي إن المصطلح رمزٌ اتفق عليه ليدل بين أفراد جماعة علم أو صنعة على مفهوم يستحضره ذلك الرمز. ويوضّح أحد العلماء هذه التعريفات أكثر بقوله: «ولكنّ هذا التحديد للمصطلح الذي يتمّ بعناية لا يعني استقصاء المصطلح العلمي لكل دقائق المفهوم المسمّى به، بل يكفي الاتفاق بين المختصّين على ذلك،

¹ د. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، 11.

² د. محمد هيثم الخياط، علم المصطلح لطلبة كلية الطب والعلوم الصحية، 55.

³ المصدر السابق: 60.

⁴ الزبيدي، تاج العروس: صلح.

⁵ السيد الجرجاني، التعريفات: 28.

مع وجود علاقة أو ملاسبة بين لفظ المصطلح ودلالته»¹.

إذن لا يشترط في المصطلح الذي هو رمز أن يكون معبراً - لغوياً - تماماً عن مضمون المفهوم الذي يرمز إليه، ولا أن يحيط بصفاته وخصائصه كلها، بل يُكتفى بأن يدلّ على بعض من خصائصه أو شكله أو صفته.

يقول د. محمد هيثم الخياط: «للتسمية في الاصطلاح تجليات تتمثل في اعتماد خاصية من خاصيات المفهوم أو ما يرتبط به، كَرَبْط التسمية بشكل المفهوم أو حجمه أو لونه أو حركته أو مكانه أو تموضع أو عدده أو مستحدثه مكتشفاً كان أو مبتكراً»². وعلى سبيل المثال: سُميت مادة (الكوروفيل chlorophylle) بهذا الاسم نسبةً إلى لونها وهو الأخضر (chlor)،³ لذا وُضع مقابلها في العربية (اليخضُور) ترجمة. وواضح أن هذا المصطلح أو هذه التسمية لا تعبر عن كل خصائص تلك المادة، بل عن صفة واحدة ظاهرية هي اللون، مع أن خواصها الأخرى كثيرة.

وقد أعطى الإنكليز اسم (bicycle) لواسطة النقل المعروفة (الدراجة)، وهذه التسمية تعتمد على خاصية واحدة من خواصها أو شكلها وهي أنها (ذات دولابين)، ولم تتضمن التسمية الخواص الأخرى لهذه الآلة، في حين اختارت لها العربية اسماً مُستوحىً من أدائها وعملها وهو (الدَّرَج).

ووضع الإنكليز والفرنسيون مصطلح (tank) لتلك العربة الحربية المدرعة أو المصفحة، مع أن تلك الكلمة تعني في الأصل (صهريج، خزان، حوض)⁴. وقد يكون أولئك القوم سمّوها

¹ د. قاسم سارة، تعريب المصطلح العلمي - إشكالية المنهج: 956 (عن مجلة التعريب ع8: 13).

² د. محمد هيثم الخياط، علم المصطلح لطلبة كلية الطب والعلوم الصحية: 68 (عن مجلة دراسات مصطلحية، ع3 السنة 2004).

³ د. محمد هيثم الخياط، علم المصطلح لطلبة كلية الطب والعلوم الصحية: 69.

⁴ ينظر معجم المنهل - فرنسي عربي: 122 والمورد انكليزي عربي. ومعجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا - ج4: 3294.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

بذلك لعلاقة المشابهة مثلاً بينها وبين مادة الصهريج أو الخزان الصُّلبة، وربما لعلاقة أخرى. وقد عرَّبه العرب المعاصرون لفظياً أولاً، كما جاء في بيت أمير الشعراء أحمد شوقي في رثاء الشهيد عمر المختار:

وأخو البداوة لم يكن يغزو على تَنَكِّ ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيل حمى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء

ولكن العسكريين اختاروا لها فيما بعد مصطلحاً أحيوه من اللغة التراثية، وهو (الدَّبَابَة)¹، ليس انطلاقاً من شكلها أو مادتها بل من دلالتها القديمة، إذ (الدَّبَابَة) كانت عندهم عبارة عن صندوق خشبي سميكة يقف تحته الجنود ويدفعونه ببطء وهينة إلى الحصون لينقبوها، متقين سهام العدو،² وهي تسمية استمدت أصلاً من طبيعة حركتها، وحتى من سماها (مُرْعَة) إنما ذهب إلى صفة بارزة من صفاتها وهي أنها تحمي من بداخلها من الجند كما تحمي (الدَّرْع) المزرودة من يلبسها.

أما أن نُعِنَت أنفسنا وغيرنا بألا نقبل إلا المصطلح العربي الجامع المانع الذي يستوعب جميع خصائص المُسمَّى بصفاته وشكله وعمله فذلك ضرب من الوهم، لأن الاسم علامة على المُسمَّى³ وليس هو المُسمَّى نفسه، وهذه العلامة مستوحاة من واحدة من صفات أو خصائص عديدة لذلك المُسمَّى. ولعل هذا ما عناه ابن سيده بقوله: «الاسم كلمة تدل على المُسمَّى دلالة الإشارة دون الإفادة».⁴

2. الترجمة الحرفية لدلالة المصطلح في لغة المصدر

كثيراً ما يعترض بعض المختصين على مصطلح عربي ترجمة لمقابلة المصطلح الأجنبي،

¹ جامعة الدول العربية، المعجم العسكري الموحد، القسم الثاني، فرنسي عربي: 511.

² ابن منظور، لسان العرب: دب.

³ أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 6:1.

⁴ ابن سيده، المخصص، 215:5.

بحجة أن الترجمة العربية المقترحة لا تحمل الدلالة الأصلية الحرفية لهذا المصطلح في لغة المصدر. ونرى أنه لا شيء يلزم مترجم المصطلح إلى العربية بالدلالة الحرفية التي اختارها واضع المصطلح الأجنبي، لأن واضع ذلك المصطلح قد اختار لتسميته المفهوم الذي يريده لفظاً يشير إلى خاصية من خصائصه المتعددة - كما قدمنا - فإذا اختار المصطلحي العربي خاصية أخرى من خصائص ذلك المسمى فلا تثريب عليه، «فحينما اخترع الأمريكيون (الحاسوب) أطلقوا عليه (computer)، اعتماداً على إحدى خاصياته البارزة، وهي قدرته الفائقة على إجراء العمليات الحسابية، لكن الفرنسيين حينما احتاجوا إلى مصطلح يعين هذا الجهاز بلغتهم لم يعتمدوا المصطلح الإنكليزي وخاصيته تلك، بل اعتمدوا خاصية أخرى من خصائص الجهاز نفسه، فوضعوا له مصطلح (ordinateur) الذي يدل على خاصية أخرى من خصائصه وهي قدرته الفائقة على تنظيم المعلومات. نفيد من هذه التجربة أن المترجم غير ملزم بترجمة المصطلح الأجنبي اعتماداً على السمة التي اختارها واضعوه في اللغة المصدر ليقوم عليها مفهومه.. ولا شيء يلزم المترجم بضرورة المرور على طريق لغة واضع المصطلح الأصلي من أجل وضع مصطلح مقابل في لغته، بل يمكنه - ولا مانع من ذلك كما رأينا - أن يضع مصطلحاً بلغته معتمداً الموضوع ذاته، أو خصيصة أخرى من خاصيات الشيء ذاته»¹، علماً بأن الفرنسيين كان بمقدورهم أن يضعوا للفظ الإنكليزي (computer) لفظاً فرنسياً قريباً جداً من اللفظ الإنكليزي ويكاد يطابقه وهو كلمة (computateur) الذي يعني عندهم (الحاسب)²، ولكنهم اعتمدوا في الترجمة أو التسمية الفرنسية خاصية الترتيب والتنظيم في هذه الآلة فترجموها إلى لغتهم ترجمة غير حرفية، ولم يعتمدوا الترجمة الحرفية التي تؤدي إلى مصطلح آخر قد يكون أقرب إلى لغة المصدر. إلا أن بعض العرب ما زال يماري في صحة هذه التسمية، فيذهب إلى تسميته بالحاسب الآلي أو الحاسبة الآلية، أو يبقيه على حاله معرباً (كمبيوتر)، بحجة أن التسمية العربية لا تؤدي الدلالة الحرفية للكلمة في لغة المصدر.

¹ د. محمد هيثم الخياط، علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية، 156.

² د. سهيل إريس ود. جبور عبد النور، معجم المنهل، 970.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

ولو التزمنا - مثلاً - الترجمة الحرفية لمصطلح (sous marin) الفرنسي لقلنا (تحت البحر)، فهل هذه الترجمة الحرفية أوفى بالغرض والدلالة من مصطلح (الغواصة) العربي الذي وُلد من العربية مقابلاً للمصطلح الفرنسي. فإذا كان الفرنسي قد اختار لهذه الآلة اسماً مُستوحى من مكان عملها - وقد يُسمّى الشيء بمكانه - فإن العربي اختار لها تسمية مُستوحاة من كيفية عملها ومكانه، لأن الغوص يدل على العمل والحركة تحت الماء، وهذه أيضاً من قواعد التسمية في العربية.¹

وقد يتخذ الخلاف أحياناً - بحجة حرفية المعنى - شكل مباحكات لا سند لها، فإذا وضع أحدهم مصطلح (طبق النقاط) لمقابلة المصطلح الأجنبي (dish) اعترض بأن المعنى الحرفي الأدق هو (صحن النقاط)، مع أن كلاً من الكلمتين (طبق وصحن) ليس لهما في العربية التراثية معنى إناء الطعام الذي يتجادلون فيه، فالطبق في المعاجم هو الغطاء، والصحن هو القَدَح لا بالكبير ولا بالصغير.² وقد أثبت المعجم الوسيط للكلمتين معناهما المعاصر عندما قال: «الصحن: إناء من أواني الطعام... والطبق: الإناء يُؤكل فيه».³ فإذا كان معجم الوسيط - على دِقَّتِه - لم يثبت فرقاً دلاليّاً بين الكلمتين، فهل من المفيد أن ندير خلافاً فيما لا موضوع له، اللهم إلا أن أحدهم علق بذهنه معنى، وأن آخر علق بذهنه معنى، فتشبَّث كلُّ منهما بما ألفه.

3. المسارعة إلى التعريب اللفظي استسهالاً

يدعو كثير من المعنّيين بالترجمة ولاسيما الإعلامية منها، إلى اختصار الجهد في وضع المقابل العربي ترجمة أو توليداً، ويرون اقتراض المصطلح بتعريبه لفظياً، وكان هذا مذهب الشيخ عبد القادر المغربي رحمه الله الذي كان يرى فتح باب الاقتراض على مصراعيه، لأن

¹ لمزيد من التفصيل ينظر: د. ممدوح خسارة، التعريب والتنمية اللغوية، 130-132.

² ابن منظر، لسان العرب: صحن، طبق.

³ مجمع القاهرة، المعجم الوسيط: صحن، طبق.

نموّ العربية عنده هو بالدّخيل أولاً.¹

ولكن هذه النزعة مؤذنة في حال اعتمادها بإغراق العربية بالكلمات الأعجمية المعربة، وهو ما يجرّ إلى مخاطر أشارت إليها بحوث التعريب، وهي مخاطر كثيرة أكتفي هنا بالإشارة إلى اثنين منها:

أ. الإشكال الصرفي ونعني به إشكال الاشتقاق:

لعل نظام الاشتقاق الصرفي العربي أكثر المتضررين من الاقتراض أو التعريب اللفظي الجائر. فمن المعروف أن الكلمة المعربة تعامل كالكلمة العربية من حيث الاشتقاق؛ فقد اشتق القدماء من (البريد) أبرد، ومن (نوروز) نورز، واشتق المعاصرون من (البرنامج) برمج ومبرمج وبرمجيّات. ولذا فإن المسارعة إلى التعريب اللفظي وما تستتبعه من أعمال خاصية الاشتقاق الصرفي سوف تؤدي إلى ولادة كلمات ومشتقات قد تكون غريبة عن الأذن العربية والذائقة اللغوية، فتثير قدراً كبيراً للغط والخلاف. ومن الأمثلة على ذلك:

1. عربّ المعاصرون كلمة (ديمقراطية)، وكانت أكثر المعربات رواجاً. وقد سألتنا هيئة رسمية² إن كان بالإمكان صوغ فعل من هذه الكلمة للدلالة على معنى: (نشر الديمقراطية في المجتمع)؟ فكان ما يلي:

- اقترح الفعل الرباعي (دَقَرَط) من كلمة (الديمقراطية) ليكون الفعل على بناء (فَعَّلَ) وفَقَّ طريقة العرب في الاشتقاق من الأسماء الرباعية والخماسية العربية والمعرّبة³، فيكون قولنا: (دَقَرَط المجتمع) بمعنى (نَشَر الديمقراطية فيه). فاعترضْ بأننا فرَطنا بحرف الميم في الكلمة المعربة، وأننا أبعدنا السامع عن اللفظ المتداول.
- اقترح الفعل (دَمَقَرَط)، فاعترضْ بأن ليس في العربية فعل مجرد خماسي، إذ إن أقصى

¹ عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب، 22-23.

² ورد الاستفسار من الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون إلى مجمع اللغة العربية بدمشق.

³ اشتق العرب من (مَجَبِّق) الفعلين (جَنَقَ وَمَجَّقَ) إذ رمى به. ينظر: لسان العرب: مَجَّبَق.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

- أحرف الأفعال المجردة هي أربعة على بناء (فَعَّلَ).
- اقترح الفعل (دَمَرَطَ)، فاعترض بأنه فُرِط بحرف القاف في الكلمة المعربة، وهذا ما يبعده عن الأصل، ويُغرب بل ويضحك.
 - اقترح الفعل (مَقَرَطَ)، فاعترض بأن هذا البناء يحيل على معنى (الْقَرَطَ)، كما يحيل فعل (مَرَحَبَ) على معنى الرحب والسعة، كما في قولهم: «مَرَحَبَهُ اللهُ: أنزله في سعة»¹.
 - اقترح أن يُرْفَض صوغ فعلٍ أو اشتقاقه من كلمة (ديمقراطية)، لأن الأفعال المقترحة لا يسيغها الذوق. وردَّ بأن العربية لا تمنع الاشتقاق من الأسماء المعربة، فلا يجوز الإفتاء بعدم الجواز، ولا يحق لنا أن نصيِّق واسعاً وأن نحدث في لغتنا ما ليس منها، وأن نُبطل واحدة من أهم خصائص لغتنا وهي خاصية الاشتقاق.

ومع أنه أُجيز الفعل (دَقَرَطَ)، لأنه يتوافق وقواعد الاشتقاق من الأسماء المعربة بالاشتقاق على بناء (فَعَّلَ)، بأن يحذف من أحرف الكلمة المعربة الخماسية والسداسية ما يُزاد عادة في الكلمة العربية، وهو هنا (الميم) - على أن حروف المعرب الأعجمي كلها أصول - نقول: ومع ذلك فقد شُفِع الجواب بقولنا: وإن كان الأولى أن يقال: نشر الديمقراطية.

هذا في اشتقاق الفعل فقط من كلمة (ديمقراطية)، فما بالكم عند اشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر وسائر المشتقات؟

واعترضتنا مثل هذه الاختلافات في مصطلح التواصل الإعلامي (Hashtag) الذي هو علامة # توضع قبل عبارة ما، فيقوم نظام بحث بتَقْمُش أو جمع التغريدات التي تدور حول مضمون العبارة المسبوقة بهذه العلامة. فاقترح لها:

- هاشتاغ: فاعترض بأن الكلمة جمعت بين ساكنين وهو ما لا تجيزه العربية.
- هَشْتَع: فاعترض بأن حذف الألف شوّه الكلمة الأصل.
- هاشتاك: بالكاف لأن الحرف اللاتيني (G) ينقل أحياناً إلى العربية كافاً. ويلحظ النقاء

¹ مجمع القاهرة، المعجم الوسيط، مرحب.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

السالكين في الكلمة المعرّبة، ومثلها (هاشتاق) بالقاف، على طريقة بعض العرب في نقل الكاف المجهورة (G) قافاً¹... وكل هذه الأشكال كتبت على شاشات التلفزيون. وفي حال إقرار واحد من هذه المقترحات لتعريب المصطلح، لابدّ من إقرار الاشتقاق منه كأن يقال: هَشْتَعْ ويَهْشَعْ وهَشْتَعَة.. وهذا ما جعلنا نعدل عن التعريب إلى الترجمة أو التوليد فقلنا: (وَسْمَة). ولكن الغريب في تجربتنا مع هذا المصطلح أنه لم يُلجأ إلى الترجمة أو التوليد إلا بعد أن لم تُسَخَّ الكلمة المعرّبة واشتقاقاتها، مع أن الأصل ألاّ يُلجأ إلى التعريب إلا بعد استنفاد الجهد في طرائق وضع المصطلح بحسب الأفضلية وهي: الترجمة ثم التوليد ثم الاقتراض.²

وكان البيروني قد عدَّ القفز فوق الترجمة بالتسمية العربية إلى اقتراض التسمية الأعجمية خيانةً، وذلك قوله: «وللترجمة فيها خيانة أخرى هي ترك بعض ما يوجد له في أرضنا العربية من العقاقير وفي لغة العرب اسم لها على حاله باليونانية حتى يُحوج بعد الترجمة إلى تفسير كالكرفس الجبليّ والجزر البريّ ولحية النيس، فإنهم لن ينقلوها إلى العربية»³.

وقد أحسن ابن البيطار في مفرداته عندما ترجم نبات (قوطوليدون) إلى أذن النيس، وترجم (موش أوطا) إلى آذان الفأر⁴ كما هي أسماؤها في العربية. كما أحسن الشهابي عندما ترجم جنس السمك المسمّى بالفرنسية (Ttopille) إلى (رَعَادَة)⁵، ولم يتسرع في تعريبه لفظياً.

ب. الإشكال البنيوي:

من المتعالم أنه يدخل كل يوم ميدان المصطلحات أكثر من خمسين مصطلحاً، أي يدخل في

¹ د. مسعود بوبو، أثر النخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج: 137.

² د. أحمد عيسى، التهذيب في أصول التعريب: 113.

³ البيروني، كتاب الصيدنة: 14 (مصور عن مخطوط)

⁴ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية: 16-17 و 40:4.

⁵ مصطفى الشهابي، معجم الألفاظ الزراعية، 618.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

السنة نحو عشرين ألف مصطلح، فلو تسرّعنا في التعريب استسهالاً واقتراضاً نصف هذه المصطلحات فقط، لدخل لغتنا كل عام نحو عشرة آلاف كلمة، وفي غضون خمسة عقود من الزمن سوف يدخل لغتنا نحو خمس مئة ألف مصطلح!! فأى لغة عربية ستبقى لنا؟!!

لا يعني كلامنا هذا أننا نضادُّ الاقتراض قولاً واحداً مثل الشيخ المجمعى أحمد الإسكندري رحمه الله،¹ فذلك ما لا تقدر عليه أي لغة من لغات العالم، ولا سيما العربية في حالتها الراهنة، حيث تعيش مرحلة الأخذ لا العطاء، وعهد الترجمة والنقل لا الإبداع. ولكن التسرّع في فتح باب الاقتراض على مصراعيه أمام كل مصطلح أجنبي جديد لدخول لغتنا بحجة أن ذلك لن يؤثر فيها، وأن قوام اللغة وبنيتها هو في أنظمتها الصوتية والنحوية والصرفية وليس مفرداتها وكلماتها - مؤذنٌ بزيادة كمية كبيرة من المعرّبات، ومن شأن هذه الزيادة الكمية أن تؤدي إلى تغيير في الكيفية، ولا يمكن أن نتجاهل القاعدة الجدلية التي تصدق على اللغة صدقها على الظواهر الطبيعية الأخرى وهي: «أن التراكم من شأنه إذا بلغ الذروة أن تتحول الكمية إلى كميّة»². وتغيّر كميّة اللغة يعني تغيّر بنيتها وأنها صارت لغة أخرى مغايرة إلى حد بعيد لما هي عليه الآن.

لهذه الأسباب وغيرها، نؤكد أن التسرّع في الاقتراض استسهالاً يحمل مخاطر حقيقية على العربية، وأنه يجب أن يكون في اللغة، كالكي في الطب أي آخر ما يلجأ إليه. وهنا أذكر بالحكم السديد الذي خُتمت به مباحثات مجمع القاهرة حول التعريب بعد المناقشة أو المبارزة التي كان فرسانها من المتشدّدين والمتساهلين في التعريب، عندما «نهض سعادة فتحي باشا زغلول واسترعى أسماع القوم وقال: إذا عَرَضَ لنا لفظ أعجمي ترجمناه إلى اللغة العربية بالحرف، وإذا تعذّر ذلك اشتقّقنا له اسماً من لغتنا، وإذا لم يتيسّر جئنا بكلمة عربية وأطلقناها عليه بضرب من التجوّر، وإذا تعذّر أيضاً عربّناه وأدمجناه في تراكيب كلامنا، وكان أسوة

¹ مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، 71.

² د. أسعد علي، تهذيب المقدمة اللغوية، 303.

المعربّات الكثيرة التي انطوت عليها جوانح لغتنا، فهل قبلتم هذا؟ فتعالت أصوات الجمهور وصفقوا له معلنين الرضا والسرور»¹.

4. الحرص على أن ينطق العرب الكلمة الأجنبية المعربة كما ينطقها

أهلوها في لغتهم الأصلية

تناقلت المعاجم وكتب اللغة حدّ التعريب عند العرب، وهو «أن تتقوّه العربُ بالكلمة الأعجمية على منهاجها»²، أي على منهاج العرب في النطق، وهذا المنهاج يقوم على أركان أهمها³:

– ألاّ يُدخل حرفٌ أو صوت غير عربي إلى العربية.

– ألاّ يلتقي في الكلمة ساكنان.

– ألاّ تبدأ الكلمة بساكن...

وقد أورد القرآن الكريم كلمة (سَجِيل) بالجيم، وليس (سَنَك كُل) بالكاف الفارسية المجهورة (گ، گ) لكي لا يُقَحَم حَرَف من غير العربية فيها⁴. وللسبب نفسه وردت فيه كلمة (فِرْدوس) بالفاء العربية وليس بالباء الفارسية المهموسة (P).

وعرّب القدماء اسم (شاه بور) إلى (سأبور)، بحذف الهاء، لكي لا يلتقي ساكنان في الكلمة هما الألف والهاء⁵، وعرّبه بعضهم إلى (شاهبُور) للسبب نفسه⁶.

ونقلت العرب (Grec) إلى (إغريق) و(platon) إلى (أفلاطون) بزيادة الهمزة في أولهما

¹ عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب، 150.

² الجوهري، الصحاح: عَرَب. ولسان العرب، عرب

³ ينظر: الفارلي، ديوان الأئب، 72:1.

⁴ السيوطي، المهدّب فيما وقع في القرآن من المعرب، 96.

⁵ الخفاجي، شفاء الغليل، 147.

⁶ د. جهينة نصر علي، المعربّ والدخيل في المعاجم العربية، 373.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

لكي لا يُبدأ بساكن.

وأثبت المعجم الوسيط كلمة (فَيْرُوس)¹ تعريباً، بإسقاط الألف كي لا يلتقي ساكنان في الكلمة الأصل (فايرُوس)، ولكي لا يدخل إلى العربية حرف الفاء المجهورة من اللغات اللاتينية.

والأمثلة أكثر من أن تُحصى في معرّبات القدماء الذين جَسَدُوا فيها حدَّ التعريب، وهو أن تنقوَّ العرب بالكلمة الأعجمية على منهاج العرب في النطق. وهذا مضمون قرار مجمع القاهرة في التعريب الذي ينص على «إجازة استعمال الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم»².

ومع ذلك فما زال بعض المعرِّبين والمصطلحيين - حتى من أعضاء لجان وضع المصطلحات - يحاول أن يعكس هذا المفهوم للتعريب اللفظي عندما يريد من العرب أن ينطقوا بالكلمة الأعجمية كما ينطقها أهل تلك اللغة الأجنبية، وأنكى من ذلك أن يطالب بعضهم بتغيير قواعد الصرف العربي حرصاً على أن ينطق أمثال (فايرُوس) بفاء مجهورة والتقاء ساكنين، وأن ينطق (سكائب) بالبدء بساكن والتقاء ساكنين، بما يخالف الصرف العربي.

ومن الضروري أن نذكر بأن لكل لغة قواعد في نطق الألفاظ المقترضة فيها. كان بإمكان الفرنسيين أن ينطقوا كلمة منارة (manara) بدلاً من (minaret)، وأن ينطقوا كلمة مسجد (masged) بدلاً من (mosquée)³، ولكنهم لم يفعلوا - وهذا حقُّهم - بل نقلوا مثل هذه الكلمات المقترضة إلى لغتهم وفق ضوابط النطق فيها وهم أدري بذلك.

ويبدو أن هذه المشكلة ما تتي تثور بين الحين والآخر، وممن ضاق ذرعاً بهذه الظاهرة المجمعى مصطفى الشهابي الذي عجب من أولئك الذين «لا ينطقون الأسماء العلمية المعرَّبة

¹ مجمع القاهرة، المعجم الوسيط: فَرَس.

² مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً: 187.

³ د. سهيل إدريس ود. جبور عبد النور، معجم المنهل، فرنسي عربي: 669 و682.

إلا كما تُتطَق في اللغات الأوربية»، ويتساءل منكرًا: «فما الذي يُجبرهم على التعاجم، ولماذا لا ينطقون بالحرف (o) وَاوًا كما في (مكروب). فالفرنسيون عندما فرنسوا كلمة (قُبّة) قالوا (كُبّا) بالكاف ولم يضيفوا حرفاً إلى لسانهم»¹. وإلى مثل هذا ذهب الدكتور محمد هيثم الخياط عندما أكّد «عدم ضرورة إدخال بعض الأحرف على الحروف العربية، فالأُمم الأخرى لا تخترع حروفاً جديدة لرسم ما تقتض من لغات أخرى، وإنما تكتب الحرف بأقرب حرف إليه من لغتها، فالإغريقية مثلاً تنقل الدال (ذلتا) والباء (فيفا)، ولا تبتكر أي حرف جديد، وقل مثل ذلك في سائر اللغات»².

وهذا هو المنهج السليم والحميد الذي سار عليه المعجم الوسيط، وانتهجه مجمع القاهرة كما قدّمنا.

5. اشتراط الوزن العربي في المصطلحات المعرّبة

ثمّة وهم لدى بعض المعرّبين أو المصطلحيّين، هو أن الكلمة المعرّبة يجب أن تكون على وزن عربي، وهذا ما لم يشرطه أحدٌ من اللغويين، بدءاً من سيبويه الذي قال عن الكلم المعرّب: «فربّما ألحقوه ببناء كلامهم، وربّما لم يلحقوه... فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فـ (درهم) ألحقوه بهجرس، و(بهرج) ألحقوه بسلهّب، ... وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن نحو خراسان»³. وانتهاءً باللغويين المعاصرين؛ فقد كتب د. محمد حسن عبد العزيز⁴ فقرة ضافية حول (التعريب على غير أوزان العرب)، وبعد أن استعرض الباحث نماذج من المعربات القديمة قال: «ومما سبق نتبيّن منهج العرب فيما عربته من ألفاظ العجم، غيّرت بعض الألفاظ، وألحقت بعضها بأبنية كلامها،

¹ مصطفى الشهابي، ملاحظات لغوية واصطلاحية، مجلة مجمع دمشق، 10:1/37.

² د. محمد هيثم الخياط، الموسم الثقافي السابع لمجمع اللغة العربية الأردني، 38.

³ سيبويه، الكتاب، 303:4.

⁴ د. محمد حسن عبد العزيز، التعريب في القديم والحديث، 71.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

ولم تُلحق بعضها الآخر، وتركت ألفاظاً على حالها دون تغيير، بعضها جاء على أبنيتهم وبعضها لم يجئ عليها. وهكذا يبدو لنا أن المعرب الذي عربته العرب لم يقتصر - ولا ينبغي - على ما ألحقته العرب بأبنيتها¹.

وثمة اعتراض آخر على هذا الشرط - أي الوزن العربي -، وهو أن الألفاظ الأعجمية المعربة لا توزن أصلاً، لأن الوزن قائم على معرفة الحرف الأصلي من الزائد في الكلمة، في حين أن حروف الأعجمي المعرب كلها أصول².

ولكن إذا لم يكن الوزن العربي شرطاً في المعربات، فإن الإيقاع الصرفي العربي شرط فيها، ونعني بالإيقاع الصرفي نسق تتابع الحروف والحركات والسكنات في الكلمات لمعربة على نسق تتابعها في الكلمات العربية³، فإذا لم يكن في العربية وزن (فُعَـلان) لتخرج عليه كلمة (خُرَسان)، فإن هذا الإيقاع موجود في العربية في كلمة (دُعَـان) مثلاً مُتَنَّى دُعَـاء وفي أمثالها، وهذا يعني أن هذا البناء مما لا تأباه العربية؛ لتوافق نسق تتابع الأصوات في كلا الكلمتين. ولعل هذا ما عناه الحريري في قوله عن المعرب: «لأن من مذهبه أنه إذا عُرِّب الاسم الأعجمي رُدَّ إلى ما يُستعمل من نظائره في لغتهم وزناً وصيغة»⁴.

وعلى هذا فلا وجه لتخطئة أو تضعيف تعريب كلمة (تلفزيون)؛ لأنها لا تخرج عن الإيقاع الصوتي العربي، كما لا وجه في تخطئة كلمة (تلفاز) للسبب نفسه، فالصيغتان مقبولتان، وإن كنت أميل إلى (تلفزيون) التي أثبتتها المعجم الوسيط، فالكلمتان تعريبان مقبولان للمصطلح الأجنبي (télévision)، ولا خروج في تعريبهما عن منهج التعريب اللفظي. وتعريب الكلمة الأعجمية على أكثر من صورة وارد في تراثنا اللغوي، فقد استعمل العرب صورتين لتعريب

¹ المصدر السابق.

² شهاب الدين الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، 23.

³ لمزيد من التفصيل ينظر: د. ممدوح خسارة، منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث، 59.

⁴ الحريري، دُرّة الغواص: 171، ود. محمد قاسم الزوكاني، مقاييس التصحيح اللغوي في القديم والحديث، 278.

كلمة واحدة فقالوا: (فِرْدَ وبرْدَ) لحدَّ السيف، وقالوا (هاوَنَ وهاوون) في الكلمة نفسها، وقالوا لعيد الربيع (نَوروز ونَيروز)، والاستعمال هو الذي رَجَّحَ (فِرْدَ وهاوَنَ ونيروز) على الصور الأخرى لتعريبها.

ولكنَّ ثمة وجهاً قوياً لتخطئة من يَعمد إلى مصطلح عربي سائغ وشائع ليبدل به مصطلحاً معرباً، فيدعو إلى اعتماد وتفضيل كلمة (كِتار) المعربة على كلمة (حاسوب) عربية النجار، وحُجَّتُه أن كلمة (كتار) على وزن عربي، وأنه ممَّا يسهل الاشتقاق منها بأن يُقال: (كَبَّرَ ومُكَبَّرَ)، وكأنَّ كلمة (حاسوب) عقيم لم يشتق منها: حَوَسَبَ ومُحَوَسِبَ وحوسبة!!

6. الحرص على أن يكون اسم الآلة أو الأداة على أوزان اسم الآلة

القياسية

وخصَّصنا اسم الآلة في بحثنا، لأن كثيراً من المصطلحات الصناعية والتقنية المعاصرة تدور حول أسماء الآلات والأدوات. وقد لاحظنا أن بعض المعربين والمصطلحيين يحرصون ويصرون على أن يأتي اسم الآلة المستجدة على أوزان أسماء الآلة القياسية المقررة في الصرف، وهي: (مِفْعَل ومِفْعَلَة ومِفْعَال، وفاعول، وفَعَّالَة). وهذا الحرص غير موفق ولا ملزم، لأن أبنية أسماء الآلة في العربية أكثر من هذا بكثير. وهذا ما حمل باحثين ولغويين على تناول هذه المقولة وردّها. وقد صنّف باحث ما سمّاه معجم ما جاء على (فِعال) وحده من اسم الآلة مرتباً ألفبائياً فتحصّل له (398) كلمة مثل: نِطاق، كِظام، لِواء، لِفَاع¹.. وفي استعراض سريع لما جاء في لسان العرب من أسماء الآلة والأداة وجدنا أضعاف ما أُقِرَّ من هذه الأبنية القياسية مثل: (فاعولة): طاحونة، و(فَعْلَة): عتلة، وهي أداة الهدم. و(فَعَل): غلّ وهي المصفاة، و(فاعِل): الصاري وهو عمود السفينة، و(فَعُول): سَفُود وكُلُوب، و(فَعُول):

¹ د. محمد عبده ففل، أضواء على المشكلة اللغوية العربية، 164-191.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

قَدُوم¹. ولذا فنحن مع مَنْ يذهب إلى عدم حصر اسم الآلة في أبنية قليلة وتقييد المترجمين والمصطلحيين بها.

وبالطبع، نحن لا نقول بأن هذه الأبنية التي تعدُّ بالعشرات يمكن الصوغ عليها دائماً، بل نقول بأن لنا أن نصوغ اسم الآلة على هذه الأبنية إذا ألجأنا إلى ذلك ضرورة لغوية مصطلحية، أو غلبَ شيوع مصطلح على غير أوزان اسم الآلة، لكيلا يتذرع بعضهم بأن مصطلح (هاتف) – على شيوعه – ليس سليماً لأنه ليس على وزن من أوزان اسم الآلة، والصواب عنده (مِهْتَاف)!

بل ويذهب بعضهم إلى أن ما يجيء على وزن الآلة لا يجوز أن يصاغ عليه اسمٌ لغير الآلة، كأن يَعتَرَض على كلمة (مِرَاب) لمقابلة كلمة (Garage) الأجنبية، لأن بناء مِفْعَال لاسم الآلة وليس للمكان. وبمنظرة عَجَلَى على بعض ما جاء في ديوان الأدب وجدنا عشرات الكلمات على بناء (مِفْعَال) جاءت للدلالة على المكان مثل: «المِحْرَاب لمصلّى الإمام في المسجد، والغُرْفَة. والمنهاج: الطريق الواضح، والمرصاد: الطريق، والمرحاض: موضع الغائط، والمخلاف: الكورة، والمِشْرَاق: السطح المستوي، والمِحْلال: المكان يحلُّ فيه الناس كثيراً»².

ولعل من أسباب ذلك أن بعض أعضاء لجان المصطلحات أو المعرّبين – على علوّ كعبهم في تخصّصهم – ليسوا على دراية كافية بمذاهب التعبير والدلالة والاشتقاق في العربية، فيجعلون من درايتهم المحدودة قانوناً، وهذا ما يُضَيِّع الوقت في مناكفات لا طائل من ورائها.

ومما يجدر ذكره أن مجمع اللغة العربية في دمشق ينهض بصنع معجم لمعاني الأبنية في العربية، وسوف يكون عند إنجازه مادة أوليّة تأسيسيّة جامعة لمعاني كل بناء في العربية ودلالاته، مما سيغيّر كثيراً من المفاهيم المتناقلة عن حَصْر دلالات في أبنية بعينها.

¹ ينظر د. ممدوح خسارة، معجم الكلمات المصطلحية في لسان العرب (الطب والعلوم والصناعة)، 55 وما بعدها.

² الفارابي، ديوان الأديب: باب، مِفْعَال.

7. الخروج على المصطلحات القارّة

كثيراً ما يطرح بعض الكتاب والمترجمين استبدال مصطلحات جديدة من عندهم بمصطلحات قارّة شائعة بحجّة توحيّ الدقّة في الدلالة، لأن المصطلح الشائع - كما يرون - لا يؤدي المراد والمقصود. وقد ذكرنا من يريد استبدال (كِبْتار) بحاسوب، و(مُفَلِّك) بقمر صناعي، و(لِسْنِيّة) بلسانيات.

ليس لنا أن نحجر على اجتهادات الآخرين أيّاً كانت، لأننا ننطلق من الظن بحسن النية وسلامة القصد عندهم، وأن هذه اللغة ملك لجميع أبنائها. ولكننا نؤمن أيضاً بأن مصطلحاً شائعاً أو قريباً من الشيوع نسبة دقّته (50%) هو أفضل من مصطلح غير شائع ولا قريب من الشيوع نسبة دقّته (90%).

قد يبدو كلامنا منافياً للموضوعية والعلمية عندما نفضل ما نسبة دقّته (50%) على ما نسبة دقّته (90%)، ولكنه في الحقيقة غير مناف لهما، لأن المصطلح كما قدّمنا هو رمزٌ لمفهوم وليس من شروطه استغراق ذلك المفهوم، ولأن الأصل في الاصطلاح هو التوافق بين جماعة المتكلّمين عامّة، أما شرط الدقة فيأتي في المقام الثاني، فهل مصطلح (القِطار) يعبر بدقة عن جميع صفات واسطة النقل تلك وعملها، أم أنه موضوع مجازاً على التشبيه (بِقِطار الجِمال) وهو الصف المتتابع منها، فما رأيكم لو جاء من يدعو إلى تغيير مصطلح القطار لبعده عن الدقّة العلمية، أو لأن هذا المصطلح سليل بيئة بدويّة لا يصلح اسماً لآلة سليّة عصر الصناعة والتقانة؟

ومما يدخل في هذا الباب ما اقترح لوضع مصطلح (الرّمديّ) اسماً لطبيب العيون في العربية المعاصرة و(للخّال) في العربية التراثيّة¹، أو لاستبدال مصطلح (الصُّلب) بمصطلح العمود الفقري أو لاستبدال مصطلح (القُطوع) بهجرة الطيور، أو لاستبدال (القُرْدوحة) بتفاحة

¹ د. الشاهد بوشيعي، نظرات في المصطلح والمنهج، سلسلة دراسات مصطلحية، ع2، فاس، 2003، (عن علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية: 326).

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

آدم¹. ونحن لا نخطئ ما يقترحونه ولا نقلل من قيمته، ولو اقترحتُ بداءة قبل شيوع غيرها لكننا في غاية الإكبار لمقترحيها والرضا بها. أمّا وأن تُقترح بدلاً من مصطلحات شائعة ثابتة، فهذا ما لا نرى له وجهاً مقبولاً.

قد يُعترض على كلامنا بحجّتين:

الأولى: فقهية قانونية وهي (أن الحق قديم وثابت)، بمعنى أنه متى عُرِف الصواب وجب أن يعاد إليه ويؤخذ به. ونردُّ بحجة فقهية قانونية أيضاً وهي (الأخذ بأهون الضّررين)، فإذا كان في نقص الدقّة ضررٌ، فإن في بلبلة المصطلح وتعدّديّته ضرراً أكبر، ثم إن الأخذ بهذه القاعدة سوف يجعل مصطلحاتنا عرضة للتغيّر والتبدّل دائماً، وهذا ما يبعدها من أن تكون مصطلحاً.

الثانية: حجة منهجية وهي أن الأصل في المصطلح اتفاق أصحاب الاختصاص أو العلم، فلا يجوز بقاء مصطلح لم يُتفق عليه. وردُّنا على هذه الحجّة بأن المقصود باتفاق أهل الاختصاص والعلم ليس إجماعهم على المصطلح، بل توافق أكثرية منهم عليه؛ لأن الإجماع غير ممكن في هذا الميدان. يقول د. خياط: والأسلم [من تعريفات المصطلح] التعريف الذي لا يجعل الاتفاق شرطاً في المصطلح، لوجود كثير من المصطلحات لم يحصل عليها الاتفاق بين المتخصّصين»².

والصادم في هذا المقام أنه في حين يُسرُّ القارئ والباحث لشيوع مصطلح عربي أو قبوله عامة، إذا ببعضهم يحاول نقضه، لا لنبقى في فوضى التعددية المصطلحية فحسب، بل لنبقى أيضاً في دوامة المماحكات المصطلحية، أليس من المشاحنات والمناكفات الادّعاء بأن كلمة (بيئة) لا تعبّر عن دلالة (écologie)!!

¹ د. حسان الحاج إبراهيم، المصطلحات في اللغة العربية، كتاب المؤتمر الأول للمجلس الدولي الأول للغة العربية، ج2، 651.

² د. محمد هيثم الخياط، علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحيّة، 81.

8. الاحتكام إلى الذوق اللغوي الشخصي

طالما سمعنا مصطلحيّين أو مختصّين علميّين يعترضون على مصطلح ما، بحجّة أن المصطلح المقترح غريب، وأن الذوق لا يُسيغه. ونحن مع إقرارنا بهذا الاعتراض من حيث المبدأ، نرى أنه لا يصحّ التعويل عليه كثيراً، وحجّتنا في ذلك أنه ليس ثمة مقاييس متّفق عليها لما هو سائغ ذوقياً ولما هو ليس بسائغ. ذلك أن الذوق مسألة شخصية غالباً، فما يراه فلان سائغاً قد لا يراه غيره كذلك؛ فللذوق منطق غير المعروف تماماً، مثال ذلك أنه كان قد اقترح لمقابلة كلمة (dossier) الفرنسية عدة مقابلات هي (سجلّ، مُصنّف، ربيدة، ملفّ، إضبارة، قمطر، دوسيه) والذي شاع منها في الشام هو (إضبارة) وفي مصر (ملفّ) مع أن كلمة إضبارة أثقل على الذوق من بقية مرادفاتِها ولاسيما من كلمة ملفّ.

ولا يكاد متكلم يستعمل اليوم إلا كلمتي (مُذيع وإذاعة)، ولكنه لا يكاد يستعمل كلمة (مُذيع)، بل شاع المصطلح المعرّب لها وهو (راديو)، مع أن الكلمات أو المصطلحات الثلاثة مكوّنة من الأصوات نفسها، وكلها على أوزان عربية، فما مقياس الذوق الذي حُكم في قبول ما قُبِلَ والإعراض عما أُعرض عنه؟

صحيح أنه ليس ثمة مقاييس محدّدة متّفق عليها للذائقة اللغوية، إلا أننا نرى أن ثمة مقياساً عاماً للذوق اللغوي، وهو تحقّق شروط الفصاحة في الكلمة، وذلك يعني خلوّها من التناثر والغرابة ومخالفة القياس.¹ ونؤكد أن هذه الشروط عامّة أيضاً وليست محدّدة تماماً.

وفي ميدان المصطلح العلمي ليس عدُم الإساغة ذوقياً عائقاً أمام المصطلح إذا تحقّقت فيه بقية الشروط، ذلك أن التداول – ولاسيما في التعليم – قادرٌ على تليين ما قسا وصقل ما خشن. ولا أظن أن مصطلح (صاروخ) الذي وُضع لمقابلة (missile) أولاً، كان سائغاً كما هو اليوم، وقد شاع دون أن يشيع نظيره في البناء وهو مصطلح (ناسوخ) الذي اقترح لمقابلة مصطلح

¹ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 7.

(fax)، وشاع تعريبه (فَكَس)¹.

9. إسباغ صفتي (العَلَمِيَّة أو الْعَالَمِيَّة) على كثير من المصطلحات المعاصرة

يذهب بعض المترجمين والمُعَرِّبين إلى اعتبار مصطلحات الاتصالات مثل (واتساب، إسكيب، فيبر) أعلاماً يجب نقلها بألفاظها إلى العربية لأن الأعلام لا تعرَّب. وكأنهم جعلوها كأسماء شركاتٍ مثل (آبل، نوكيا، أديداس).

ولابدَّ من التدقيق قبل إطلاق صفة (العَلَمِيَّة) على كلمة أو مصطلح، وإلا فستغدو معظم المصطلحات الجديدة أعلاماً لا تحتاج إلى وضع مقابل عربي لها بل إلى تعريب لفظي. ومن المعروف أنَّ «العَلَم هو اللفظ الذي يعيَّن مسماه مطلقاً أي بلا قيد»² وأسماء الأعلام في العربية هي أسماء الأماكن وأسماء الأشخاص ثمَّ أسماء الأجناس³. وقد ينقل الاسم أو الفعل أو المركَّبات إلى العَلَمِيَّة إذا قُصد بها التَّخصيص حصراً، كما قد تُنقل بعض الأعلام إلى غير العَلَمِيَّة إذا اكتسبت دلالة عامة جديدة كانتقال اسم العَلَم العربي (عنتره) إلى معنى (الشجاع)، وانتقال اسم العَلَم الأجنبي (سندويش) إلى معنى الشطيرة، ولذا نقل هذا العَلَم الأجنبي إلى العربية ترجمة بـ (الشطيرة)، وليس نقلاً لفظياً، لأن المراد هو الدلالة العامة المكتسبة، وليس العَلَمِيَّة الخاصة.

نعم وقد تكتسب بعض الكلمات الأجنبية صفة العَلَمِيَّة مثل (كوزموس تشالنجر)⁴، ولكن إطلاق صفة العلمية على كل ما يُسمَّى من المبتكرات والتقانات والمنتجات والمستحدثات سوف

¹ قلنا (فَكَس) لتجنُّب النقاء الساكنين في تعريبها بـ (فَكَس) التي ليست هي على وزن (فاعل) في العربية كما قد يَنَوِّهَم.

² ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 1: 118.

³ عباس حسن، النحو الوافي، 1: 208.

⁴ (كوزموس) تعني (الكون) وصارت علماً على برنامج فضائي. (تشالنجر) تعني (التحدِّي) وصارت علماً على سفينة بحوث بحرية، ثم مكوك فضائي. (الموسوعة العربية العالمية - الكشف الجغرافية: 39. عن المكتبة الشاملة).

يلزمنا بنقلها تعريباً بألفاظها إلى لغتنا، ولا يبقى ثمة حاجة للترجمة أو التوليد أو المقابل العربي، فتطغى المعرّبات الأجنبية طغياناً مؤذياً ومخرباً، ولا يمكن أن يُعدّ ذلك تطويراً للغة أو إغناء لها، لأن تطوير اللغة وإغناءها إنما يكون بإعمال خصائصها الذاتية في التوالد، وإطلاق قواها الكامنة في أصولها.

ومع إقرارنا بصعوبة التمييز أحياناً بين ما يمكن أن يُعدّ علماً أو غير علم، فإن الأمر يحتاج - كما قلنا - إلى كثير من التروّي والتريث قبل الحكم؛ لأن الأصل في الكلمات العموم والإطلاق، ولكنها قد تنتقل إلى التخصيص بالعلمية، فعلينا التحقق أولاً من أن تلك الكلمة الأجنبية قد انتقلت إلى (العلمية) لنقلها إلى العربية تعريباً لفظياً لا ترجمة أو توليداً.

ومع ذلك فقد رأينا العرب تنقل إلى العربية أعلاماً أجنبية، بالترجمة أو التوليد، مثال ذلك أنها قالت: (جنوب إفريقيا) ترجمة، ولم تقل (سيد أفريك)، وقالت: (ساحل العاج) ترجمة لاسم الدولة وليس (كوت ديفوار) وقالت: (المحيط الهادي) ولم تقل (باسيفيك) وقالت: (روسيا البيضاء) غالباً وليس (بيلوروسيا)، وقالت: (البيت الأبيض) وليس (وايت هاوس).

وليست العربية بدعاً في ذلك، فهذا ما فعلته بعض اللغات الأجنبية عندما نقلت أعلاماً عربية بالترجمة إلى لغاتها ولم تُعجمها، ومن ذلك أن القديس (بُطرس) أشهر الاثني عشر حوارياً كان المسيح عليه السلام لقّب به - (كيفاً) أي (صخر)، بالأرامية فترجم إلى اللاتينية - (بُطرس) ومعناه الصخر.¹ ولم ينقلوا اسم مدينة (تدمر) بلفظه العربي أو الجزيري إلى اللاتينية، بل وضعوا لها (بالميرا) نسبة إلى النخيل الذي عُرفت به. ونقل الإسبان اسم العلم العربي لمدينة (الدار البيضاء) إلى الإسبانية - (كازا بلانكا)²، وهو ترجمة حرفية لاسم العلم العربي. ما نريد قوله هو أنه لا يتحتّم دائماً نقل أسماء الأعلام من لغة إلى أخرى بألفاظها، وإن كان ذلك هو الغالب.

¹ هيئة الموسوعة العربية، الموسوعة العربية، 156:5.

² المصدر السابق، 102:9.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

والذي أرجّحه في أسماء برامج الاتصالات والخدمات المتقدمة الذكر وأمثالها أن تُعامل معاملة عنوانات الكتب، فتُترجم بمعانيها كما تترجم العنوانات. فقد ترجم العرب اسم كتاب أرسطو بـ (المنطق)، واسم قصة هيغو بـ (البؤساء) واسم رواية ديكنز بـ (قصة مدينتين). وكان الغربيون قد نقلوا اسم كتاب (ألف ليلة وليلة) إلى لغاتهم ترجمة لا نقلاً لفظياً، فقال الفرنسيون (mille nuits et nuit)، وأقول بالترجيح، لأنه يمكن أن نضع إلى جانب الاسم المعرّب الاسم العربي توليداً أو ترجمة، فنقول مثلاً: في كلمات التواصل الاجتماعي (الواجهات - فِيسْبُوك) (التغريدات - تويتر) (خدمة السّماوي - اسكيب)، فذلك خير من التسرّع والبتّ في نقلها بألفاظها الأجنبية. ويقوّي ما نذهب إليه أنه بدأت تشيع كلمتا (التغريد والمغرّد) إلى جانب (تويتر)، وكلمة (الوسم أو الوسمة) إلى جانب (هشّتاغ). وقد سبق أن شاعت بدرجة حسنة كلمة (شابكة) التي أقرها مجمعا القاهرة ودمشق مقابلاً للإنترنت.¹ ولا نستبعد أن يغلب استعمال هذه الكلمة العربية على الكلمة المعرّبة.

كما يذهب بعض المترجمين والمعرّبين إلى عدّ كلمات مثل (موبايل، بترول، أو ثُوروت، إيز..) كلمات عالمية يجب نقلها بألفاظها مُماشاةً لهذه العالميّة، فكانها صارت بمنزلة أسماء الأعلام التي لا يصحّ وضعُ مقابل عربي لها.

نحن لا ننكر أن ثمة مصطلحات عابرة للغات - كما يقال - ولكن لم يصل مصطلح ممّا يدّعون عالميّة إلى أن تُجمّع عليه معظم اللغات؛ فالفرنسيون يقولون للموبايل (سوليلير)، والروس يقولون للبترول (نفّتا)، والألمان يقولون للأوتوروت (أوتوبان). والفرنسيون يقولون للإيز (سيداً)... وإذا أخذنا بكلام أولئك النّفَر من المترجمين فسوف يصلون بنا إلى مقولة مؤداها أن كل مصطلحات التقانة الحديثة صارت أعلاماً أو عالميّة. وليس هذا بصحيح؛ بدليل أن المدارس صارت تستعمل مصطلح (الحاسوب اللّوحي) العربي بدل (آي باد) المعرّب، وأن الناس صاروا يستعملون (التغريد والتغريدات والمغرّد) بدل (تويتر) ومشتقاته، حتى إنه اقترح

¹ ينظر قائمة الألفاظ والأساليب (الدورة 78) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 41.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية إنشاء موقع إلكتروني باسم (رواق التغريد الفصيح أو رواق المغرّد الفصيح)¹. ولا نستبعد أن يقال (كتب فلان على واجهته) بدل (كتب على صفحته في الفسبُك). ويلحظ أنه قد غلب استعمال (هاتفَ ومهاتفة) بدلاً من (تَلَفَن وتَلَفنة).

ويحسن أن تشير إلى كلمات كان قد ادّعى عالميَّتها وأنها لن تزول من العربية؛ قال الشيخ عبد القادر المغربي: «أذكر طائفة من الكلمات لا يمكن إماتتها وينبغي الترخيص باستعمالها: «بوسطة، تلغراف، جرنال، شنطة، أوتيل، برنيطة...»². واليوم وبعد خمسين سنة على كلام المغربي نتساءل: من يستعمل منا الآن هذه الكلمات التي ظنَّ أنها لن تزول؟ لقد زالت؛ لأن من طبيعة الناس أن يعودوا إلى لغتهم الأم ولو بعد حين. ولعلَّ كثيراً منا يتتدَّر بكلمات كان يستعملها جدّه أو جدّته من نحو (قُرَيْطَة) للمجلة معرَّب (GAZETTE) أو (بوسطة) لمركز البريد أو السيارة معرَّب كلمة (POSTE).

10. تعريب العربيّ المُعْجَم

ثمّة كلمات عربية دخلت إلى اللغات الأوربية قديماً، ودوّنتها معاجمها ومراجعها. ونحن اليوم ننقل ونستعيد تلك الكلمات العربية الأصل إلى لغتنا. ومن الغريب أن بعض المترجمين والمعربين يحرصون على تعريب تلك الكلمات بلفظها الأجنبي ولا يعيدونها إلى أصلها العربي كأن ينقلوا (ALCOOL) إلى (ألكول) بدل الغول أو الكحول. أو يقولوا: (كالي) بدل (القلي) أصلها العربي. أو يعيدون تعريب (siphac) إلى (سيفاك) بدل العودة إلى أصلها العربي (الصَّفَاق)³. وأكثر ما يقع هذا في ترجمة الأطالس الجغرافية. حيث عربَّ بعضهم أسماء أعلام عربية، فقالوا (برادة) وهو نهر (بردى) وقالوا (محلولة) وهي بلدة (معلولا)⁴، وقالوا (برنيقا)¹

¹ ينظر محضر الاجتماع السنوي لاتحاد مجامع اللغة العربية بالقاهرة للعام 2014، ص 6.

² عبد القادر المغربي، حول قرار التعريب، مجلة مجمع القاهرة، ع5: 97.

³ د. محمد هيثم الخياط، المحاضرة الافتتاحية للمؤتمر التاسع مجمع دمشق: ص 13.

⁴ بلدة سورية آرامية وما زال أهلها يتكلمون الآرامية.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

تعريباً لـ (bérénice) وهي مدينة (بني غازي) الليبية المعروفة.

إنَّ الواجب في الكلمات العربية المعجمة أن نعيدها إلى لفظها العربي إلا إذا اكتسبت تلك الكلمات دلالات جديدة في اللغات الأجنبية، وعندئذ يجب ترجمتها بدلالاتها الجديدة. وعلى سبيل المثال فقد أخذ الغربيون كلمة (أمير البحر) وعجموها إلى (أميرال)، فهذه عند إعادتها مجدداً إلى العربية لا يصح أن تعاد إلى (أمير البحر)، لأنه صار لها دلالة جديدة هي: رتبة عسكرية عالية في القوات البحرية ويقابلها في العربية (فريق بحري)²، كما لا تعاد (أميرالية) إلى أصلها العربي (إمارة البحر)، بل إلى دلالتها الجديدة وهي (القيادة البحرية). على أنه إذا وردت في نصوص تاريخية أو روائية قديمة فإنها تنقل بأصلها العربي وهو (أمير البحر أو إمارة البحر) لأن الكلمة لم تكن قد اكتسبت دلالتها الجديدة المعاصرة.

وقريب من هذا أن الغربيين كانوا قد أخذوا كلمة (برقوق) من العربية فقالوا (obricot). وقد أعادها بعض المترجمين العرب إلى (برقوق)، وهذا ليس بصحيح لأن البرقوق في العربية (الخوخ أو الإجاص)³، ولكن يبدو أن الغربيين أخذوا هذه الكلمة عن بعض العرب الذين كانوا يطلقون على (المشمش) اسم البرقوق، ولذا يجب نقلها إلى العربية اليوم بترجمتها (المشمش) وليس بنقلها لفظياً (برقوق)⁴. بحجة إعادتها إلى أصلها العربي.

11. تَمَحُّلُ وضع مقابل عربي لكل كلمة أجنبية من ألفاظ الحضارة

لا نستطيع أن نحمل إلا على وجه المزاح والهذر والمعجزة، طلب بعضهم - عن حسن نية أو سوء نية - إلى دعاة التعريب والمصطلحيين أن يضعوا مقابلات عربية لكل كلمة أو مصطلح أجنبي أيّاً كان، كأسماء المأكولات مثل (الشوكولا والكاتشب والكوردون بلو...) أو

¹ د. أحمد عيسى، التهذيب في أصول التعريب، 132.

² د. سهيل إدريس وجبور عبد النور، المنهل، معجم فرنسي عربي، ص 64.

³ ينظر المعجم الوسيط (الإجاص، قرص، كمثرى).

⁴ د. حسان الحاج إبراهيم، المصطلحات ووضعها في اللغة العربية، كتاب المؤتمر الدولي الأول للغة العربية، 25.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

أسماء الشركات التجارية مثل (شلّ، بوينغ، هوندا...) . وذلك أن العربية – كغيرها من اللغات – ليست ملزمةً حتماً بوضع مقابل لأسماء الأطعمة والأشربة الأجنبية، ولكن من أسماء الملابس والأكسية والعلامات التجارية، لأن تلك الكلمات ليس لها صفة الديمومة، إذ لا تلبث تلك المُسمّيات أن تختفي في لغات أهلها أنفسهم، فمن منا يعرف أسماء الأطعمة العربية المحليّة التي كان يصنعها أهلنا قبل مئة عام فقط؟ ومثلها أسماء الملابس. والواقع أنه لا أحد من دعاة العربية والتعريب يدعو إلى وضع مقابلات عربية لها، قد لا تعيش لتدخل المعجم العربي. ومن السذاجة أن نجعل على مستوى واحد من حيث الضرورة اللغوية – وَضَعَ مقابلات عربية لمصطلحات مثل (ساتليت، بولدوزر، ميكروويف) مع وَضَعَ مقابلات لأسماء الأطعمة والأشربة التي لا تلبث أن تتغير بين عام وآخر. ومعروف أن الغربيّين قالوا: (حُمُص وتَبُولَة وكَبَّة وعِقال...) ولم يترجموها.

12. تجاوز أهل الاختصاص

المصطلح – كما قدمنا – اتفاق جماعة مخصوصة على أمر مخصوص، أي إن أهل الاختصاص هم الأولى بوضع مصطلحات علمهم وعملهم. وعندما نقول (أهل الاختصاص)، فإننا لا نعني المختصّين العلميّين فحسب، بل نعني أيضاً الحرفيّين والصنّاع. فإذا اتفق المهندسون – ممثّلين بكليّاتهم أو نقاباتهم أو اتحاداتهم – على مصطلح لما له صلة باختصاصاتهم، فلا يجوز للطبيب أو الأحيائي أن يخطئ هذا المصطلح لأن له مقابلاً آخر في اختصاصه، فالثابت أن المصطلح ليس له دلالة واحدة إلا في علم واحد، وقد لا يحمل الدلالة نفسها في علوم أخرى، وعلى ذلك فتباين المقابل العربي للمصطلح الأجنبي الواحد بحسب كل علم هو حقيقة لا مفرّ منها، ولنأخذ على سبيل التمثيل مصطلحاً واحداً من مصطلحات (معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا – مكروهيل) وهو من المعاجم الرفيعة المستوى والعالية الدقة، وليكن هذا المصطلح هو (dissociation)، فسوف نجد أن هذا المصطلح مشترك بين عدد من

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

- العلوم كما هو مبين، ولكن مقابله العربي يختلف من علم إلى آخر¹، كما يلي:
- في علم الأحياء الدقيقة: انفصالية: ظهور مستعمرة من نمط جديد على وسط قاسٍ بعد إجراء زراعة جزيئة واحدة لعضويات دقيقة.
 - في الطب: فرقان، افتراق: العمل المستقل وغير المتسق للأذنين والبطينين.
 - في الكيمياء: تفكك: فصل جزيء أو جزيئين أو أكثر (ذرات شوارد، جذور) باصطدامه بجسم آخر.

وبناء على ما سبق، فإذا كان مصطلح (radical) يقابله مصطلح (جذري) عند عالم الاجتماع، فليس لمختص الإعلام أن يخطئه لأن هذا المصطلح عنده يعني (أصولي). كما لا يجوز أن يعترض اللغوي على مصطلح الإعلامي بحجة أن في المصطلح نسبة إلى الجمع، والقاعدة الصرفية أن النسبة تكون للمفرد، ما دام للنسبة إلى الجمع وجة في العربية كما في قولهم: (أخباري وقلانسي). وإذا استعمل الكيميائي مصطلح (ماءات الكالسيوم) لا يجوز للغوي أن يعترض بأن (ماء) تجمع على (مياه وأمواه) فقط. وإذا استعمل مهندسو الطرق مصطلح (كتف الطريق) ليقابلوا مصطلح (banquette) فلا يصح أن يعترض عليه مختص اللغة الأجنبية بحجة أن الكتف للإنسان وأن هذا المجاز ليس معروفاً في لغته الأجنبية.

13. توهم أن التعددية المصطلحية خاصة بالمصطلح العربي

يأخذ كثير من الباحثين على المصطلح العربي إشكالية تعدديته. وهو مأخذ حق لا يمارى فيه، فقد وُضع لمقابلة (pragmatics) ثمانية مقابلات منها ذرائعية، نفعية، براغماتية²...

لكن ثمة وهمين في فهم هذه الإشكالية:

¹ معهد الإنماء العربي، معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا، مكروهيل، 1:884.

² د. محمد حلمي هليل، ندوة التعريب، رؤية واقعية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع 77:62.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

الأول هو الظنّ أن هذه الإشكاليّة خاصّة بالعربية¹، وذلك أنه ما من لغة إلا وفيها تعدّدية مصطلحية، ففي الفرنسية وضع للمصطلح الإنكليزي (talkiewalkie) خمسة مقابلات منها: (top- toc، émetteur récepteur، telephone portatif)²... ولولا التعدّدية المصطلحية في اللغات الأوربيّة لما عُقدت المؤتمرات الدولية لتوحيدها، كمؤتمر علماء النبات سنة 1869م، ومؤتمر علماء الحيوان سنة 1889م، ومؤتمر علماء الكيمياء سنة 1892م، ولولاها لما قرّرت اللجنة الدولية للصناعات الكهربائية سنة 1906م «عمل مصطلحات موحّدة للصناعات الكهربائية»³.

والوهم الثاني: المبالغة في تضخيم ظاهرة التعدّدية المصطلحية في العربية. فقد قام الدكتور أحمد شفيق الخطيب وهو من كبار المعجميين والمصطلحيين العرب بدراسة شملت مجموعة معاجم علمية متخصصة فنتيّن له أن 86% من المصطلحات فيها موحّدة تماماً وأنّ 8% موحدة جزئياً، وثمة خلاف في نحو 6% من المصطلحات. وكان ذلك كما يلي:

- من (480) مصطلحاً في الهندسة (344) مطابقة تماماً و (102) مطابقة جزئياً و (34) مختلفة.
- ومن (486) مصطلحاً في الأحياء، (424) مطابقة تماماً، و (44) مطابقة جزئياً، و (18) مختلفة.
- ومن (661) مصطلحاً في الفيزياء، (541) مطابقة تماماً، و (88) مطابقة جزئياً، و (32) مختلفة.⁴

بل إن بعض المصطلحيين يتعمّدون وَضَع عدة مقابلات للمصطلح الأجنبي الواحد، ليتركوا للمختصّين ترجيح واحد منها، فيكون ما يفرض التوحيد للمصطلح هو الاستعمال والشيوع لا التحكّم الفردي.⁵

¹ كيفورك ميناجيان، الرئويّ والرئويّات، مجلة مجمع القاهرة 94:26.

² د. محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها تنميطها، 68.

³ د. محمود فهمي حجازي، علم المصطلحات، مجلة مجمع القاهرة ج 59، 59-60.

⁴ د. أحمد شفيق الخطيب، حول ندوة التعاون في المصطلحات، مجلة المجمع الأردني ج 2، 318.

⁵ د. نزار الزين، عملية التعريب ومستلزماتها، مجلة الوحدة ع 33، 38.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

ومعروف أن مكتب تنسيق التعريب في الرباط قد أنجز ما يربو على أربعين معجماً موحداً في علوم شتى مما أقرته مجامع اللغة العربية ومؤتمرات التعريب. ولقد أشرنا إلى هذا الوهم وفندناه، لأن أعداء تعريب التعليم في الوطن العربي يشترطون توحيد المصطلح العلمي العربي أولاً وقبل البدء بتعريب التعليم، ولما كانت المصطلحات متجددة والتعددية واقعة لا محالة، فإن اشتراطهم يدخلنا في دور فاسد - كما يقال في علم الكلام - عندما يُربط التعريب وهو ثابت، بتوحيد المصطلح وهو متحول.

14. الإزراء بجهود المجامع اللغوية العربية في وضع المصطلح

نسمع بين الحين والآخر انتقادات عريضة لعمل مجامع اللغة العربية في حقل وضع المصطلحات وهؤلاء المنتقدون هم واحد من اثنين:

الأول: كاتب لم يطلع على جهود مجامع اللغة العربية ولاسيما مجمع اللغة العربية في القاهرة، فقد وضع مجمع القاهرة وحده ما يزيد على نصف مليون مصطلح في مختلف العلوم، ونشرها في أكثر من أربعين كتاباً بعنوان (مجموعة المصطلحات التي أقرها المجمع). ولما كانت كل مجموعة تضم مصطلحات في علوم مختلفة، فقد عاد وصنفها في معاجم متخصصة، فواحد للفيزياء وآخر للطب وثالث للآثار... حتى أربت على العشرين معجماً متخصصاً.¹ وقد جاءت معظم مصطلحاته على مستوى عال من الدقة والصلوحية، ذلك أن المجمع يضم أعضاء وخبراء هم أعلام في علمهم واختصاصهم. كما أن لمجمع بغداد والأردن جهوداً طيبة ومشكورة.

ولكن اللغة العربية - كأية لغة - هي أكبر من مجامعها، لأنها لغة أمة ومجتمع، والكل مطالب بأن يسهم في الاجتهاد والمبادرة إلى اقتراح المصطلح العربي ونشره واستعماله في

¹ ينظر: د. محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع القاهرة، 164. وينظر: د. أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية والمصطلح، مجلة مجمع القاهرة، ع 52:53.

كتابات، والذين يقولون: لا تعتمدوا على المجامع في وضع المصطلحات. معهم نصف الحقيقة، أما الحقيقة كاملة فهي (لا تعتمدوا على المجامع وحدها في وضع المصطلحات)، لأن هذه مهمة أبناء الأمة جميعاً أفراداً ومؤسسات، من مجامع وجامعات ومراكز بحوث ومراكز ترجمة وتعريب واتحادات علمية ومهنية، كلٌ بحسب حاجته وإمكاناته، وللمجامع والمؤسسات اللغوية الرسمية حقٌ مناقشة كل المقترحات والأوضاع والترجيح إن أمكن والتوحيد والتنميط إن قدرت. ولا بُدُّ من التذكير بأن مصطلحات شائعة كثيرة مثل (طائرة، غواصة، رَدَّه، جريدة، دراجة...)، إن لم تكن المجامع قد وضعتها بصفتها الرسمية فقد وضعها في الغالب أعضاء تلك المجامع من العلماء بصفتهم الفردية الشخصية وهو ما يصبُّ في المحصلة النهائية في جهود المجامع مؤسسات وأفراداً. وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من المصطلحات الإدارية والمكتبية في الشام كانت من وضع مجمع دمشق عند تعريب الإدارات فيها بعد الاستقلال.

النوع الثاني من المنتقدين هو المزري بأعمال المجامع عن جهلٍ بلغ به أن ينسب إلى مجمع العرب العريق مجمع القاهرة أنه وضع عبارة (الشاطر والمشطور والكامخ بينهما) مقابلاً لكلمة (سندويش)، وهي عبارة اخترعها بعض المنتدّرين المتظارفين المعادين للعربية ومجامعها، ولم ترد - بحسب علمي - على لسان أيٍّ من أعضائه أو في محاضر جلساته، وما يُردّد هذا القول إلا حاقداً أو جاهلاً.

نجل ما سبق بأن في العربية طرائق عامة متفقاً عليها لوضع المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي، وهي مماثلة لما في غيرها من اللغات العالمية. ولكن ثمة مفاهيم خاطئة تعترض هذه الطرائق عند التطبيق العملي والممارسة تؤدي إلى عرقلة العمل المصطلحي العربي وتشتتته وإضعاف مخرجاته. ولعلّ فيما قدّمنا ما يُسهّم في تجلية تلك المفاهيم الخاطئة وتصحيحها.

اللهم علّما ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا.

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

المصادر والمراجع:

1. أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج، د. مسعود بوبو، مؤسسة النوري، دمشق (د. ت).
2. الأسس اللغوية لعلم المصطلح، د. محمود فهمي حجازي، الناشر مكتبة غريب، مصر (د. ت).
3. الاشتقاق والتعريب، عبد القادر المغربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947.
4. أضواء على المشكلة اللغوية العربية، د. محمد عبده فلفل، نشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2013.
5. أعمال مجمع القاهرة، مناهج ترقية اللغة تنظيراً ومصطلحاً، د. محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.
6. الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ط4، 1961.
7. الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، 1998.
8. التعريب في القديم والحديث، د. محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990.
9. التعريب والتنمية اللغوية، د. ممدوح خسارة، دار الأمالي، دمشق، 1994.
10. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، 1978.
11. التقريب لأصول التعريب، طاهر الجزائري، المكتبة السلفية، مصر، 1918.
12. التهذيب في أصول التعريب، د. أحمد عيسى، ط1، القاهرة، 1923.
13. تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، د. أسعد علي، ط4، دمشق، 1988.
14. الجامع لمفردات الألووية والأغذية، ابن البيطار، دار المدينة (د. ت).
15. دُرّة الغواص في أوهان الخواص، الحريري، تح. بشار بكور، دار الثقافة والتراث، دمشق، ط1، 2002.
16. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980.
17. شرح التصريف العزي، الشريف الجرجاني، تح. أسيدة شهنيدر، دار شراع، دمشق، ط1، 2007.
18. شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، تح. عبد المنعم الخفاجي، القاهرة - (د. ت).
19. علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحيّة، د. محمد هيثم الخياط، نشر أكاديميا، 2007.
20. علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، د. ممدوح خسارة، دار الفكر، دمشق، ط2، 2013.
21. الفاخر في شرح جمل عبد القاهر في النحوي، محمد بن أبي الفتح البعلبي الحنبلي، تح. د. ممدوح خسارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2002.
22. الكتاب، سيبويه، تح. عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت (د. ت).

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

23. كتاب الصيدنة، البيروني، تح. الحكيم محمد سعيد والدكتور إحسان إلهي، تحت إشراف مؤسسة همدرد الوطنية، كراتشي، باكستان، 1973.
24. كتاب المؤتمر الدولي الأول للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، بيروت، 2012.
25. مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1984.
26. المخصّص، ابن سيده .
27. المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مصطفى الشهابي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2، 1965.
28. معجم الألفاظ الزراعية، مصطفى الشهابي، مطبعة الجمهورية السورية، دمشق، 1943.
29. معجم تاج العروس، الزبيدي.
30. معجم الصحاح، الجوهري.
31. المعجم العسكري الموحّد، جامعة الدول العربية، دار المعارف بمصر، 1971.
32. معجم الكلمات المصطلحية في لسان العرب (الطب والعلوم والعمارة والجغرافية والجيولوجية والصناعة والتقانة)، د. ممدوح خسارة، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 2007.
33. معجم لسان العرب، ابن منظور.
34. معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا، مكروهيل، معهد الإنماء العربي، تحرير محمد دبس، بيروت، 1986.
35. معجم (المنهل فرنسي، عربي)، د. سهيل إدريس وجبور عبد النور، دار الآداب، بيروت، ط11، 1990.
36. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
37. المعرّب والدخيل في المعاجم العربية، د. جهينة نصر علي، دار طلاس، دمشق (د.ت).
38. المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، تح. أحمد محمد شاكر، دار الكتب، القاهرة، ط2، 1969.
39. المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، د. محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، 1980.
40. منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث، د. ممدوح خسارة، الدار المتحدة ومؤسسة الرسالة، دمشق، 1999.
41. المهدّب في ما وقع في القرآن من المعرب، السيوطي، تح. التهامي الراحي، صندوق إحياء التراث، الرباط، (د.ت).

..... وضع المصطلح العربي وتصحيح المفاهيم الخاطئة في التطبيق

42. الموسم الثقافي السابع لمجمع اللغة العربية الأردني، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 1989.

43. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، (د.ت.).

الدوريات:

– مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والنشر بدمشق، الأعداد 3، 8، 45.

– مجلة مجمع اللغة العربية الأردني: ج 32.

– مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: مج 56.

– مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ج 5، 26، 32، 53، 59.

– المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، العدد 62.

– مجلة الوحدة، الرباط، العدد 32.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

التصاوغ

د. عبد الحليم منصور

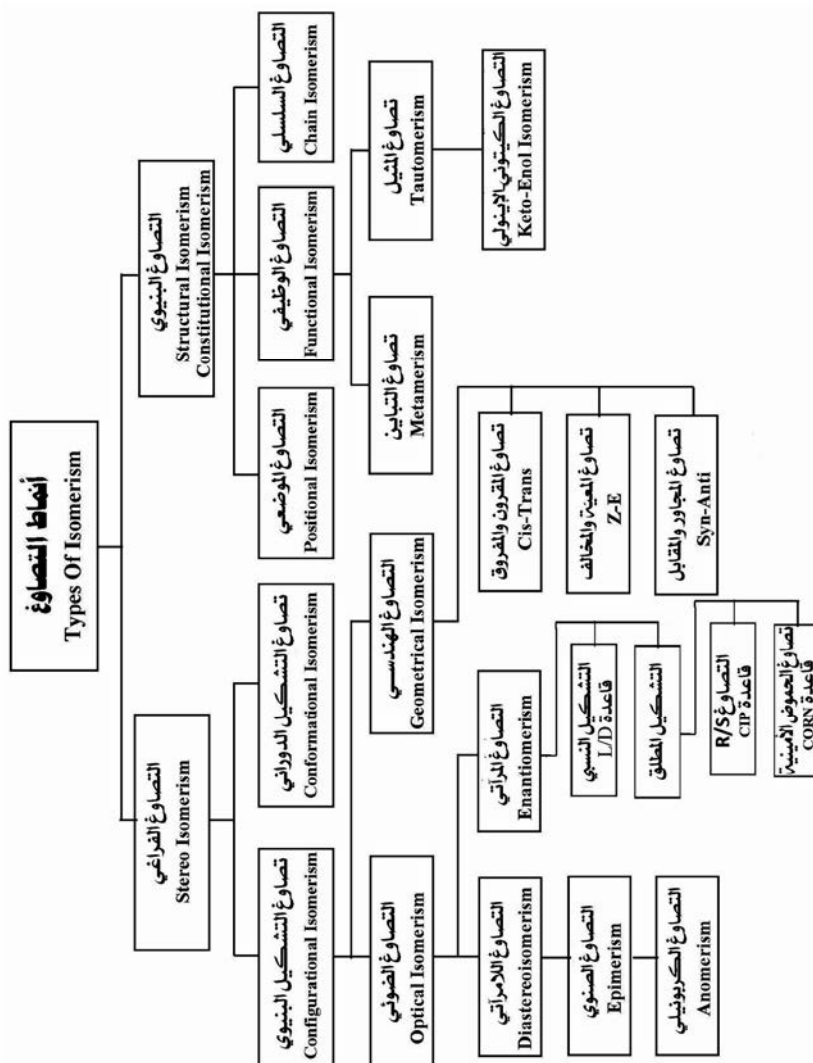
جامعة دمشق

كلمة هذا المصطلح الأجنبية مأخوذة من اليونانية (Isos-) وتعني التساوي، و(-meros) وتعني الأجزاء. وهو يدل على وجود مركبات كيميائية، تُعرف بالمصاوغات (Isomers)، في جزيئاتها الأعداد ذاتها من ذرات العناصر ذاتها؛ أي إن لها صيغة جزيئية واحدة، إلا أنها تتباين فيما بينها، إمّا ببنائها الجزيئية، فيما يُعرف بالتصاوغ البنّوي (Structural Isomerism)، أو بالتصاوغ التكويني (Constitutional Isomerism)، أو تتباين بترتيب ذراتها في الفراغ، فيما يُعرف بالتصاوغ الفراغي (Stereoisomerism). يبين الجدول التالي هذين النمطين الرئيسيين من التصاوغ وما يتفرع عنهما.

1. التصاوغ البنّوي Structural Isomerism

هو وجود مركبين، أو أكثر، لهما الصفة الجزيئية ذاتها، ومختلفان بنيويًا فيما بينهما بطريقة ترتيب الذرات فيهما، دون أن يتضمّن هذا الاختلاف أيّ ترتيبات تنشأ عن دوران الجزيء، أو بعض مكوناته، حول روابط محدّدة فيه. ولهذه المصاوغات، بوجه عامّ، خصائص فيزيائية وكيميائية مختلفة.

يتضمن هذا التصاوغ ثلاثة أنواع فرعية هي: التصاوغ السلسلي والتصاوغ الوظيفي والتصاوغ الموضعي.

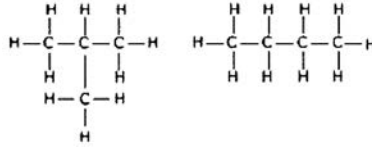


1.1. التصادوغ السلسلي Chain Isomerism

يُلاحظ هذا النوع من التصادوغ في الألكانات (وكانت تُعرف سابقاً بالبارافينات)، التي في

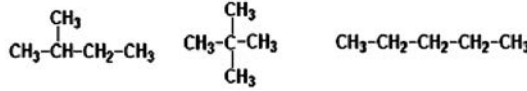
التصاوغ

ذراتها أربع ذرات كربون فأكثر، وتنشأ المصاوغات بسبب تفرّع سلاسل الكربون الهيكلية. فلبوتان (C_4H_{10}) مصاوغان، أولهما ذو سلسلة مستقيمة هو البوتان النظامي، والثاني ذو سلسلة متفرّعة هو الإيزوبوتان.



البوتان النظامي الإيزوبوتان

وللبنتان (C_5H_{12}) ثلاثة مصاوغات، هي البنتان النظامي والنيوبنتان والإيزوبنتان.

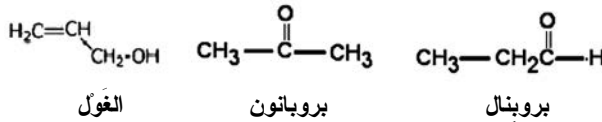


الإيزوبنتان النيوبنتان البنتان النظامي

ويزداد عدد المصاوغات بازدياد عدد ذرات الكربون في الجزيء؛ فلأوكتان (C_8H_{18}) ثمانية عشر مصاوغاً، ويزداد هذا العدد ليبلغ عشرات الآلاف عندما يصبح عدد ذرات الكربون في الجزيء سبع عشرة ذرة.

2.1. التصاوغ الوظيفي Functional Isomerism

تلاحظ في هذا التصاوغ مجموعات وظيفيّة مختلفة، لانتماء المصاوغات إلى طوائف مختلفة من المركبات. فأحد مصاوغات الجزيء (C_3H_6O) وهو ألدهيد (البروبنال) ومصاوغه الثاني هو كيتون (البروبانون)، ومصاوغه الثالث هو غول في جزيئه رابطة مضاعفة.



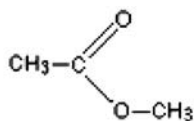
الغول

بروبانون

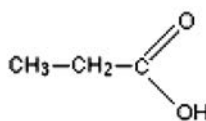
بروبنال

كما أن أحد مصاوغات الجزيء ($C_3H_6O_2$) هو حمض البروبانويك، وأحدها الآخر هو إستر إيتانوات الميثيل.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م



إستريئاتوات الميثيل



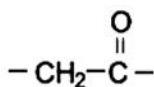
بروبانويك

وهذا التصاوغ على نوعين:

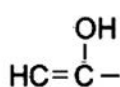
1.2.1. تصاوغ الميثيل Tautomerism

الكلمة مأخوذة من اليونانية (tauto-) وتعني الميثيل، و (-meros) وتعني الأجزاء.

وهو تصاوغ مركّبات عضوية تتحوّل داخلياً فيما بينها بصورة سريعة، فينشأ توازن بين المصاوغين يتعذر معه فصل أحدهما عن الآخر، ويُعدّان لذلك كأنّهما مُركّب واحد. ينشأ هذا التصاوغ من انتقال ذرّة هيدروجين في جزيء المُركّب إلى ذرة أخرى فيه، وتُبدّل الرابطتان الأحادية والمضاعفة المجاورة موضعيهما في الجزيء.



الكربونيلية



الإنولية

يُعدّ التصاوغ الكيتوني- الإنولي (Keto-Enol Tautomerism) أهم أنواع هذا التصاوغ، حيث ينتقل فيه ذرة الهيدروجين (H) من المجموعة الكربونيلية، مُنشئة مجموعة إنولية، كما في تحوّل جزيء الأسيتون بين شكله الكيتوني والإنولي.

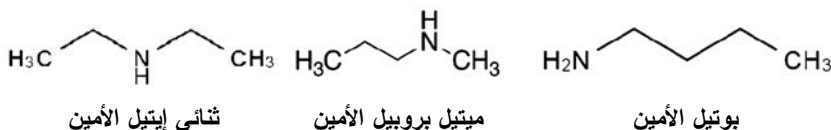


2.2.1. تصاوغ التباين (التناوب) Metamerism

من اليونانية (meta-) وتعني التناوب و (-meros) وتعني الأجزاء. هو تصاوغ بين مُركّبات من النوع ذاته، وهو في المثال التالي تصاوغ مشتقات أمينية، إلا أن في بنيتها مجموعات

التصاوغ

مختلفة في طبيعتها وموقعها، ولها من ثَمَّ خصائص كيميائية مختلفة، كما في التصاوغ بين بوتيل الأمين وميثيل بروبييل الأمين وثنائي إيثيل الأمين:

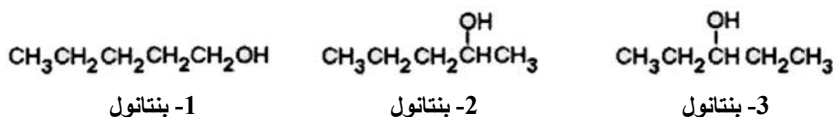


3.1. التصاوغ الموضعي Positional Isomerism

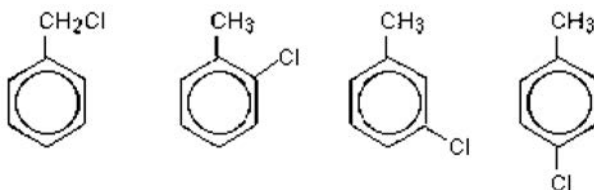
هو تصاوغ تحافظ سلسلته الهيكلية على وضعها، وتُبدَّل ذرات أو مجموعات مواقعها حول هذا الهيكل. فليبروم البروبان ($\text{C}_3\text{H}_7\text{Br}$) عدة مصاوغات، ترتبط ذرة البروم (Br) في أحدها في طرف السلسلة، وترتبط بآخر في منتصفها:



وللبنتانول (الغول البنيلي $\text{C}_5\text{H}_{11}\text{OH}$) ثلاثة مصاوغات:



ولبعض المركبات الحلقية مثل هذا التصاوغ، فليجزيء ($\text{C}_7\text{H}_7\text{Cl}$) أربعة مصاوغات:



2. التصاوغ الفراغي Stereoisomerism

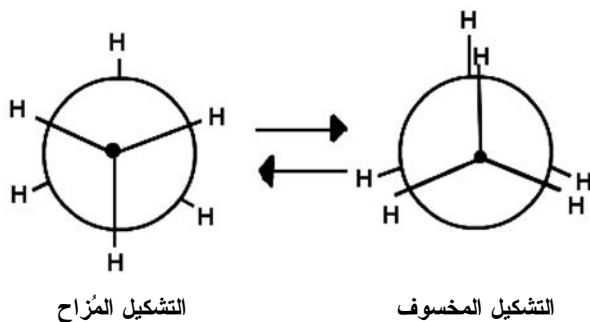
لمصاوغات هذا النوع المجموعات الوظيفية ذاتها، إلا أن هذه المصاوغات تتباين فيما بينها

بتباين توجّه تلك المجموعات في الفراغ.

1.2. تصاوغ التشكيل الدوراني Conformational isomerism

تنشأ مصاوغات هذا النوع من دوران بعض أجزائها حول رابطة، أو أكثر، في جزيئاتها؛ ولهذه المصاوغات طاقات مختلفة، وهي غير مستقرّة إذ تتحوّل فيما بينها من نوع إلى آخر بحيث يتعدّر فصل بعضها عن بعض.

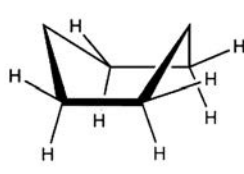
من أمثلة هذا النوع مصاوغات الإيثان (H_3C-CH_3) التي تتحوّل فيما بينها بين حالتين حدّيتين، هما حالة المصاوغ المخسوف (eclipsed conformation)، والمصاوغ المّزاح (staggered conformation)، اللّذين وضعهما نُويّمان (Newman) ومثّل فيهما كلّ واحدة من المجموعتين الميثيلينيتين (CH_3) في جزيء الإيثان (CH_3-CH_3) بنجمة ذات ثلاث شعب، بحيث تنعدم، في حالة التشكيل الدوراني المخسوف، قيمة الزاوية بين شعبة من النجمة الأولى وشعبة من النجمة الثانية، لذلك فإنّ مراقباً يتطلّع إلى هذا الجزيء، على طول الرابطة بين ذرتيّ الكربون فيه، لن يرى سوى ثلاث شعب، لأنّ شعب المجموعة الميثيلية الأولى تحجب شعب الثانية عن ناظره. وتبلغ قيمة هذه الزاوية، في حالة التشكيل الدوراني المّزاح 60° حيث يرى الناظر المذكور، الشعب الست دون أن يحجب بعضها بعضاً الآخر.



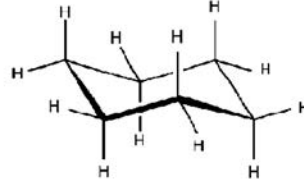
ومن هذا النوع من التصاوغ أيضاً مصاوغات جزيء الهكسان الحلقي (C_6H_{12}) التي تتحوّل فيما بينها بين وضعين حدّيين أيضاً، يأخذ الجزيء في أولهما شكل الكرسي (chair)،

التصاوغ

حيث تأخذ ذرتا كربون متقابلتان في الحلقة السداسية موقعين خارج المستوي الذي يحوي الذرات الأربعة الأخرى، وعلى نحو تكون فيه إحداها فوق هذا المستوي والأخرى أسفله؛ ويتمثل المصاوغ الآخر على هيئة قارب (boat)، وذلك نتيجة دوران ذرات الكربون فيه حول أكثر من رابطة أحادية فيه.

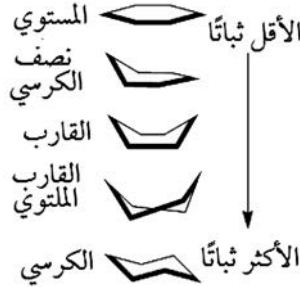


تشكيل القارب



تشكيل الكرسي

كما يأخذ بين هذين الوضعين الحديين أوضاعاً أخرى مثل التشكيل المستوي (planar conformation) وتشكيل نصف الكرسي (half-chair conformation) وتشكيل القارب الملتوي (twist boat conformation). ويُعد تشكيل الكرسي أكثر هذه الأشكال ثباتاً.



2.2. تصاوغ التشكيل البنوي Configurational Isomerism

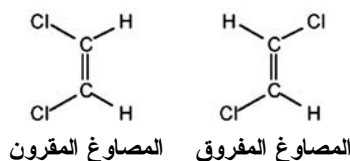
تنشأ مصاوغات هذا النوع من تباين ترتيب الذرات أو المجموعات في الجزيء، ولا يمكن لأحدهما أن يتحول إلى آخر سواه، بالدوران حول رابطة أحادية في الجزيء. يتضمن هذا التصاوغ نوعين فرعيين هما التصاوغ الهندسي والتصاوغ الضوئي.

1.2.2. التصاوغ الهندسي Geometrical Isomerism

يُحدّد هذا التصاوغ بدلالة التوجّه النسبيّ للمجموعات الوظيفية في جزيء المركّب. وهو على أنواع خاصة كلّها بالإلكنات التي في بناها الجزيئية رابطة مضاعفة.

أ. تصاوغ المقرون والمفروق Cis-Trans:

يُرى هذا التصاوغ في المركّبات الألكينية (الأوليفينات) عند وجود ذرتي أو زمرتي استبدال مختلفتين على الرابطة المضاعفة في جزيء المركب، كما في مُصاوغي ثنائي كلور الإيتين ($H_2C=CCl_2$)؛ فإن كانت هاتان الذرتان في جهة واحدة من الرابطة المضاعفة، كان المصاوغ من النوع المقرون (cis)، وإن كانتا في جهتين مختلفتين من الرابطة المضاعفة، كان المصاوغ من النوع المفروق (trans).



ولصعوبة اعتماد هذه التسمية في مصاوغات الجزيئات المعقّدة أو مصاوغات مجموعات الاستبدال المختلفة، اعتمد الاتحاد الدولي للكيمياء البحتة والتطبيقية (IUPAC) نظام تسمية آخر هو النظام (Z-E).

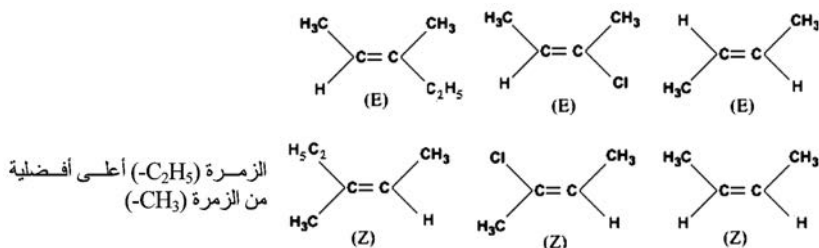
ب. تصاوغ المَعِيّة والمخالف (Z-E):

أخذت هذه التسمية اسمها من الكلمتين الألمانيّتين (Zusammen)، وتعني «معاً» أو المَعِيّة، و(Entgegen)، وتعني المخالف.

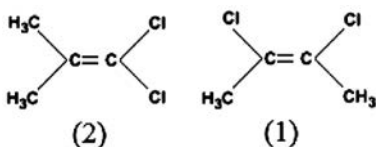
يُعتمد، في تحديد هذه المصاوغات، نظامُ أفضليةٍ لمجموعات الاستبدال، يحدّد بدلالة العدد الذريّ للذرة المتّصلة بالرابطة المضاعفة، فكلما كَبُرَ هذا العدد ارتفعت معه أفضليّةُ ذرّته؛ وإن كان للذرتين المتصلّتين بالرابطة المضاعفة الأفضليّة ذاتها، يُصار إلى تحرّي الجزء الآخر من مجموعة الاستبدال، وذلك حتى الوصول إلى تحديد فارقٍ في الأفضلية بين هاتين الذرتين.

التصاوغ

يُسمَّى المصاوغ من النوع (Z) إن كانت زمرة الاستبدال الأعلى أفضليةً على جانب واحد من الرابطة المضاعفة، ومن النوع (E) إن كانتا على جانبيين مختلفين من الرابطة. نورد فيما يلي أمثلة على ذلك من مصاوغات جزئي البوتين-2 (C_4H_8) ومستبدلاته.



ولا تتطابق، بالضرورة، التسمية (Z) مع التسمية (Cis)، ولا التسمية (E) مع التسمية (Trans)، كما يظهر في المثال التالي من (2-كلور البوتين) ($C_4H_6Cl_2$)

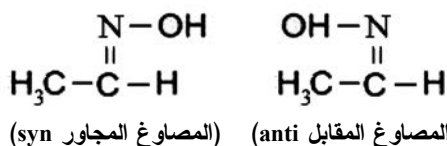


فالمصاوغ (1) هو من النوع (Cis) ومن النوع (Z) أيضاً، أما المصاوغ (2) فمن النوع (Trans)، إلا أنه من النوع (Z) أيضاً.

ج. تصاوغ المجاور والمقابل (Syn-Anti):

وهي تسمية خاصة بمصاوغات الأوكسيمات، وهي مركبات فيها المجموعة ($=C=NOH$)، وتكون على نوعين: أوكسيمات ألدهيدية، وصيغتها ($HRC=NOH$)، وأوكسيمات كيتونية، وصيغتها ($RR'C=NOH$).

ففي الأوكسيمات الألدهيدية، يُعد المصاوغ من النوع المجاور (Syn)، إن كانت ذرة الهيدروجين (H) ومجموعة الهيدروكسيل (OH) في جهة واحدة من الرابطة ($C=N$)، ومن النوع (Anti)، إن كانتا في جهتين مختلفتين من هذه الرابطة:



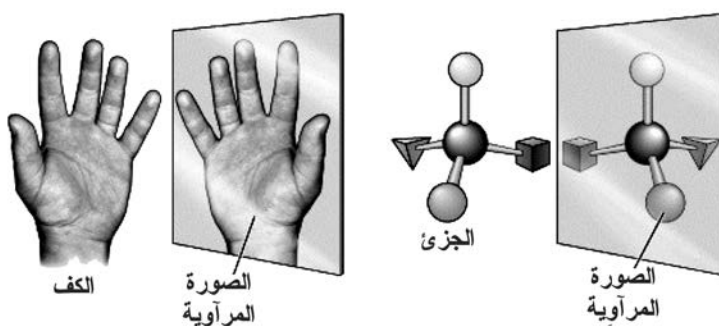
وفي الأوكسيمات الكيتونية، تُعتمد، للمقارنة بمجموعة الهيدروكسيل، المجموعة الأولى التي ترد في اسم المركب. فالنوناتون، وهو أوكسيم كيتوني، هو من النوع المجاور (Syn)، إن كان اسمه ميتيل إيتيل الأوكسيم الكيتوني، ومن النوع المقابل (Anti) إن كان اسمه إيتيل ميتيل الأوكسيم الكيتوني.

2.2.2. التصاوغ الضوئي Optical Isomerism:

وهو نوعان: تصاوغ مرآويّ (Enantiomerism) وتصاوغ لامرآويّ (Diastereoisomerism) أو (Diastereomerism).

1.2.2.2. التصاوغ المرآويّ Enantiomerism:

الكلمة مأخوذة من اليونانية (enantios-) وتعني المضاد، و(-meros) وتعني الأجزاء. ينشأ هذا النوع من التصاوغ بين مصاوغين مرآويّين (enantiomers) لمركب واحد، يكون أحدهما صورة الآخر في المرآة، كما الكف الأيمن صورة الكف الأيسر، لذلك لا ينطبق واحداهما على الآخر.



لهذين المصاوغين خصائص فيزيائية وكيميائية واحدة، ويختلفان فيما بينهما بتباين جهة

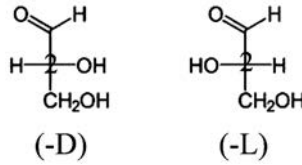
التصاوغ

تدوير كل واحدٍ منهما مستوي الضوء المستقطب حين يمر فيهما، إذ يديره أحدهما نحو اليمين، ويديره الآخر نحو اليسار بمقدار التدوير ذاته.

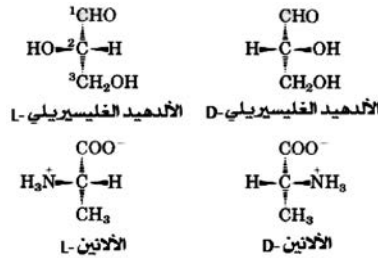
تسمى أشكال هذا التصاوغ، إما باعتماد مركّب تعد صيغته معياراً مرجعياً للتسمية، وهو ما يعرف بالتشكيل النسبي أو باعتماد قواعد لهذه التسمية، وهو ما يعرف بالتشكيل المطلق.

أ. التشكيل النسبي Relative Configuration:

أُعيد بدايةً في تسمية هذه المصاوغات تشكيل أبسط مركّب كربوهيدراتي، وهو الألدريد الغليسيريلي glyceraldehyde، معياراً مرجعياً لها، حيث تبدو صيغته المستوية على الشكل التالي الذي تدل ذرة الكربون (2) فيه على المركز الكيرالي.



يُدعى المصاوغ الذي تقع مجموعة الهيدروكسيل (-OH) فيه، إلى يمين المركز الكيرالي، المصاوغ (-D) (من الكلمة اليونانية dextro وتعني اليمين) ويدعى المصاوغ الآخر، الذي تقع فيه تلك المجموعة إلى يسار المركز الكيرالي، المصاوغ (-L) (من الكلمة اليونانية levo وتعني اليسار) واعتمدت هذه التسمية أيضاً للدلالة على مصاوغات الحموض الأمينية، مثل الألانين (alanine)، حيث تحل المجموعة الأمينية (-NH₂) محل المجموعة الهيدروكسيلية.



لا علاقة لهذه التسمية بجهة تدوير الجزيء المعني مستوي الضوء المستقطب، عند مروره

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

فيه، التي يُدلُّ عليها بالحرفين الصغيرين (d-) و (l-)، اللذين يدلُّ أولهما على جهة التدوير باتجاه دوران عقارب الساعة، ويدلُّ الثاني على جهة التدوير بالاتجاه المعاكس؛ فقد يكون الجزيء (D-) يميني التدوير، ويدلُّ عليه عندئذٍ بـ (D)(-d)، وقد يكون يساري التدوير، ويدلُّ عليه عندئذٍ بـ (D)(-l). وكذلك الأمر بالنسبة لجزيء من الشكل (L-) . وقد ارتأى الاتحاد الدولي للكيمياء البحتة والتطبيقية (IUPAC) تجنباً للالتباس بين الحرفين (L-) و (l-)، اعتماد الإشارة الموجبة (+) للدلالة على جهة التدوير باتجاه دوران عقارب الساعة، والإشارة السالبة (-) للدلالة على جهة التدوير بالاتجاه المعاكس، فأصبح يُدلُّ على التشكيل (L-) اليميني التدوير بـ (L)(+)، وعلى التشكيل (D-) اليساري التدوير بـ (D)(-).

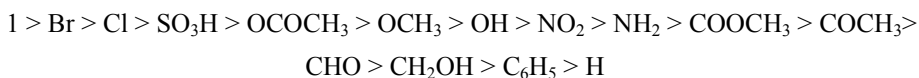
ب. التشكيل المطلق (Absolute Configuration):

يضع هذا التشكيل قواعدَ يحدّد بدلالاتها نوع المصاوغ، ويعتمد لذلك قاعدة عامة تُعرف بقاعدة (CIP) التي تشكل حروفها الأحرف الأولى من أسماء واضعيها، وهم ثلاثة كيميائيين أوروبيين يُدعون (Cahn) و (Ingold) و (Prelog)، ويُدلُّ على مصاوغاتها بالحرف (R و S) (من اللغة اللاتينية Rectus، بالنسبة للحرف R، ويعني اليمين، و Sinister للحرف S وتعني اليسار). كما يعتمد هذا التشكيل قاعدة خاصة بتسمية مصاوغات الحموض الأمينية، تعرف بقاعدة (CORN)، حيث يرمز الحرفان CO إلى الجذر الحمضي COOH، و R إلى الجذر العضوي، و N إلى الجذر الأميني، المرتبطة بالمركز الكيرالي.

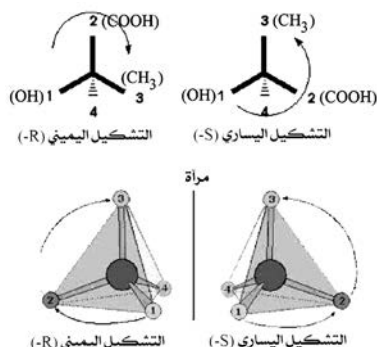
1. تعتمد طريقة القاعدة العامة (CIP) مبدأ دوران الذرات، أو المجموعات الذرية، المرتبطة بالمركز الكيرالي، والمرتبة فيما بينها بدلالة أفضليات تحددها الأعداد الذرية، لهذه الذرات، أو لذرة هذه المجموعات المرتبطة بالمركز الكيرالي، وبصار، عند تساوي أفضليتي مجموعتين، إلى اعتبار أفضلية الذرة التالية في المجموعة وهكذا حتى الوصول إلى تحديد أفضلية. يتطلع الناظرُ إلى تشكيل المصاوغ على نحو تكون فيه الذرة، أو المجموعة الذرية، ذات الأفضلية الدنيا وراء المركز الكيرالي، وبعيداً عن ناظره؛ فإن كانت جهة تناقص أفضليات المجموعات الثلاث الأخرى بجهة دوران عقارب الساعة

التصاوغ

كان المصاوغ من النوع اليميني (R)، وإن كانت جهة تناقض الأفضليات بعكس جهة دوران عقارب الساعة، كان المصاوغ من النوع اليساري (S). ونبين فيما يلي ترتيب الأفضلية لبعض الذرات والمجموعات الذرية، مبتدئين بأعلىها أفضلية من اليمين.



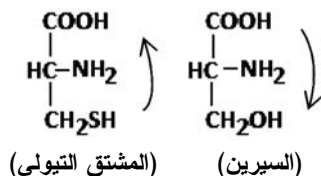
يبدو التمثيل الرمزي لهذا التصاوغ على الشكل التالي:



كما تبدو عليه صيغتا مصاوغ حمض اللين (R) و (S).

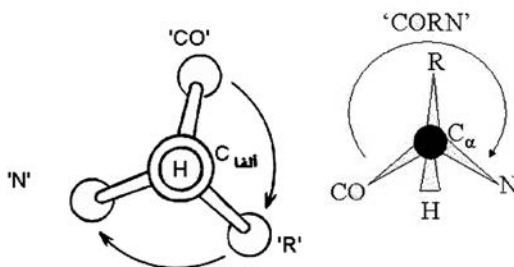
ليس لتسمية هذه المصاوغات علاقة بالتسمية (D) و (L) المعتمدة في التشكيل النسبي فقد يكون مصاوغان مثل السيرين (serine) ومشتقه النيوولي، من النوع ذاته وفق قاعدة التشكيل النسبي، كأن يكون كلاهما من النوع (D)، في حين لا يكونان كذلك وفق القاعدة (CIP) في التشكيل المطلق، لأن أفضلية المجموعة CH_2OH أدنى من أفضلية المجموعة الكربوكسيلية $COOH$ ، في حين أن أفضلية المجموعة النيوولية CH_2SH أعلى أفضلية من المجموعة الكربوكسيلية.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م



لذلك بقيت تسمية مصاوغات التشكيلات الفراغية وفق قاعدة التشكيل النسبي (L/D) أكثر شيوعاً واستعمالاً في الكربوهيدرات والحموض الأمينية. فالكربوهيدرات الطبيعية، كلها تقريباً من النوع (-D)، في حين أن أغلبها من النوع (S) وفق قاعدة التشكيل المطلق (CIP)، وكذلك الأمر بالنسبة للحموض الأمينية، حيث إن مكوّناتها الطبيعية هي من النوع (-L).

2. التشكيل المطلق للحموض الأمينية، قاعدة (CORN): تعتمد هذه القاعدة ترتيب مواقع المجموعات الذرية COOH و R و NH₂ حول المركز الكيرالي، وحيث تعد ذرة الهيدروجين خارج مستوي الصفحة وبعيداً عن أعين الناظر، فإن كان الترتيب CO ← N ← R في جهة دوران عقارب الساعة، كان المصاوغ من النوع (-D)، وإلا فهو من النوع (-L).

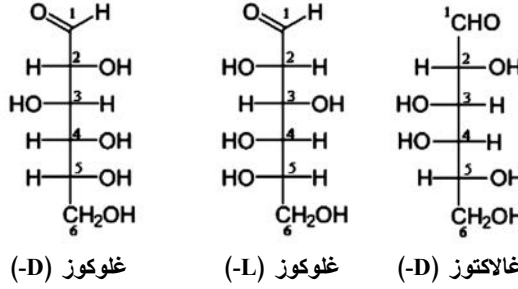


2.2.2.2. التصاوغ اللامرآوي Diastereomerism:

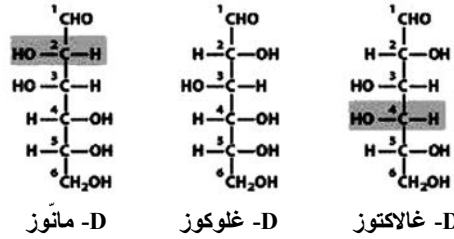
ينشأ بين مصاوغين لا يكون أحدهما صورة الآخر في المرآة، فلا ينطبق عليه. تنشأ هذه المصاوغات عندما تختلف الذرات أو المجموعات في مركز كيرالي (فراغي) واحد، أو أكثر، في الجزيء. لكن ليس في كل المراكز الكيرالية، كما في المصاوغات المرآوية. ولهذه المصاوغات خصائص فيزيائية وكيميائية مختلفة، وقد ينشأ كل مصاوغين مرآويين

التصاوغ

لجزيء فيه أكثر من مركز كيرالي واحد مصاوغاً لأمراًوياً لكل واحد منهما، كما في مصاوغيّ الغلوكوز (-D) و (-L) اللذين ينشئان مصاوغهما اللامراًوياً.



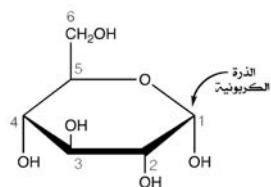
ومن هذه المصاوغات نوعٌ خاص يُعرف بالمصاوغ الصنويّ (Epimer)، وينشأ عند تباين تشكيلتي المصاوغين على مركز فراغي واحد، كما في المانوز (-D) والغلوكوز (-L) اللذين يتباينان على ذرة الكربون الثانية فقط، وكذلك في الغلوكوز (-D)، و الغالاكتوز (-D) اللذين يتباينان على ذرة الكربون الرابعة فقط.



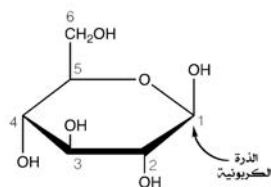
من المصاوغات الصنويّة (Epimers) نوعٌ خاصٌ يعرف بالمصاوغات الكربونيليّة (Anomer)، وهي مصاوغات خاصّة بالتشكيلات الحلقية للسكّاريّات الأحاديّة؛ وهي على نوعين: ألفا (α) وبيتا (β)، ينتجها نشوء مركز كيرالي (فراغي) جديد على ذرة كربون مجموعة الكربونيل (C=O)، عند إعادة ترتيب ذرات الجزيء لتشكيل الحلقة. يُعرف هذا المركز بالذرة الكربونيليّة (anomeric carbon)، وترتبط به أربع ذرات أو مجموعات مختلفة في ترتيب لأمراًوياً محدّد، منها ذرتا أكسجين (O)، إحداهما في المجموعة (OH)؛ تتوجّه هذه

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

المجموعة نحو الأسفل في النوع ألفا (α)، ونحو الأعلى في النوع بيتا (β)، وذلك على نحو تكون فيه المجموعتان (OH) و (CH_2OH) في اتجاهين متعاكسين في النوع ألفا، وفي الاتجاه ذاته في النوع بيتا، كما يبدو في الشكل التالي الذي يظهر المصاوغين الكربونيليين ألفا وبيتا للغلوكوز (أو الغلوكوبيرانوز).



المصاوغ الكربونيلي ألفا للغلوكو



المصاوغ الكربونيلي بيتا للغلوكوز

استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضيع التاريخية والأثرية

أ. مصطفى غطيس

جامعة عبد الملك السعدي

تطوان - المملكة المغربية

تم هجر بعض المصطلحات في اللغة العربية، لها دلالة معينة ومتفق عليها بين كبار الجغرافيين العرب الأوائل الذين كانوا حريصين كل الحرص على دقة المعاني، وتعويضها بأخرى لا ينطبق مدلولها ومعناها بالضبط على ما تحيل إليه. فلقد اصطلح الشعراء (منذ العصر الجاهلي) والجغرافيون وأهل اللغة منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي¹ على إطلاق مصطلح **موضع** أو **بقعة** أو **رقعة** على مكان غير محدد، أو مكان بعينه، ولم يستعملوا مصطلح **موقع** ليؤدوا هذا المعنى إطلاقاً، وإنما استعملوه لتوطين موضع ما في المجال الذي يحيط به.

أولاً: مصطلحا موضع وموقع في بعض القواميس والمعاجم الفرنسية

إن الفرق في قواميس اللغات الأجنبية - التي تفرعت عن اللاتينية - بين الموضع والموقع واضح، وهو في معاجمها الجغرافية أوضح وأبين.

فلقد عُرِّف مصطلح (site)² في قاموس:

CNRTL (Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales)

¹ صاحب كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، 8 أجزاء.

² B. - Configuration du lieu ou du terrain où s'élèvent une ville, un village, une station, un monument, où est construite une route; manière dont l'objet géographique s'inscrit dans le lieu qu'il occupe par rapport à son environnement immédiat. Site industriel, urbain; site de fond de vallée; beauté du site... ARCHÉOL. Site archéologique. Lieu où sont effectuées des fouilles.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

الفرنسي تعريفاً ترجمته إلى اللغة العربية هي:

«موضع: المكان أو الأرض التي تمتد فوقها مدينة أو قرية أو معالم أثرية، أو المجال الذي تم فيه مد طريق؛ وهو أيضاً الكيفية التي يرتسم بها الشكل الجغرافي في مكان ما، بالنسبة لمحيطه المباشر. ويمكننا الحديث في هذا الصدد عن: موضع صناعي، أو حضري؛ وموضع قعر الوادي؛ وموضع السفح المشمس؛ وجمال الموضع [...]». **في ميدان علم الآثار:** الموضع الأثري أو التاريخي، هو المكان الذي تمت فيه تنقيبات أثرية».

وعُرف المصطلح نفسه في قاموس:

LE GRAND ROBERT DE LA LANGUE FRANCAISE, 2001¹

تعريفاً ترجمته إلى اللغة العربية هي: «اشتقت كلمة site الفرنسية من situs² اللاتينية. وتعني شكل المكان، ومعالم الأرض التي توجد فوقها مدينة ما، [...]».

موضع مدينة محصنة. موضع مدينة ليون (Lyon) [الفرنسية]، عند اقتران نهر الرون (le Rhône) بنهر السون (la Saône) [...]. احترام الموضع عند البناء أو عند تهييء منطقة ما [...]. ولقد اشتق من كلمة site الفرنسية مصطلح جديد، وهو La sitologie³ (المواضعية) التي تُعنى بدراسة المواضع وبالطرق المثلى للحفاظ عليها خلال إنجاز تصميم التمدين [...]».

وعُرف (site) في موقع: <http://www.hypergeo.eu/spip.php?article366>

¹ Lat. *situs*, qui avait donné l'anc. Franç. site «emplacement, place» (déb. XIV). Configuration du lieu, du terrain où s'élève une ville, manière dont elle est située (considérée du point de vue de son utilisation par l'homme...).

Site d'une place de guerre. Le site de Lyon, au confluent du Rhône et de la Saône. Site urbain.

Respecter le site, en construisant, en aménageant une zone (→sitologie)[...].

² Voir: Cicéron, *Contre Verrès*, Action II, livre V, 26 ; *De la République*, livre II, III. (5) ; César, *Commentaires sur la Guerre des Gaules*, Livre V, 57 ; VII, 83...

³ nf (urbanisme) étude des sites et des moyens de les conserver du mieux possible lors d'un plan d'urbanisme.

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

تعريفاً ترجمته هي: «مكان أو مجال ذو مساحة صغيرة (بضعة هكتومتريات أو كيلومتريات) له خصائص ومزايا يتفرد بها وتميزه عن الأماكن الأخرى، وهو ما يجعله يكتسي أهمية خاصة بالنسبة لمجتمع ما. ولا ينبغي الخلط بين **موضع المكان** (أي المجال الذي يمتد فوقه)، و**موقعه**، أي مكانه بالنسبة للأمكنة الأخرى وتيارات المبادلات».

أما **الموقع** (situation) فعُرفَ تعريفاً ترجمته هي:

«الموقع في الخطاب الجغرافي هو توطين (localisation) مكان ما توطيناً نسبياً في المجال، أي بالنسبة للأماكن الأخرى التي من شأن خصائصها الطبيعية أو البشرية أن تؤثر في مميزات هذا المكان. وموقع المكان (la situation) تحدده العلاقات التي تجمع هذا المكان بمحيطه القريب والبعيد؛ كما تحدده إحداثياته الجغرافية».

فموقع مدينة تطوان مثلاً تحدده الإحداثيات الجغرافية بالنسبة لما يحيط بالمدينة من بحر وجبال إلخ.

وجاء في موسوعة WIKIPEDIA إن "الموضع يحدّد بقطع النظر عن الأماكن المجاورة له، ويُقتصر في تحديده على خصائص هذا المكان لا غير".

وغالبا ما يستعمل مصطلح موضع (site) في ميدان الأركيولوجيا والتاريخ، وهو ينعت مكانا في غاية الأهمية.

والموقع مفهوم يتعلق بالمجال المحيط بمكان ما[...].

وفي قاموس التمددين وتهيئة المجال الفرنسي لصاحبيه: MERLIN (P.), CHOAY (F.),

:Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, Paris, P. U. F., 1988, p. 622

عُرفَ مصطلح (site) تعريفاً ترجمته إلى اللغة العربية هي:

«**موضع**: المعنى العام لكلمة "موضع" هو مكان. غير أن هذه الكلمة لها مفاهيم أكثر دقة

في عدة ميادين:

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

في الأركيولوجيا (علم الآثار) يميّز "موضع" مكاناً مُحدداً حيث مكنت الحفريات من اكتشاف صناعات أو آثار؛

في الحيجغرافيا: يميز "موضع" مجالاً غابوياً صغيراً حيث تسود نفس الظروف المناخية والتربة (édaphiques)؛

في جغرافية المدن: يميز "موضع" المكان الذي أُسست فوقه المدينة أو المكان الذي شهد توسعها، والذي وقع الاختيار عليه نظراً لسمّياته الطبوغرافية التي كانت مناسبة، وقت التأسيس، للدفاع عن المدينة، ولعلاقاتها التجارية، ولتأمينها بالماء والطعام، أو للقيادة. وحسب الحالات، فإن المواضع التي تم استغلالها عامة، هي تلك التي توجد فوق الروابي، والرعان الموجودة عند اقتران ضفاف نهرين على شكل زاوية حادة، والجزر، والمصطبات الغرينية [...]».

أما مصطلح (situation) فعُرف كالتالي:

«موقع: هو الموقع الجغرافي لمدينة بالنسبة للجهة التي توجد فيها. والمواقع السائدة بالنسبة

للمدن هي:

- ملتقيات الأنهار، فباريز مثلاً تقع في قلب سهل شاسع خصب (الحوض الباريزي)، على منعطف لنهر السين (la Seine)، بين اقتران هذا النهر بنهري لا مارن (la Marne) ولواز (l'Oise) [...]».

- منطقة اتصال بين جهتين طبيعيتين أو اقتصاديتين، فمدينة فيين (Vienne) الفرنسية مثلاً، تقع في منطقة اتصال جبال الألب (les Alpes) بالسّهل.

- الواجهات البحرية (الموانئ)، ويستحسن قرب مصبات (الأخوار، والدلتات) الأنهار، التي تمكن من المواصلات مع الدواخل (لندن، ومرسيليا [...]»).

والموضع بمفهومه المحلي المحدود، يخالف عادة الموقع الذي يحدد العلاقات مع المحيط القريب والبعيد؛ فموقع مدينة بوردو (Bordeaux) الفرنسية مثلاً، هو جوف خور لا جيرون (la

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

(Gironde)، ولكن موضعها هو الضفة المقعرة لنهر الغارون (la Garonne)، ومصطبة فيضية¹. أما الموقع فهو خاصية جغرافية أساسية لمكان أو مجال، ناتجة عن علاقة هذا المكان أو المجال بالأمكنة أو المجالات الأخرى. ويجري تحليل الموقع بالنظر للمحيط المحلي، والجهوي، والعالم، هذا المحيط العام الذي قد يكون العالم بأسره. فالقاعدة العسكرية الأمريكية ديبغو غارسيا (Diego Garcia) مثلاً تقع في جزيرة توجد في أرخبيل شاغوس (Chagos)، وسط المحيط الهندي، لمراقبة تحركات الأساطيل في منظور الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية.

وتحليل الموقع أساسي للوقوف على مزايا مكان ما. فتحديد موقع المكان يجري دائماً بالنسبة لأماكن أخرى، ولطرق المواصلات، وللجيران [...].

وينبغي التمييز كذلك بين الموقع الجغرافي (la situation géographique)، والموضع الإحداثياتي بمفهوم (la position)، الذي يُحدّد بفضل إحداثياته الجغرافية. فالموضع الإحداثياتي مفهوم مطلق ووحيد. أما مفهوم الموقع، فهو دائماً نسبي (بالنسبة للمحيط في كل مظهره)، وقد يكون مشتركاً، وهو كذلك مرتبط بالتاريخ، لأنه يتغير بمرور الزمن، مع أن الموضع (l'emplacement) لا يتغير؛ لكن هذا التغير يحدث على المدى الطويل نسبياً، ذلك الذي يتغير خلاله المجال.

فموقع تمودة مثلاً لما اكتُشفت سنة 1920، يختلف عما هو عليه اليوم. فالموضع الأثري كان يقع حين اكتشافه على بعد خمسة كلم جنوب غرب تطوان. وهو اليوم، بعد امتداد المجال الحضري للمدينة، جزء من ملحقة الحي المدرسي الإدارية (Annexe administrative) التي هي بدورها جزء من المنطقة الحضرية تطوان الأزهر (District urbain Tétouan Al Azhar). وتقع جهة لا شامباني (la Champagne) في فرنسا شرق باريز، وهي أعلى من العاصمة،

¹ R. Brunet, R. Ferras, H. Théry, *LES MOTS DE LA GEOGRAPHIE*. Dictionnaire critique, 3è éd. revue et augmentée, Montpellier-Paris, RECLUS-La Documentation Française, 1993, p. 456: site.

بين باريز وألمانيا، وتمتد على الطريق القديمة الرابطة بين البحر المتوسط وبحر الشمال، وتقع في الحوض الباريزي. فهذه بضعة عناصر رئيسية بخصوص الموقع، ترتبط بها مجموعة من الخاصيات التاريخية¹[...].

ولقد وُفّق بعض أصحاب المعاجم لمصطلحات الجغرافيا العرب، وهم قلة، في ترجمة مصطلحي (site) و (situation) الفرنسيين إلى لغة الضاد ترجمة صحيحة، فاختاروا للأول مصطلح موضع، وللثاني مصطلح موقع. وترجموا (site historique) بموضع تاريخي.²

ثانيا: مصطلح موضع في القواميس وبعض المصادر "الجغرافية" العربية

عُرّف هذا المصطلح في لسان العرب كالآتي: «[...] والمواضع: معروفة، واحدها مَوْضِعٌ، واسم المكان المَوْضِعُ والمَوْضِعُ، بالفتح؛ الأخير نادر [...]»³. وفي الصّاح في اللغة: «[...] المَوْضِعُ: المكان. [...] والمَوْضِعُ بفتح الضاد، لغة في المَوْضِعُ»⁴. وفي مختار الصحاح للرازي: «[...] (المَوْضِعُ) الْمَكَانُ وَالْمَصْدَرُ أَيْضًا. [...] (وَالْمَوْضِعُ) بِفَتْحِ الضَّادِ لُغَةً فِي (المَوْضِعِ)⁵». وفي تاج العروس: «[...] وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ نَصُّ الصَّاحِ: أَنَّ الْمَوْضِعَ، بِالْفَتْحِ، لُغَةً فِي الْمَوْضِعِ بِالْكَسْرِ، فِي مَعْنَى اسْمِ الْمَكَانِ، وَقَالَ: سَمِعَهَا الْفَرَّاءُ، وَفِي التَّاجِ: الْمَوَاضِعُ مَعْرُوفَةٌ، وَاحِدُهَا مَوْضِعٌ بِالْفَتْحِ، وَاسْمُ الْمَكَانِ الْمَوْضِعُ وَالْمَوْضِعُ بِالْفَتْحِ الْآخِرُ نَادِرٌ، [...]»⁶. وفي محيط المحيط لبطرس البستاني: «[...] الموضع والموضع مصدران ومكان

¹ Idem, p. 456-457.

² المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا (إنجليزي - فرنسي - عربي). المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سلسلة المعاجم الموحدة، رقم 9، تونس 1994، ص 108، 56، 71.

³ لسان العرب، مادة: وضع.

⁴ الصّاح في اللغة، مادة: وضع.

⁵ مختار الصحاح للرازي، مادة: وضع.

⁶ تاج العروس، مادة: وضع.

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

الوضع، جمعه مواضع. وعند الحكماء مرادف للمكان. وعند الصرفيين اسم الظرف مكاناً¹. وكان الفيروزابادي قد اقتصر في تعريفه لأسماء المكان في القاموس المحيط على مصطلحات ثلاثة لا رابع لها: «مَوْضِعٌ، وَبَلَدٌ، وَقَرْيَةٌ»؛ وذكر في ديباجته أنه اختزلها على التوالي في حروف: ع، د، ة، للدلالة على ما وُضعت له.² فإذا رجعنا على سبيل المثال إلى مادة "وضع" في ترتيب القاموس المحيط للزاوي، فإننا سنقرأ: «[...] وموضوعٌ، ودائرةٌ موضوعٌ، ودائرةُ المواضع، وَلَوَى الوضيعةُ: مواضعٌ»؛ وهكذا دواليك كلما تعلق الأمر باسم مكان ورد في القاموس.

فالموضع في اللغة العربية اسم المكان ومرادف للمكان. ولقد اقتصر صاحب القاموس المحيط، وهو «من أصح ما ألف في اللغة العربية نقلاً، وأدقها وضعاً، وأوسعها مادة»³ على اسم موضع دون غيره واختزله للدلالة على المكان.

واستعملت العرب قبل ظهور أولى مصنفاتها اللغوية والجغرافية مصطلح موضع، ووردت أسماء المواضع ومواقعها في الشعر الجاهلي، ثم فيما رُوي عن بعض الأعراب الفصحاء الرواة المتقدمين المعتمدين في الشأن اللغوي، كعرّام بن الأصبع السلمي⁴ الذي عاش في القرن

¹ محيط المحيط، مادة: وضع

² مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي، كتاب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، ص 28: «(وَكُلُّ كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ عَنِ الضَّبْطِ فَإِنَّهَا بِالْفَتْحِ، إِلَّا مَا اشتهَرَ بِخِلَافِهِ اشتهاراً رافعاً للنزاع من البين)، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَأَقْبَدُهُ بِصُرِيحِ الْكَلَامِ، غَيْرَ مُقْتَنِعٍ بِتَوْسِيحِ الْقَلَامِ [الأقلام]، مُكْتَفِيًا بِكِتَابَةِ: ع، د، ة، عَنْ قَوْلِي: مَوْضِعٌ، وَبَلَدٌ، وَقَرْيَةٌ...»؛ وانظر: الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ج 1، ط 3، الدار العربية للكتاب، 1980، ديباجة القاموس بشرح العلامة الشيخ نصر الهوريني، ص 7؛ 71-72.

³ الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ج 1، ص 5.

⁴ صاحب كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى...، الذي اعتمد عليه صاحب معجم كتاب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأورد ذكره في 57 موضعاً. ويعد كتاب عرّام هذا «وثيقة من أهم الوثائق

الثالث الهجري، وكان خبيراً بمواضع بلاد العرب.

وما تحدث الجغرافيون العرب عن مكان ما، إلا وعرفوه بموضع، ولم يسموه موقعاً كما نقرأ اليوم. فالمجالات التي تمتد فوقها البلدان والبلديات والكور والمدن والقرى... هي مواضع وليست مواقع في أمهات المصنفات الجغرافية. وقد يحمل الموضع اسماً يختلف عن اسم القرية أو المدينة التي تمتد فوقه، كما سنرى ذلك في صدر هذه الدراسة (نموذج أفيق والقسطنطينية). ثم إن هذه المصنفات التي رجعنا إليها ومحصناها تمحيصاً، تذكر المواضع ثم تحدد أحياناً مواقعها، ومن ثم فمدلول الموضع يختلف تماماً في أذهان أصحابها عن مدلول الموقع. وهل يمكن للمرء أن ينطق بتحديد "موقع الموقع" (محل موقع الموضع)، أو "المواقع المجهولة الموقع" (محل المواضع المجهولة الموقع) دون أن يُستقل تعبيره هذا ويُستهجن؟!¹ فلقد استقلت العرب قديماً الضمّة في حروف، فكسروا ميمها وأصلها الضمّ، كما استقلت حاء قبلها حرف ساكن، والتشديد على الواو... وهذه لعمرى أصوات استقلتها العرب بالسمع ليس إلا، فهجرتها، فما بالك إذا كانت الكلمة تستعمل في غير محلها. أما أن للناطقين بلغة الضاد الرجوع إلى الأصل وإطلاق مصطلح موضع على ما يسمونه غلطاً بموقع، وخاصة بالنسبة

البلدانية، وأما من أمهات المراجع الأصلية»، انظر: نواذر المخطوطات، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، المجموعة الثامنة، ط 2، القاهرة، 1974، ص 378.

¹ لقد أجاد صلاح الدين عثمان هاشم خلال ترجمته لكتاب أغناطيوس يوليانيوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963، حين ذكر الأماكن الجغرافية بصفتها مواضع وليس مواقع، انظر: ص 43: «... هذا القسم من القصيدة المعروف بالنسب كثير ما ورد فيه ذكر لأكثر من موضع أو موضعين جغرافيين يمكن في أغلب الأحوال تحديد موقعها... وهكذا نبصر في بداية قصيدة واحدة عدداً من أسماء المواضع... فيها هو عبيد الأبرص.. يتذكر المواضع التي هزم فيها أحد أمراء الغساسنة قبيلته فيقول... وحسان بن ثابت... يتذكر في أبيات له بعض المواضع التي أمضى فيها وقتاً طويلاً...»؛ ص 44: «ذكر المواضع والأمكنة»؛ ص 44: «... وكثيراً ما يقدم... البكري وياقوت معلومات في غاية من الدقة لأنهم بذلوا مجهوداً كبيراً في جمعها وتحقيقها وتجشموها السفر إلى مواضع نائية ليتحققوا بأنفسهم من مواقع المواضع التي ذكرها الشعراء...»؛ و ص 49؛ 53؛ 57...

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

للمواضع الأثرية.

ولقد اقتصرنا في هذه الدراسة على ثلاثة مؤلفين، وهم المسعودي والمقدسي من القرن العاشر، والبكري من القرن الحادي عشر. وجلي أن الأدب الجغرافي العربي بلغ أوجه في مجال تطوره الخلاق خلال عصر المسعودي، أكثر الكتاب الجغرافيين أصالة في القرن العاشر، وهو القرن الذي نشأت خلاله المدرسة الكلاسيكية للجغرافية العربية¹.

في حديث المسعودي عن المواضع التي لا يتأتى فيها الحرث، ذكر في التنبيه والإشراف «مواضع الجبال والآكام والتلول والآجام والسباح ومدارس الطرق والمحاج ومجاري الأنهار ومواضع المدن والقرى وغير ذلك من المواضع [...]»².

وأشار صاحب التنبيه والإشراف إلى بطليموس القلوزي الذي رسم للناس في كتابه المترجم بـ مسكون الأرض صورة معمور الأرض وما فيها من مواضع الكور والبحار والأنهار في الطول والعرض³...

واستعمل المسعودي مصطلح موضع ومواضع أيضاً للدلالة على مجال جغرافي غير محدد لمّا تحدث، على سبيل المثال، عن تملك مقسيميانوس على الشام ومما يلي بلاد الجزيرة ومواضع من أرض الروم⁴. وأنه قد يكون في بعض المواضع مقدار شهر من الصيف نهاراً كله، لا ليل فيه. وشهر من الشتاء ليل، لا نهار فيه⁵.

¹ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص 177.

² أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، 1938، ص 35. ويعتبر كراتشكوفسكي أن هذا المصنف قد اكتسب عن جدارة حق الانضمام إلى "مكتبة الجغرافيين العرب" (*Bibliotheca Geographorum Arabicorum*)، انظر: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص 182.

³ التنبيه والإشراف، ص 27-28.

⁴ نفسه، ص 117-118.

⁵ نفسه، ص 192.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

وكان المقدسي¹ قد استعمل أيضاً مصطلح موضع ومواضع للدلالة على مجال جغرافي غير محدد لما تحدث، على سبيل المثال، عن مواضع الأخطار في المفاوز، ومواضع الضيق والجذب²، ومواضع المياه في البادية³، ومواضع المسلمين من ممالك الكفار⁴، ومواضع وأقاليم الأعاجم⁵...

واستعمل المصطلح نفسه للدلالة على مجال طبيعي بعينه، كالموضع الذي أنزلت فيه التوراة على موسى بطور سيناء⁶. وطور سيناء هذا، حسب المقدسي، هو الموضع الذي خرج فيه موسى وبنو إسرائيل⁷. أو موضع اجتماع دجلة والفرات⁸، أو منبع «مخرج» دجلة من عيون بناحية آمد، من الموضع المعروف بحصن ذي القرنين، وكذا منبع «مخرج» الزاب الأصغر، من الموضع المعروف بدينور، ومخرج نهر النهروان ثم اجتماعه وانتهائه إلى الموضع المعروف بباصلوى⁹... وأورد المسعودي ما ذكره الجاحظ في كتابه الأخبار عن الأمصار وعجائب البلدان أن مخرج مهران السند والنيل من موضع واحد¹⁰، وإذا صار نهر

¹ ويعتبره كراتشكوفسكي «آخر الممثلين الكبار للمدرسة الكلاسيكية للجغرافيا العربية وسلسلة الجغرافيين الكبار للقرن العاشر... وأكثر الجغرافيين العرب أصالة... ومصنفه واحداً من أكثر المصنفات الجغرافية في الأدب العربي قيمة». انظر: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص 208؛ 215.

² المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، ليدن، 1877، ص 2.

³ نفسه، ص 255.

⁴ نفسه، ص 9.

⁵ نفسه، ص 36، (هامش p، نسخة C).

⁶ التنبيه والإشراف، ص 131.

⁷ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 209.

⁸ التنبيه والإشراف، ص 38.

⁹ نفسه، ص 47-48.

¹⁰ نفسه، ص 49.

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

طرسوس إلى الموضع المعروف بالقطالية صب إليه نهر يعرف بالفاتر¹، وموضع مغيض زرنرود، نهر أصبهان.²

وذكر المقدسي موضع مجمع النهرين،³ وموضعاً ذا مشاجر،⁴ وموضع الصيد،⁵ وموضع اجتماع السفن في الأنهار ككارشنان في الأهواز.⁶ وزار المسعودي (الرحالة) المواضع المشهورة بكثرة الزلازل، وبعض البلاد التي هلك فيها خلق كثير من الناس وصار موضعها آجماً ومياهاً سوداً منتنة، وتلك التي تغور الأعين فيها وتفور.⁷

وتحدث البكري⁸ عن موضع الهضاب،⁹ والهضيبات،¹⁰ وبين أحياناً ألوانها، فهي حمراء،¹¹ أو صفراء؛¹² بعضها هضبة كبيرة كموضع أفاعية.¹³ ويتميز البكري عن سابقيه: المسعودي والمقدسي بكونه أكثر دقة في حديثه عن المواضع ووصفها. وهذا ليس بغريب لأن مصنفه كان إحياءاً للمنهج القديم في المعاجم الجغرافية الذي يرجع إلى القرن التاسع، وهي المعاجم

¹ نفسه، ص 52.

² نفسه، ص 64-65.

³ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 304.

⁴ نفسه، ص 322، (تنمة الهامش g من المخطوط C).

⁵ نفسه، ص 283.

⁶ نفسه، ص 412.

⁷ التنبيه والإشراف، ص 44-45.

⁸ «أكبر جغرافي أخرجته الأندلس قاطبة» حسب كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص 274.

⁹ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1403 هـ، ص 36.

¹⁰ نفسه، ص 114.

¹¹ المرجع نفسه.

¹² نفسه، ص 162.

¹³ نفسه، ص 174.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

التي وضعها اللغويون. ومعجمه، حسب كراتشكوفسكي، ليس كتاباً في الجغرافيا بقدر ما هو كتاب لغوي.¹ فهو أكثر دقة من حيث وصفه لمواقع المواضع التي ذكرها في معجمه مستعملاً صيغاً شتى كقَبْل مكان ما، «أنقة بالقاف، على وزن فاعلة من الأَنَق: موضع قَبْل البقيع»؛² أو في شِقْ كذا، كـ «الأباريات، على وزن فُعاليات: موضع في شِقْ ديار بنى أسد»؛³ أو تلقاء كذا، كـ «أثلة: موضع، ... وأظنها تلقاء مصر»؛⁴ أو بظهر كذا، كأنفَرَة: «موضع بظهر الكوفة...»⁵. وقد يكون الموضع من الثغور كأذنة: «موضع من ثغور الشام»⁶...

كما كان البكري أكثر دقة في وصفه لطبيعة تربة المواضع التي أورد أسماءها في معجمه. فقد يتميز الموضع بغلظ أرضه وخشونتها كـ «ليث، آبار كثيرة عذبة، ليس لها مزارع، لغلظ⁷ موضعها، وخشونته»⁸، وقد يكون موضع رمل كالأحوران بديار كلب⁹. كما ربط بين بعض المواضع وغطائها النباتي، فأحوس مثلاً موضع نخل¹⁰...

¹ انظر: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص 276؛ 278.

² معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ص 94.

³ نفسه.

⁴ نفسه، ص 108.

⁵ نفسه، ص 203.

⁶ نفسه، ص 133.

⁷ غلظ (لسان العرب): «وأرض غليظة: غير سهلة، وقد غلظت غلظاً، وربما كني عن الغليظ من الأرض بالغلظ. قال ابن سيده: فلا أدري أهو بمعنى الغليظ أم هو مصدر وصف به. والغلظ الغليظ من الأرض، رواه أبو حنيفة عن النضر ورُد ذلك عليه، وقيل إنما هو الغلظ، قالوا: ولم يكن النضر بثقة. والغلظ من الأرض: الصلْب من غير حجارة؛ عن كراع، فهو تأكيد لقول أبي حنيفة».

⁸ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ص 100. وانظر: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص 42: «ومن نافلة القول أن نوكد غنى اللغة العربية القديمة في كل ما يتعلق بالتربة وأخص مميزاتها الباطنية...».

⁹ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ص 120.

¹⁰ المرجع نفسه.

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

وتحدث المسعودي عن الخصائص المناخية لبعض المواضع حيث يطيب الصيف ويفسد الشتاء فساداً يتمتع فيه من المكاسب المهنية والمطالب الصناعية لشدة بردها ودوام سقوط الثلج فيها. وأهوية هذه المواضع، حسب المسعودي، تختلف من حيث البخارات الباردة والحارة التي تنبعث من باطن الأرض¹. وذكر المقدسي مواضع حارة، كتلك التي بإقليم أقور مثلاً²، أو مواضع الحر، والمواضع التي بها جبالٌ وبلدانٌ باردة، كتلك التي بإقليم المغرب³. وكلما اشتد برد موضع في إقليم المشرق، اشتد حره⁴. ومواضع الحرّ بإقليم كرمان أكثر من مواضع البرد⁵، وفي إقليم السند مواضع معتدلة الهواء⁶، وفي طريق الري موضع شديد البرد في جميع السنة⁷...

وفي حديثه عن ذكر الأسماء واختلافها، قال صاحب أحسن التقاسيم إن الموضع مرادف للبقعة، وهو يستعمل أيضاً مصطلحاً آخر مرادفاً لهما وهو "الرقعة" التي قد تكون صغيرة، أو متوسطة، أو واسعة⁸. وهذه من الأشياء التي يختلف فيها أهل الأقاليم، على حد تعبير المقدسي⁹. والبقعة في القاموس هي: «قِطْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ هَيْئَةٍ الَّتِي بَجَنْبِهَا، وَالْجَمْعُ بُقَعٌ وَبِقَاعٌ»¹⁰.

¹ التنبيه والإشراف، ص 38؛ 40.

² أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 142.

³ نفسه، ص 236.

⁴ نفسه، ص 322.

⁵ نفسه، ص 468، الهامش 9.

⁶ نفسه، ص 481.

⁷ نفسه، ص 495.

⁸ انظر الهامش: 115.

⁹ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 30-31.

¹⁰ انظر: مادة بقع: (لسان العرب)؛ و(مقاييس اللغة): «قال الخليل: البُقْعَةُ قِطْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ هَيْئَةٍ الَّتِي إِلَى جَنْبِهَا، وَجَمْعُهَا بِقَاعٌ وَبُقَعٌ».

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

والمجالات التي تمتد فوقها البلدان والقرى هي مواضع. وقد تتفق أسماء بعضها، وتتباين مواضعها. فطبرك مثلاً: موضع بالري وبأصبهان¹، والزرقاء قرية في طريق الرّي، وموضع في طريق دمشق²...

والموضع في مؤلف المقدسي قد يكون مدينة كمكة وبغداد وإيلياء وشيراز... وبعض هذه المدن قد تكون موضع الوباء كجرجان، أو موضع الأخطار كالرقّة³، أو دار المملكة وموضع الدواوين كبخار⁴، وموضع السماحة كبلخ⁵...

وقد يكون الموضع جزيرة كصقلية⁶، أو فوهة بركان هذه الجزيرة التي يسميها المقدسي بموضع الدخان⁷، أو مشهداً⁸، أو طلسمًا⁹، أو مكاناً غير محدد في البحر، كموضع في بحر سيرا ف تخرج من قعره عين مأوها عذب¹⁰، أو أمكنة بعينها في البحر، كموضع فاران شمال البحر الأحمر مثلاً، حيث يفترق لسانان (خليج العقبة والسويس). ومواضع الخوف في هذا البحر جبيلان: موضع غرق فرعون، ثم فاران وهو موضع تهبّ فيه الرياح من مصر والشام

¹ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 24: «اعلم أن في الإسلام بلدانا وكورا وقرى تتفق أسماؤها وتتباين مواضعها ويشكل على الناس أمرها[...]»؛ وانظر: الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ج 3، مادة: «طَبْرَك: قلعة بالري. وقلعة بأصبهان».

² أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 26. وانظر على سبيل المثال معجم البلدان لياقوت الحموي: «آرة: في ثلاثة مواضع، آرة بالأندلس... وآرة: بلد بالبحرين، وآرة أيضاً: قال عزّام بن الأصبغ: آرة جبل بالحجاز...».

³ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 33.

⁴ نفسه، ص 270.

⁵ ص 302.

⁶ نفسه، ص 183.

⁷ نفسه، ص 241.

⁸ نفسه، ص 184.

⁹ نفسه، ص 444.

¹⁰ نفسه، ص 445.

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

فتتحاذيان، ثم جابر، وهو موضع سوء يرى فيه قعر البحر، شأنه في ذلك شأن الخشبات التي تنسب إلى البصرة، وهي الطامة الكبرى لرقّة تلك المواضع¹. ومغاوص اللؤلؤ في البحر هي كذلك مواضع كمغاص تُؤام بالبحرين².

وقد يكون الموضع كذلك مسجداً كالمسجد الأقصى³، وموضع البيت الحرام: بكّة، (ومكّة: ما حوالیه)⁴، وموضع مسجد الرسول بالمدينة⁵، أو موضع جامع دمشق⁶، أو الجامع السفلاني بالفسطاط «لأنه أجل موضع بمصر»⁷، أو مجموعة من المساجد، كالتتعيم، حول مسجد عائشة⁸، أو مدخلاً لمسجد، كالمسجد الأقصى الذي كان يجري الدخول إليه من ثلاثة عشر موضعاً⁹، أو موضع كنيسة، كذلك الذي صعد منه عيسى¹⁰، وموضع مدينة ليس لها أثر، كإرم ذات العماد¹¹، أو موضع قرية كأفيق، القرية الشامية المنتصبة على موضع يقال له الأقحوانة¹²، أو موضع قريّات لوط، (على فرسخ من حبري)¹³. وقد يكون بلداً كاليمن الذي

¹ نفسه، ص 11-12.

² معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ص 323.

³ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 183.

⁴ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ص 269.

⁵ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 80.

⁶ نفسه، ص 147.

⁷ نفسه، ص 198-199، (الهامش p من المخطوط C).

⁸ نفسه، ص 77.

⁹ نفسه، ص 170.

¹⁰ نفسه، ص 172.

¹¹ نفسه، ص 67؛ 88.

¹² البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ص 178.

¹³ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 173.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

يُعرفه المقدسي بموضع واسع¹؛ وموضع وقعة، كمعركة بدر²، وموضع معسكر، كمعسكر مصعب بن الزبير (مسكن بالعراق)³، وموضع مرقد إبراهيم في المسجد الذي بناه أبو بكر الصباحي⁴، وموضع دار الخليفة، وموضع دار الأمير (مدينة السلام)⁵، وموضع قد نضد فيه موتى الكفار بعض على بعض (بتنيس)⁶...

وقد يكون الموضع جليلاً (كموضع المسجد الجامع ببلخ)⁷، أو حسناً (كمسقط)⁸، أو نزيهاً⁹، أو حسناً نزيهاً (كموضع عرفجا)¹⁰، أو حسناً نزهاً كموضع الجامع الفوقاني بمصر¹¹، أو طيباً¹²، أو قسبة كالعباسية التي ينعتها المقدسي بموضع الريف والخصب¹³، أو موضع معدن (قُساس)¹⁴، أو موضع وحش (معدن النقرة)، أو موضعاً منقطعاً عن العمارات¹⁵، أو وموضع

¹ نفسه، ص 88.

² نفسه، ص 82-83.

³ البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، ص 115.

⁴ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 173.

⁵ نفسه، ص 120.

⁶ نفسه، ص 201.

⁷ نفسه، ص 302.

⁸ نفسه، ص 93. وانظر على سبيل المثال ص 309: «ولهراة أعمال جلييلة ومواقع حسنة يطول بذكرها الكتاب».

⁹ نفسه، ص 162، و 391.

¹⁰ نفسه، ص 253.

¹¹ نفسه، ص 199، (الهامش d من المخطوط C).

¹² نفسه، ص 189، (الهامش a من المخطوط C).

¹³ نفسه، ص 196.

¹⁴ البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، ص 344.

¹⁵ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 285.

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

خلوة¹، أو موضع سَوء، أو موضعاً يستوحش فيه²، أو مأسدة (كَبَواء)³، أو موضعاً قد خرب وقد كان عامراً حسناً أهلاً (كالقاع)⁴، أو موضع خراب (الرَبْذة)⁵، وموضع قد خربت (كتلك التي بالعقبة)⁶، أو أعرم موضع، كالجامع السفلائي والأسواق الملتفة عليه في مصر⁷، أو راس الطاق والجامع في المدينة عند القهنز بسمرقند⁸...

ويورد المقدسي طول بعض المواضع وموقعها⁹، ويحدثنا عن «بهاء بلخ وحسن موقعها»¹⁰. أما مساحاتها فإنها تختلف في نص المقدسي اختلافاً كبيراً، فقد تكون صغيرة جداً كموضع الوقيد الأخضر الذي ينبعث نهراً من دويبة تسمى مائة¹¹، أو صغيرة كقرضة غزنين بخراسان التي هي «صغيرة في الاسم والموضع [والرقعة (في مخطوط C)]¹²». وقد تكون هذه المساحة عبارة عن مساحة حائط، كالحطيم الذي يقع شمال الكعبة¹³ أو الشاذروان وهو

¹ نفسه، ص 209.

² نفسه، ص 494، (تتمة هامش s).

³ البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ص 282.

⁴ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 253.

⁵ نفسه، ص 108.

⁶ نفسه، ص 253.

⁷ نفسه، ص 199.

⁸ نفسه، ص 279.

⁹ نفسه، ص 289.

¹⁰ نفسه، ص 302.

¹¹ نفسه، ص 397.

¹² نفسه، ص 303-304. يستعمل المقدسي أحياناً مصطلح الرقعة محل الموضع، انظر على سبيل المثال ص

304: «بُسْتُ قُصْبَةَ جَلِيلَةَ [...] موضوعة بين نهريْن [...] إلا أنها وبيّة متطرفة صغيرة الرقعة [...]»؛ ص

275: «وميركي متوسطة الرقعة»؛ 276: «بنكت هي قُصْبَةُ الشَّاشِ وإسعة الرقعة»؛ وانظر ص 277-278؛

288-290؛ 295؛ 308؛ 314؛ 430. وفي لسان العرب: «والرُقْعَةُ قِطْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ تَلْتَرِقُ بِأُخْرَى».

¹³ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 74-75.

حائط قد بني من الحجارة (في الأهواز)¹. وقد تكون المواضع ضيقة²، أو مواضع متقاربة³. وذكر المسعودي كذلك مجالات محددة صغيرة، كموضع الحجر الأسود⁴، أو موضع صنم (باغ)⁵، أو مواضع بعض القبور (علي بن أبي طالب و معاوية)⁶...

وقد تمتد مساحة الموضع على مسيرة سنة، وهي مساحة موضع المسلمين بالنسبة لمسيرة الدنيا التي حددها عبد الله بن عمرو في خمسمائة سنة، أربعمائة سنة خراب ومائة عمران⁷. وأورد المسعودي مسافة أعرض موضع في البحر الرومي، وهي أربعمائة ميل⁸، وذكر الموضع المعروف بالمتدب وهو أضيق أعبار [معاير] البحر الفاصل بين ساحل الحبشة الى ساحل اليمن⁹.

وليعض المواضع مزية على غيرها كبايل التي يحدثنا المسعودي عن فضل موضعها وجلالة صقعها، شأنها شأن موضع العراق الذي هو أشرف المواضع، والموضع الذي ينقسم فيه الزمان أربعة أقسام. وهذا الصقع الذي مدينة السلام منه هو، حسب المسعودي، أفضل مواضع الأرض جميعاً¹⁰.

ونذكر المقدسي بعض المواضع مستعملاً أيضاً أسماء التفضيل كأفصح موضع، وأحسن

¹ نفسه، ص 411، الهامش 13.

² نفسه، ص 411، الهامش 13.

³ نفسه، ص 293.

⁴ التنبيه والإشراف، ص 197.

⁵ نفسه، ص 312.

⁶ نفسه، ص 257، 261.

⁷ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 62.

⁸ التنبيه والإشراف، ص 50.

⁹ نفسه، ص 226.

¹⁰ التنبيه والإشراف، ص 32-33، 37.

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

موضع¹، وأمر موضع، و أجلّ موضع²... كما ذكر مواضع لا يؤبه بها³.

وتطرق المسعودي إلى أسماء المواضع التي بنيت فوقها بعض المدن، كالفلسطينية التي بناها قسطنطين على الخليج الأخذ من بحر مايطس، في الموضع المعروف بطابلا من صقع بوزنطيا⁴، لعلمه بالموضع وحصانته⁵. وهذه الأمانة الحصينة يسميها البكري بـ «المواضع الممتعة»⁶.

كما أورد المسعودي الكيفية التي تم بها وقوع اختيار المعتصم على موضع سامراً في بلاد كورة الطيرهان، وكان قد همّ قبل ذلك أن يبني المدينة في موضع قصر كان للرشد في ناحية القاطول. ثم ذكر أن موضع قصر المعتصم، كان ديراً للنصارى وأراضي؛ وأن نزول عتبة بن غزوان موضع البصرة كان في سنة 14.7 ويحدثنا المقدسي عن اختطاط هذه المدينة التي أمر عمر بن الخطاب ببناها، وكيف تم الاتفاق على موضعها ونزول العرب به⁸. وكان عبد المسيح بن بقليلة الغساني قد دل سعد بن أبي وقاص على موضع الكوفة⁹.

ولا يسمي المقدسي المواضع التي يذكرها عندما تكون جزءاً من مجال معين. ففي فرضة تنيس مثلاً، تحمل المنسوجات إلى دار فتشدّ، ثم موضع آخر فتجعل في سفت، ثم موضع آخر

¹ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 431، تنمة الهامش i.

² نفسه، ص 483، والهامش 16.

³ نفسه، ص 488.

⁴ التنبيه والإشراف، ص 120.

⁵ نفسه، ص 122.

⁶ البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ص 5

⁷ التنبيه والإشراف، ص 309-310.

⁸ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 117.

⁹ التنبيه والإشراف ، ص 309-310.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

فتحزم¹. وفي الجامع الأموي بدمشق موضع يفتح كل سنة فيمتلئ الجامع ماء نحو ذراع فيغسل حيطانه وأرضه، ثم يفتح موضع آخر فينسب إليه الماء كله². ولما ظهر قبر دانيال، جعل في تابوت، فكان يحمل إلى المواضع يستسقى به³. وأيام الجمع يجتمع شيعة شيراز في غير موضع⁴...

وقد يكون الموضع ربضاً من أرباض المدينة⁵، أو جزءاً من مجال حضري بعينه، كميناء الإسكندرية الذي هو «الموضع الذي ترسو فيه مراكب البحر»⁶.

وبعض المواضع غير اسمها كموضع نخلة، الذي أصبح معروفاً في زمن المسعودي ببستان بن عامر، على جادة العراق⁷. وزعموا - ولعل هذا من التراث الأسطوري في الجغرافيا - أن بعض المدن قد يُغير موضعها كعبّادان التي أورد المقدسي بخصوصها حديثاً للرسول (وهو لا ريب من غريب الحديث) يقول: «من أدرك منكم عبّادان فليرابط بها فإنها طينة من طين بيت المقدس حملها الطوفان أيام نوح وستعود الى موضعها يوم القيامة»⁸! وللفرق المهنية مواضعها كالهراسين⁹ والورّاقين¹⁰ والمكاسين¹¹ والقصارين¹...

¹ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 213، (الهامش g من المخطوط C).

² نفسه، ص 159، (الهامش d من المخطوط C).

³ نفسه، ص 417.

⁴ نفسه، ص 439.

⁵ نفسه، ص 101.

⁶ التنبيه والإشراف، ص 43.

⁷ نفسه، ص 203.

⁸ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 118، الهامش o.

⁹ نفسه، ص 129: «وللهراسين مواضع فوق دكاكينهم فيها الحصر والموائد والمري وخدام وطسوت وأباريق وأشنان».

¹⁰ نفسه، ص 158: «وفي هذه الأروقة [جامع دمشق] موضع الورّاقين».

¹¹ نفسه، ص 292، الهامش c.

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

ولقد استعمل كتاب بعض سلاطين المغرب مصطلح مواضع للدلالة على أماكن معينة، تخص في هذه الوثيقة الأراضي التي لم تكن تشملها سلطة المخزن. فهذا نص جواز سفر مغربي سُلّم لآرثر ليرد يقول:

«الحمد لله وحده - ولا حول ولا قوة إلا بالله (الخاتم السلطاني الخاص بمولاي الحسن) أذنًا لحامله الطبيب الإنجليزي [آرثر ليرد] في الجولان في إيالتنا المحروسة بالله والاقتصار على القبائل التي تنالها الأحكام من غير أن يورط نفسه في **المواضع** التي لا تنالها الأحكام، فنأمر من يقف عليه من عملائنا وقبائل طاعتنا السعيدة أن يقابله بالجميل والمراعات [هكذا] حتى لا يصله مكروه من أحد والسلام. في 12 جمادى الثانية 1294 هـ (الموافق 25 يونيو 1877 م)²».

خاتمة:

ليس الموضع بموقع، ولا الموقع بموضع. وإذا كان لكل موضع جغرافي موقعه، فلا موضع للموقع، كما لا يمكننا الحديث عن موقع الموقع.

فلقد رأينا أن الفرق في القواميس ومعاجم المصطلحات الجغرافية الفرنسية بين الموضع والموقع واضح، وهي لا تخلط بين موضع المكان وموقعه. فالموضع بمفهومه المحلي المحدود، يُحدّد بقطع النظر عن الأماكن المجاورة له، ويُقتصر في تحديده على خاصيات هذا المكان لا غير؛ وهو المكان أو الأرض التي تمتد فوقها مدينة أو قرية أو معالم أثرية... ثم إنه يخالف عادة الموقع. أما الموقع فهو توطين مكان ما توطيناً نسبياً في المجال، أي بالنسبة للأماكن الأخرى التي من شأن خاصياتها الطبيعية أو البشرية أن تؤثر في مميزات هذا المكان؛ ويحدد العلاقات بمحيط الموضع القريب والبعيد. ومفهوم الموقع نسبي، وهو كذلك مرتبط

¹ نفسه، ص 409: «وعند الجسر موضع نزبه به القصارون [...]».

² عبد المجيد بن جلون، **جولات في مغرب أمس** (1872)، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1975، ص 158

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

بالتاريخ، لأنه يتغير بمرور الزمن، مع أنَّ الموضوع لا يتغير.

فالمجالات التي تمتد فوقها البلدان والبلديات والكور والمدن والقرى، كما رأينا، هي مواضع وليست مواقع في مصنفات المسعودي والمقدسي والبكري، وكذا في أمهات القواميس العربية. والمواضع في هذه المؤلفات هي إما مجالات جغرافية طبيعية أو بشرية غير محددة، أو مجالات بعينها، تُذكر مواقع بعضها، وكذا طولها وعرضها ومساحتها ومميزاتها. وهي مرادفة للرُّقعة والبُقعة، ولكن ليس للمواقع.

كما تحدث الجغرافيون العرب عن الخصائص المناخية للمواضع من حيث حرارتها وبرودتها واعتدال هوائها؛ وذكروا بعض المواضع مستعملين أسماء التقضيل كأفسح موضع، وأحسن موضع، وأمر موضع، و أجلّ موضع... وقد يكون الموضع رِبضاً من أرباض المدينة، أو جزءاً من مجال حضري بعينه.

وكل المؤلفات اللغوية والجغرافية التي رجعنا إليها تذكر المواضع ثم تحدد أحياناً مواقعها، ولذا فمدلول الموضع يختلف تماماً في أذهان أصحابها عن مدلول الموقع، هذا المصطلح الذي لم يعد يستعمل في محله، وخاصة عند الحديث عن "المواقع الأثرية" التي هي في الواقع مواضع لها مواقع معينة، غير أنها ليست بمواقع.

..... استعمال مصطلح موقع للحديث عن المواضع التاريخية والأثرية

القواميس والمعاجم:

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت، 1965-2001.
- ترتيب القاموس المحيط، للطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، ط 3، 1980.
- الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، بيروت، دار العلم للملايين، ط 4، 1990.
- القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، 2005.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، 8 أجزاء.
- لسان العرب المحيط، لابن منظور، بيروت، دار الجيل ودار لسان العرب، 1988.
- محيط المحيط، لبطرس البستاني، مكتبة لبنان.
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، بيروت، مكتبة لبنان، 1989.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، بيروت، دار صادر، 1995.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكري، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب، ط 3، 1403 هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، 1979.
- المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا (إنجليزي - فرنسي - عربي). المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سلسلة المعاجم الموحدة، رقم: 9، تونس 1994.

المصادر والمراجع باللغة العربية:

- عبد المجيد بن جلون، جولات في مغرب أمس (1872)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، 1975.
- عرّام بن الأصبح السلمي، كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى...، نواذر المخطوطات، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، المجموعة الثامنة، ط 2، القاهرة، 1974.
- أغناطيوس يوليانيوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963.
- المسعودي، التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، 1938.
- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، بريل، 1877.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

المراجع باللغة الفرنسية:

- CNRTL (Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales) ; <http://www.cnrtl.fr>
- *LE GRAND ROBERT DE LA LANGUE FRANCAISE*, 2001.
- <http://www.hypergeo.eu/spip.php?article366>
- BRUNET (R.), FERRAS (R.), THERY (H.), *Les Mots de la Géographie*. Dictionnaire critique, 3è éd. revue et augmentée, Montpellier-Paris, RECLUS-La Documentation Française, 1993.
- MERLIN (P.), CHOAY (F.), *Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement*, Paris, P. U. F., 1988.

ترجمة المصطلح اللساني عند محمد يحياتن

مصطلحات علم الدلالة نموذجاً

د. سيدي محمد بن مالك

أستاذ محاضر بجامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان - الجزائر

اضطلع محمد يحياتن بترجمة عددٍ من البحوث والدراسات اللسانية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية. وقد تعددت تلك الترجمات بتعدد العلوم المتفرعة عن اللسانيات؛ فقد كان همّ الأكاديمي والباحث والمترجم الجزائري، الذي فاجأه الموت ذات يومٍ من شهر ماي سنة 2012، تيسير المصطلح اللساني للباحث والقارئ العربيين شكلاً وتعريفاً، بغضّ الطرف عن انتساب هذا المصطلح إلى ميدانٍ لسانيٍّ معيّن. لقد تصدّى يحياتن بالترجمة لجملةٍ من الكتب المتخصصة في علم الدلالة واللّسانيات الاجتماعية واللّسانيات التداولية وتحليل الخطاب والسياسة اللغوية¹. وقد أثرنا الوقوف عند أسلوبه في ترجمة المصطلح اللساني في كتاب

¹ فضلاً عن إجادته للغة الفرنسية، يمتلك محمد يحياتن (1953-2012)، بوصفه أكاديمياً وباحثاً في ميدان اللسانيات والترجمة وتعليمية اللغات، معرفة موسوعية بالميادين الفرعية للّسانيات. وهو ما أهله لإنجاز ست ترجمات، في حدود علمنا، لبحوث لسانية هامة، هي، على التتالي، "مدخل إلى اللّسانيات التداولية" للجيلالي دلاش (1992)، و"علم الاجتماع اللغوي" للويس جان كالفي (2006)، و"السياسات اللغوية" للباحث نفسه (2008)، و"المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب" لدومينيك مانغونو (2008)، و"القول من حيث هو فعل" لجون أوستين (2010)، و"مدخل إلى علم الدلالة" لسالم شاكور (2012) إضافةً إلى ترجمة كتاب يعنى بتاريخ الترجمة ومفاتيحها ومنزلة المترجم والترجمة الشفوية، وهو كتاب "موسوعة الترجمة" لجوئيل رضوان (2010)، وكتب في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر وروايات.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

انصرف إلى تحديد مصطلحات مفتاحية في علم الدلالة بوصفه ميداناً لسانياً صرفاً، وهو كتاب "مدخل إلى علم الدلالة" لسالم شاكر. وسنتبع، في قراءتنا الوصفية لأسلوب يحياتن في ترجمة المصطلح اللساني، الخطوات الآتية:

- على الصعيد النظري: التمييز بين المفردة والمصطلح، والإشارة إلى تداخل العلوم في مسألة نقل المصطلح، كاللسانيات والمصطلحية والمعجمية وعلم و/أو فن الترجمة نفسه.
- على الصعيد التطبيقي: تحديد المكافئات المصطلحية التي يستعملها يحياتن في ترجمته لهذا الكتاب، ومقارنتها بنظيراتها في الترجمات الأخرى، وتأكيد الطبيعة المتغيرة للمصطلح اللساني أثناء توظيفه في مباحث اللسانيات وفروعها، وهو ما ينعكس على عملية ترجمة المصطلح نفسه.

1. المصطلح وتداخل العلوم

تمثل ترجمة المصطلح اللساني أداة متميزة لتحقيق التواصل اللغوي والثقافي (العلمي تحديداً، باعتبار العلم نمطاً ثقافياً من بين أنماط ثقافية أخرى) بين المتخصصين، حتى لا يغدو المصطلح مُشاعاً بينهم بقطع النظر عن انتماءاتهم الجغرافية واللغوية؛ فمصطلحاً الدال والمدلول لم يبقيا ملكاً لفرديناند دو سوسير وحده، بل أصبحا ملكاً لجمهور اللسانيين الذين استقبلوهما فهماً وشرحاً واشتغالا وترجمة وتعديلاً وتجاوزاً. غير أن الترجمة، لكي تحتفز من التحريف ابتغاء الاستقبال الجيد للمصطلح، ينبغي أن تحيط بخصائص المصطلح اللساني من حيث كونه:

1. مفردة خاصة تختلف عن المفردة المشتركة التي يتداولها عامة الناس.
2. مرتبطاً بالكلام لا باللغة وبالاستعمال لا بالمقام، وإن كان مقامه هو المقام العلمي.
3. نسقياً؛ فهو يدخل في علاقة من نوع ما بمصطلحات أخرى، نحو علاقة الاحتواء أو الاندراج أو التقابل أو التكامل؛ فمصطلح الدليل يحتوي مصطلحي الدال والمدلول المندرجين فيه، وهما متقابلان ومتكاملان في الآن ذاته.

4. حاملاً لمعنى أحادي لا متعدّد، عكس المفردة الأدبيّة التي تحمل إحياءات كثيرة ومختلفة في سياق النصّ.

5. منتسباً إلى ميدان معرفي هو اللسانيات التي تعتبر ميداناً عاماً أو مُشجّراً يمكن أن يتوزّع على ميادين فرعيّة، كاللسانيات العامّة واللسانيات التطبيقيّة والفونولوجيا وعلم الدلالة. ومن ثمّ، قد يكون للمصطلح معنىً أحاديّ إذا انتمى إلى ميدان فرعيّ واحد، أو معنىً متعدّد إذا انتمى إلى أكثر من ميدان فرعيّ واحد. وفي الحالين، يظلّ أحاديّ المعنى بالنظر إلى الميدان الواحد. إنّ تعدّد تصوّرات مصطلح التواتر *fréquence*، مثلاً، نابع من تعدّد الميادين الفرعيّة التي تنتسب إليها هذه المفردة الخاصّة، من لسانيات تطبيقيّة وفونيطيقا ومعجميّة؛ فهذه التّصوّرات علميّة تتولّد عن الملاحظة والوصف وليست إحياءات شعريّة ينتجها الذوق والتأويل اللذين تستثيرهما المفردة الأدبيّة.

إنّ تمكّن المترجم من استيعاب هذه الخاصيات ومراعاته لها يعكس درايته باللسانيات التي تُعدّ مدخلاً لفهم المصطلح، ومن ثمّ، نقله من اللّغة - المصدر إلى اللّغة - الهدف، حيث "يتكوّن كلّ قسم مؤلّف لنظام تصوّريّ معيّن من أربعة عناصر، هي: المصطلح والتّصوّر والميدان والتّعريف. يهتمّ علم المصطلحات بالمصطلح الذي يعتبره بمثابة العنصر المركزيّ. بيد أنّ العناصر الأخرى ضروريّة لوجود المصطلح. يترتّب على شكل لغويّ ما، لكي يُعترف بوجوده كمصطلح، أن يشير إلى تصوّر ينتمي إلى ميدان معيّن وأن يُحدّد بواسطة تعريف. ويمثّل الميدان أحدَ العناصر الثلاثة التي يتألّف منها المنصب الثلاثي القوائم الذي يركّز عليه المصطلح (باعتبار أنّ العنصرين الآخرين هما التّصوّر والتّعريف)"¹.

على حين يحيل عنصر الميدان إلى اللسانيات كعلم يجب الإلمام بأسباب نشأته وميادينه الفرعيّة ومصطلحاته وإجراءاته التحليلية، يُحيل عنصر التّصوّر على علم آخر يحاول الانعتاق

¹ هنري بيجوان، فيليب توارون: "المعنى في علم المصطلحات"، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: سليم نكد، بيروت، المنظّمة العربيّة للترجمة، ط. 1، 2009، ص 269.

من اللسانيات التي ينبثق عنها بتأسيس رؤية ومنهجية خاصتين به، ألا وهو المصطلحية؛ فالتصور، في نظر المصطلحيين، أشمل من المدلول *signifié* وأدّل على المعنى منه، وهنا تتجلى محاولة الانعتاق تلك؛ "فهم [أي المصطلحيين] مبالون، بالأحرى، إلى اعتبار التصور فطرياً وبديهياً، وأنه ينتج عفويّاً، نوعاً ما، عن الشيء المسمّى. كما أنهم ينزعون، باستمرار، إلى إحالة البحث على حالة الأسماء التي تدلّ على أشياء محدّدة وملموسة وتنتمي، بوضوح، إلى فئات محدّدة جيّداً ومعترف بها بالإجماع"¹. كذلك، فإنّ التصور لا يمكن أن يُحدّد بالمدلول الذي يختلف باختلاف الألسن، وهذا ما يظهر، خاصّة، أثناء ترجمة المصطلح؛ فالتصور مؤتلف فيه، والمدلول مُختلف فيه؛ الأول يشير إلى الفهم والإدراك والاستبطان، والثاني يشير إلى مجموع السيمات *sèmes* الذي يؤلّف الدليل. من أجل ذلك، لا يربط المصطلحيون، أو بعضهم على الأقلّ، بين التصور والمدلول في صياغة مفهوم المصطلح، بل يربطون بين التصور والتعريف الذي لا "يحيل إلّا على ميدان محدّد، ومن ثمّ أن يكون مختصّاً بقدر ما يستوجبه الميدان"². وكأنّ المصطلحيين يستعوضون بالتعريف عن المدلول ويحدّدون التصور به، ليكون وصف المصطلح خاصّاً ودقيقاً لا يجانب الصواب وضعاً في اللغة - المصدر ونقلًا إلى اللغة - الهدف.

كما لا يغيب عن ذهن المترجم أنّ وضع المصطلح اللساني أو ترجمته نشاطٌ يتطلب أناةً وجهداً وإماماً. وهو، فضلاً عن ذلك، نشاطٌ علميٌّ لا يستقيم إلّا إذا توقّرت لدى اللسانيّ الواضع أو المترجم معرفة بالمصطلحية وفرعيّها من مصطلحية نظرية *terminologie* ومصطلحية تطبيقية *terminographie* وبالحدود التي تفصلها عن اللسانيات والمعمّية بفرعيّها، هي الأخرى، من معجمية نظرية *lexicologie* ومعجمية تطبيقية *lexicographie* وبمناهج التقييس وغاياته، ذلك أنّ صناعة قاموس اللسانيات أو ترجمته تختلف عن صناعة معجم اللغة

¹ المرجع نفسه، ص 30.

² المرجع نفسه، ص 270.

.....ترجمة المصطلح اللساني عند محمد يحياتن

أو ترجمته من حيث إنّ الأوّل يُعنى بتعريف التّصوّرات الأحاديّة المعنى وتقييسها لتوحيد المصطلحات بين اللّسانيين، على حين يعنى المعجم بتحديد السيمات المعجمية المتعدّدة وإمكانات تحقّقها في سياق معيّن بناءً على استعمالاتها المحتملة لدى عامّة النّاس؛ فالّتواتر، في اللّسانيات التّطبيقية، هو "قربنة رياضية وإحصائية مُقدّرة بعدد وُرود عنصرٍ في مجموعة من النّصوص. وهو يُستعمل في الأسلوبية، والمعالجة الآلية للنّصوص... ويُستعمل، في وضع لغة أساسيّة، في تحديد الاستعمال والمُتاح؛ فمن غير الملائم، إذن، المقابلة، إحصائياً، بين مفردات مُتيسّرة ومفردات متواترة، لأنّها مُحدّدة بالقرائن نفسها، مع أنّ اختيار مفردات مُتيسّرة يجري بإجراءات خاصّة"¹. أمّا التّواتر، في معجم اللّغة، فيدلّ على التّتالي والتّوالي والتّتابع والتّلاحق مع فترات أو من دون انقطاع: "والتّواتر: التّتابع، وقيل: هو تتابع الأشياء وبينها فجوات وفترات. وقال اللّحياني: تواترت الإبل والقطا وكلّ شيء إذا جاء بعضه في إثر بعض ولم تجئ مصطفة. [...] وقال مرة: المتواتر الشيء يكون هنيهة ثمّ يجيء الآخر؛ فإذا تتابعت فليست متواترة، إنّما هي متداركة ومتتابعة على ما تقدّم. [...] والخبر المتواتر: أن يُحدّثه واحد عن واحد، وكذلك خبر الواحد مثل المتواتر. [...] وكذلك وارتت الكتب؛ فتواترت؛ أي جاءت بعضها في إثر بعض وِتراً وِتراً من غير أن تنقطع"². وللتّواتر معنى خاصّ في علم العروض؛ فـ "المتواتر: كلّ قافية فيها حرف متحرّك بين حرفين ساكنين، نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن ومفعولن وفعلُن وفَلْ إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فَعُولُنْ فَلَ"³.

ويبدو أنّ السيمات الخاصّة بمفردة تواتر ليست سيمات معجميّة فقط، بل هي سيمات سياقية كذلك. ولا نريد بالسياق، هنا، السّياق العامّ الذي يجري فيه تداول المفردة وشيوعها بين عامّة

¹ Collectif : « Dictionnaire de la linguistique », Sous la direction de : Georges Mounin, France, puf, 2006, p 147.

² أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفرقيّ المصريّ: "لسان العرب"، مادة (هـ - و - ي)، المجلّد الخامس عشر، بيروت، دار صادر للطّباعة والنّشر، ط. 3، 2004، ص 147.

³ المصدر نفسه، ص 147.

النَّاس، وإنما نريد به السَّيَاق الخاصَّ الَّذِي يجري فيه التَّدَاوُل والشَّيْوع بين المتخصِّصين، وهم، في هذه الحال، علماء العَرُوض. وهذا يعني أنَّ المعجم لا يتضمَّن مفردات مشتركة فحسب، بل يتضمَّن مفردات خاصَّة أيضاً؛ أي مصطلحات، على سبيل الإشارة لا الوصف، والتَّلميح لا التَّفصيل. غير أنَّ المعجم، بما يحويه من مفردات مشتركة وأخرى خاصَّة، يُعَدُّ سنداً للَّسانيِّ و/أو المصطلحيِّ والمترجم، جميعاً، في محاولتهم تقديم تعريفات دقيقة لمفردات خاصَّة في ميدان متخصَّص؛ فهو يتيح لهم التَّعرُّف بالإمكانات اللُّغوية الَّتِي تخزنها المفردة (تعدَّد السيمات) والإمكانات الاصطلاحية الَّتِي تُصيِّرُها مصطلحاً (تعدَّد التَّصوِّرات) لِیَحْدِثَ الاستقرار على تعريف له يبرز انتسابه إلى ميدان اللِّسانيَّات، ذلك أنَّ مصطلح التَّواتر متعدَّد التَّصوِّرات وهو، من ثَمَّ، ينتمي، فضلاً عن علم العَرُوض، إلى ميادين معرفيَّة أخرى، نظير علم الطَّب وعلم الفيزياء وعلم الكيمياء وعلم الإحصاء وعلم الاتصال وعلم السَّرْد أو السَّرديات، وهو علم يُعنى بمقاربة الخطاب السَّردي كما يمثِّلُ في أعمال جيرار جينيت.

وكما أنَّه لا مناص للَّسانيِّ و/أو المترجم من الاهتداء بالمصطلحية والمعجمية في وضع المصطلح، فإنَّه لا مناص لهما من الرُّكون إلى علم و/أو فنَّ التَّرجمة؛ فلأنَّ اللِّسانيَّات ميدانٌ معرفيٌّ كونيٌّ، فإنَّ التَّرجمة حاضرة، لا محالة، في عملية صياغة المصطلح على مستويي الشَّكل والتَّعريف؛ فقد عرفت لسانيات دو سوسير وتواصلية رومان جاكبسون وتوزيعية ليونارد بلومفيلد ووظيفية أندري مارتنيني وتوليدية تحويلية نوام شومسكي ما يمكن دعوته بالمتأقفة العلمية في ميدان اللِّسانيَّات. ومن ثَمَّ، فقد كوَّنت التَّرجمة الجسر الَّذِي عبرت عليه الدَّوال والتَّصوِّرات من وإلى أكثر من لغة واحدة، بل من فرط أهمية التَّرجمة بالنَّسبة للَّسانيَّات، فقد خاض فيها بعض اللِّسانيِّين، أمثال رومان جاكبسون وجورج مونان.

وعلى الرِّغم من التَّجاذب الَّذِي تعرفه التَّرجمة بين العلم والفنَّ، فإنَّنا نجنح إلى القول بأنَّ ترجمة المصطلح اللِّساني نشاط علميٍّ حين يوظَّف المترجم إجراءات التَّرجمة ومفاتيحها، ولكنها، أيضاً، نشاط لا يخلو من إبداع حين يكون همَّ المترجم تحقيق المعادل التَّصوِّري للمصطلح؛ "فالتَّرجمة هي، في الوقت ذاته، عمل تقني وعمل كاتب. ومن ثَمَّ، فهي عملية

رياضية لصياغة رسالة وفكها décodage et encodage، فضلاً عن عملية إعادة خلق فنيّ récréation artistique. وحتى في صلب المنظرين المحدثين، فإنّ دعاة الفنّ - أي القائلين بأنّ الترجمة فنّ - (مثل سافوري) يواجهون دعاة العلم - أي القائلين بأنّ الترجمة علم (مثل نايدا) والقائلين بالعملية اللغوية الصّرفة - أي إنّ الترجمة عملية لغوية (مثل فيدوروف) أو القائلين بالعملية المسمّاة بلفظ غامض هو الأسلوبية (مثل فيني). ثمّة، إذن، ثنائية بين العلم والفنّ حسب المنظرين. غير أنّ الذي يمارس الترجمة يعرف أنّه يمكن التوفيق بين النزعتين. وهكذا، نجد ج. ستاينر ينظر إلى الترجمة بوصفها (فنّاً دقيقاً)¹. وحتى إذا سلّمنا بأولوية العلم على الفنّ ورُجوح كفته عليه، فإنّ النهوض بترجمة المصطلح اللساني يقتضي الانفتاح على العلوم الأخرى، مثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الطّب والمعلوماتية وعلم الأدب والفلسفة؛ فقد لا يكون المصطلح كياناً لسانياً مكتفياً بتصوّره، بل قد تكون له تجلّيات وتقاطعات وامتدادات في ميادين أخرى، على غرار اللسانيات الاجتماعية واللّسانيات النفسية والأرطوفونيا واللّسانيات المعلوماتية وتحليل الخطاب وفلسفة اللّغة.

2. أسلوب يحياتن في ترجمة مصطلحات علم الدلالة

يهدف علم الدلالة، باعتباره فرعاً من اللّسانيات، إلى مقارنة الدليل، سواءً أكان ذلك على صعيد العلاقة بين الدال والمدلول أم على صعيد المدلول ذاته؛ ففي حين يحيل الصّعيد الأوّل على المعجميّة بشقيّها، يحيل الصّعيد الثّاني على ما يدعى بـ noologie² وهو "نظرية للمدلول اقترحها من لويس بريبطو. وهي مقارنة للدلالة تنطلق من واقعة ملموسة هي المعنى لدراسته من وجهة نظر إسهام الشّكل في تكوينه"³. فضلاً عن إمداد هذه العلوم والنّظريات بمفاهيمه وأدواته، يُعين علم الدلالة المصطلحية على إدراك المدلولات الثّابّة في الدّوال، وذلك

¹ جونيل رضوان: "موسوعة الترجمة"، ترجمة: محمّد يحياتن، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)، منشورات مخبر الممارسة اللغوية في الجزائر، د. ط، 2010، ص 40.

² Collectif, op. cit, p 293.

³ Ibid, p 233.

بتزويدها بمصطلح السيماء الذي يُعدُّ أحد أهمِّ المصطلحات - الأدوات المُستثمَّرة من قبل الجبرداس جوليان غريماس في علم الدلالة البنيوي، حيث يذهب أحد المصطلحيين¹، مثلاً، إلى اعتماده في التفريق بين التَّصوُّر والمدلول في وضع المصطلح، كما ألمحنا إليه من قبل.

وبقَطْع النظر عن تعدّد تيّارات علم الدلالة، من علم دلالة بنيويّ وعلم دلالة تاريخيّ وعلم دلالة توليديّ وعلم دلالة معرفيّ²، فإنّ هذا العلم لا مندوحة عنه في المصطلحيّة. في حين، يخال عبد السلام المسديّ أنّ علم الدلالة هو الذي بحاجة إلى المصطلحيّة؛ إذ يقول في سياق حديثه عن العلاقة الناشئة بينهما بعدما أصبحت المعجمية النظرية والمعجمية التطبيقية اللتان يسمّيهما المعجمية (أو اللكسيكولوجيا) والقاموسية (أو اللكسيكوغرافيا) لا تقويان، في نظره، على صرف الحيرة عن اللسانيّين حيال التَّصوُّرات الجديدة: "وعلم المصطلح موكلٌ إليه، اليوم، أن يساعد علم الدلالة على فحص إشكالات المعنى عسى أن يجيب عن سلسلة المساءلات المعرفيّة المتجدّدة: كيف تدلّ اللّغة بألفاظها على ما تدلّ عليه؟ وهل هناك نواميس تطرّد في ارتباط الأسماء بمُسمّياتها؟ ثمّ ما هو مدى تصرّف الإنسان - مستعمل اللّغة - في توجيه الرّوابط الدلالية بين الدّوال والمدلولات؟ بل كيف تتحرّك اللّغة ذاتيّاً؛ فتسدّ بألفاظها ما قد يحدث من شغور في كيانها المعنويّ بموجب بروز مُتصوِّرات لا تملك اللّغة في البدء ما تدلّ به عليها؟"³.

ولعلّ المسألة الأخيرة تشي، بضرب من الإبدال، بقصور علم الدلالة عن توفير مصطلحات - أدوات غير تلك التي يمكن أن يوفّرها، نظير السيماء، تسمح باستيعاب انسياب التَّصوُّرات المهدّد لكيان اللّغة المفرداتي والمعنويّ معاً، خاصّة إذا وفدت على اللّغة

¹ يُنظر: هنري بيجوان، فيليب توارون، المرجع السابق، ص 149.

² يُنظر: جان فرنسوا دورتيه: "معجم العلوم الإنسانيّة"، ترجمة: جورج كتورة، أبو ظبي، بيروت، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث (كلمة)، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع (مجد)، ط. 1، 2009، ص 738.

³ عبد السلام المسديّ: "مباحث تأسيسيّة في اللسانيّات"، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط. 1، 2010، ص

.....ترجمة المصطلح اللساني عند محمد يحياتن

مصطلحات من لغات أخرى من دون استئذان ولا إذن، من قبيل مصطلحات علم الدلالة نفسه؛ فكيف السبيل، والحال هذه، إلى مجابهة هذا التدفق الذي يتحدى كيان اللغة العربية في ما يخص مصطلحات هذا العلم؟ وما هي المناهج التي يتوخاها يحياتن، في ترجمة تلك المصطلحات، للتخفيف من هول التهديد وعنفوان التحدي؟

ثمة فرق بين الرغبة في تحقيق المعادل اللساني للمصطلح والرغبة في تحقيق معادله التصوري من لدن المترجم. ويتوقف تحقيق إحدى هاتين الرغبتين، أو هما معاً، على الالتزام بمنهجين مختلفين في الطريقة والغاية، وهما منهج التوليد اللغوي ومنهج التوليد المعنوي؛ ففي حين يضمّ المنهج الأول مناهج فرعية، مثل منهج التعريب ومنهج الاقتراض ومنهج النحت أو التكتيف ومنهج التركيب ومنهج الاشتقاق ومنهج المجاز، يضمّ المنهج الثاني، هو الآخر، مناهج فرعية، نحو منهج الرصف juxtaposition ومنهج التعويض compensation ومنهج التحويل ومنهج التكيف adaptation ومنهج التفسير ومنهج الاقتباس ومنهج الإحالة (أي الكتابة على الهامش). وإذا كانت المناهج الفرعية الأولى تخصّ الترجمة اللغوية وتروم توحيد المصطلح، فإنّ المناهج الفرعية الثانية "توفّر أدوات قيمة للمترجم الذي يرى أنّه ليست ثمة نصوص كثيرة مستعصية على الترجمة حتّى في مجال الأدب"¹. غير أنّنا لا نعدم حضور بعض تلك المناهج التي توجّه نشاط الترجمة، عامّة، والترجمة الأدبية، خاصّة، في الترجمة اللغوية المتخصصة، وهذا يعني أنّ ليس المترجم الأدبي، وحده، من يمارس فعل الإبداع، إنّما المترجم اللغوي، كذلك، الذي بإمكانه إعادة إبداع مصطلحات بدلاً من ترجمتها قياساً على إعادة إبداع أعمال أدبية بدلاً من ترجمتها.

من ذلك أنّ يحياتن، لكي يرفع اللبس الذي يعتور مصطلح sémantique، يرصف مصطلحين اثنين للإشارة إلى أنّ المعنى المراد ليس هو الدلالة، ولكنّ العلم الذي يدرس تجلياتها بتحليل الدليل، حيث يستعمل مصطلحاً مركباً هو (دراسة دلالية). وحين يتعرّض

¹ جويل رضوان، المرجع السابق، ص 61.

لمصطلحين آخرين، هما sens وsignification، بالترجمة، لا يغنيه المعادلان الشائعان بين جمهور اللسانيين، وهما معنى ودلالة، عن اصطناع مصطلحين مرصوفين، هما المعنى المُحصَّل والمعنى المُقدَّر، تأسيساً على أن التمييز بين تصوّري هذين المصطلحين اللذين لم يُتَّفَقَ على تداخلهما أو تعارضهما، لدى بريبطو، يتسم بالدقّة والصرامة ويجعل "الدلالة حسيّة مجموع المدلولات المجردة، على حين يُعزى المعنى إلى ملفوظ خاصّ وملموس، يُجلبه السياق والظروف"¹. وعلى الرغم من قلة ورود الرّصف في ترجمة يحياتن لمصطلحات علم الدلالة، إلّا هذا المنهج يُظهر أن المترجم ملّم بالتعريفات المختلفة والمتباينة، أحياناً، لبعض المصطلحات اللسانية. وهو ما يحثّه؛ أي الإلمام، على إعمال الفكر من أجل تخيير المعادل التّصوّري للمصطلح الأجنبيّ دفعاً لمزيد من اللبس الذي قد يثيره المُعادل اللساني، تماماً مثل المترجم الأدبيّ الذي يلوذ بمنهج التّوليد المعنويّ ابتغاء "الإبحار بين مطبات الحرفيّة littéralité والتّحريف travestissement"².

ولإماطة التّذبذب عنه، يعمد يحياتن إلى استعمال منهج الاختيار بين مصطلحين اثنين يُكافئ بهما مصطلحاً أجنبياً واحداً؛ فيقابل connotation بمصطلح المعنى الحافّ أو مصطلح الإيحاء، و phonème بمصطلح الحرف أو مصطلح الفونيم، و situation de discours بمصطلح المقام أو مصطلح حال الخطاب، و sèmes بمصطلح الصّفات الدلالية أو مصطلح السيمات، و structuration بمصطلح الانتظام أو مصطلح البناء/البنيّة، و relation d'antonymie بمصطلح علاقة التّقابل أو مصطلح (عدم التّوافق). وأياً كانت صيغة المصطلح المُختار، مُقتَرَضاً مثل فونيم أو مرصوفاً مثل صفات دلاليّة، وأياً كانت كفيّة اختياره، بوضع المصطلح الثّاني في تقاطع مع مصطلح ثالث أو بوضع أحد المصطلحين بين قوسين، فإنّ منهج الاختيار يُشعرنا بالارتياح الذي يساور المترجم، ذلك أنّ حرف العطف (أو) يفيد الاختيار كما يفيد الشكّ؛ فإن كان يحياتن، بلا أدنى ريب، مُدركاً لتصوّر المصطلح أو مجموع تصوّراته ومطلّعا على

¹ Collectif, op. cit, p 297.

² جويل رضوان، المرجع السّابق، ص 51.

..... ترجمة المصطلح اللساني عند محمد يحياتن

تعريفه أو جملة تعريفاته، فإنّ توظيفه لمنهج الاختيار يوحى باستحالة الاستقرار على مصطلح واحد لالتباس المصطلح على سبيل المُشابهة والمُشاكلة.

وبناءً على هذا، نحسب أنّ منهجي الرّصف والاختيار، اللّذين يتحرّى بهما المترجم إزالة اللّبس الذي يحفّزه المصطلح اختلافاً أو ائتلافاً، يمثلان مرحلة تفجير المصطلح الأجنبي؛ ففيها "يلج قانون صوغ المصطلح مرتبته الثّانية بعد مرتبة التّقبّل الجُملي معنًى ومبنى. وتتجسّم هذه المرحلة الثّانية في تفجير المصطلح وفرقته لفصل مدلوله عن دالّه استشعاراً بزوال الغربة القائمة، في البدء، بين المتصور المدلول عليه والناطقين باللّسان المُتقبّل مع بقاء هذه الغربة بينهم وبين اللفظ الدّال على ذلك المدلول. وتلتجئ اللّغة، في هذا المقام، إلى عمليّة تحليليّة يتفكّك المفهوم المُوحّد، بمقتضاها، إلى أجزائه المُكوّنة له؛ فيقع التّحويل على عبارة متعدّدة الكلمات فيها إطنابٌ أدائيّ يسدّ خلل التّوازن الذي طرأ بموجب انسحاب اللفظ الدّال. وبذلك، تتخلّى اللّغة عن قانون الاقتصاد، لأنّ ناموساً أقوى منه قد تسلّط عليها، وهو قانون رفع اللّبس الذي ترتّنه به وظيفتها الإبلاغيّة"¹.

وبالتّوازي مع مرحلة تفجير المصطلح، يستثمر يحياتن منهجين آخرين يمثلان مرحلة تقبّل المصطلح الدّخيل، وهي المرحلة الأولى من مراحل نقل المصطلح الأجنبيّ في نظر المسديّ، وهذان المنهجان الفرعيّان هما الاقتراض والتّعريب. وإنّا لننزع إلى التّفريق بينهما، انطلاقاً من أنّ الاقتراض يتعامل مع ظاهرة الدّخيل تعاملاً سلساً فيه شيءٌ من الرّضا والتّسامح والصّحاح؛ ففيه يحتفظ المصطلح بصيغتيّه الصّوتية والصّرفيّة من غير عسر ولا تضيق من اللّغة - الهدف، نظير سانتيم *synthème*، ومونيم *monème*، ومورفيم *morphème*، وفونيم *phonème*. أمّا التّعريب أو الاقتراض المُعرب، وهو ضربٌ من التّكليف، فهو منهجٌ يتجاوب مع ظاهرة الدّخيل بنوعٍ من التّطويع والتّرويض والتّذليل؛ ففيه يستكين المصطلح للصّيغتين الصّوتية والصّرفيّة للّغة - الهدف، مثل أكوستيكية *acoustique*، حيث جاء في ترجمة يحياتن

¹ عبد السّلام المسديّ، المرجع السّابق، ص 78.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

قوله: "ينطوي الدليل عند سوسير - أسوةً باللغة - على وجهين من طبيعة مختلفة: - الدال: هو عبارة عن الصيغة الصوتية (ويسمى سوسير الصورة الأكوستيكية). - المدلول: وهو المحتوى الدلالي (ويسمى سوسير المفهوم)"¹.

ولا تخلو ترجمة يحياتن لبعض مصطلحات علم الدلالة من تجريد اصطلاحي، وهي المرحلة الثالثة التي تكتمل فيها دورة المصطلح المنقول. وفيها يترجم المصطلح من اللغة - المصدر إلى اللغة - الهدف بالاستفادة من مناهج تقييسية مُتداولة في وضع اللغة المشتركة واللغة الخاصة، مثل منهج النحت أو التكتيف ومنهج التركيب ومنهج الاشتقاق ومنهج المجاز، حيث تكون الترجمة في درجة الصقر، لا يحول دونها لبسٌ، مختلفاً أكان أم مؤتلفاً، وهذا ما يستدعي الرصف أو الاختيار، ولا يعكّر صفوها شغور لسانيّ و/أو تصوّريّ، يستلزم الاقتراض أو التعريب. لقد جعل يحياتن لبعض المصطلحات مكافئات مجردة درج عليها اللسانيّون، وهي بحسب ورودها المتسلسل في الترجمة:

محتوى	Contenu
ملفوظ	Enoncé
وحدة دلالية دنيا	Unité significative minimale
مرجع	Référent
اصطلاحية	Conventionnelle
محور استبدالي	Axe paradigmatique
لسان	Langue
تركيبى	Syntaxique
علاقات تراتبية	Relations hiérarchiques
فعل كلامي	Acte de parole
كلام	Parole

¹ سالم شاكر: "مدخلٌ إلى علم الدلالة"، ترجمة: محمد يحياتن، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)، منشورات مخبر الممارسة اللغوية في الجزائر، د. ط، 2012، ص 12.

.....ترجمة المصطلح اللساني عند محمد يحياتن

ومع أنّ الشّيع مبدأً راسخٌ في ترجمة المصطلح، فإنّ يحياتن يجربُ مكافئات مصطلحيّة أخرى؛ فهو يؤثّر التطويح مُقابلاً لمصطلح Accent، واللفظ مُقابلاً لمصطلح Expression، والحدث مُقابلاً لمصطلح Aspect، والأداء الصوتي المُعَيّن مُقابلاً لمصطلح allophone، والمُثَلّ النّحويّة مُقابلاً لمصطلح paradigmes grammaticaux. لقد نأى المترجم عمّا شاع في بعض الدّراسات والتّرجمات من تجريد اصطلاحيّ لتلك المصطلحات، نحو: نَبْر accent، وتعبير expression، وجهة aspect، وبديل صوتي أو بدْصوت، وهو مصطلح منحوت اقترحه عبد القادر الفاسي الفهري ليلائم المصطلح الأجنبيّ المنحوت allophone.

ويحرص يحياتن على تمييز مصطلح paradigme عن مصطلح paradigmatic، حيث يُكافئ الأوّل بمثال وجمعه مُثَل، ويكافئ الثّاني باستبدالي. وعندما يروم ترجمة commutation، يصطنع مصطلح استبدال مُسَقَطاً ياء النّسبة عن مصطلح استبدالي، لتلافي الخلط بينه وبين paradigmatic؛ فنصبح، حينئذٍ، أمام اضطرابٍ اصطلاحيّ شكليّ مبعثه التباس تصوّرات paradigmatic و paradigme و commutation؛ إذ يُفترض أن ينتسب مصطلحا الاستبدال والاستبدالي إلى جذرٍ واحدٍ؛ فيقابلان، من ثَمّ، المصطلحين الأجنبيّين الأوّلين، مثل ما يرتئي المسدي¹، بخلاف الفهري الذي يصطفي لكلّ مصطلح مُعادلين اثنين من جذرين مختلفين، وهما أنموذج وأنمُول - أنموذجي وأنمُولي. أمّا الإبدال، الذي نقترحه كترجمة لمصطلح commutation، أو التّبديل، الذي يقترحه الفهري، فهو تصوّر يسمح بالتمييز بين المدلولات بناءً على تغيير الوحدات المُميّزة في موضعٍ محدّدٍ من تركيب الدّوال². إنّ حروف السين والضاد والحاء في الدّوال الآتية: سيف، وضيف، وحيّف، تحقّق الاختلاف بين المدلولات، وتؤلّف، من ثَمّ، استبدال paradigme الصّوامت.

كما يتفق يحياتن مع المسديّ في سنّ مُعادلٍ لمصطلح connotation يبدو أنّه لا يعبر،

¹ يُنظر: عبد السلام المسدي: "الأسلوبية والأسلوب"، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدّة، ط. 5، 2006، ص 108.

² Collectif, op. cit, p 72.

شكلاً، عن التّصوّر الذي يريده علماء الدّلالة؛ فهم يفضلون له مصطلحات المعنى الحاف والدّلالة الحافّة وحافّ الدّلالة. يقول المسديّ عن مصطلحيّ الدّلالة الدّاتية dénotation والدّلالة الحافّة connotation مُقارناً بينهما وبين مصطلحيّ الصّريح explicite والضّمني implicite: "وقد طابَق بعض المفكرين بين مفهوم التّصريح ومحتوى الدّلالة الدّاتية (la dénotation)، ثمّ بين مفهوم التّضمن والدّلالة الحافّة (la connotation). وقد استغلّ ذلك التّمييز في التحليل الأسلوبي، باعتبار أنّ الدّلالة الحافّة توحى أكثر ممّا تعبّر، ومنه الطّاقة الإيحائية في اللّغة. وتعتبر سمة أسلوبيّة ما لم تتكاثر أو تتكاثف؛ فتصبح عائقاً في الفهم. ومفهوم الإيحاء شديد التّمازج بمفهوم الإيجاز في البلاغة العربيّة. ويمكن تعريف سمة الإيحاء بأنّها حضور دلالة في الكلام ليس في عناصره ما يرتبط بها مباشرة. من ذلك قول النّاقذ طه حسين متحدّثاً عن أحد شعراء الغزل: (كان يحبّ النّساء، وكان يحبّ الغلمان، وكان يحبّ شيئاً آخر غير هذا وذاك)"¹.

لا شكّ أنّ هذا التعريف يحدّد تصوّر المصطلح تحديداً لا يختلف فيه لسانيّان (أو أسلوبيّان) اثنان. غير أنّ الدّالّ المُقابل للدّالّ الأجنبيّ، وهو الدّلالة الحافّة، يُلبس على المتلقّي المصطلح؛ فينصرف إلى الاعتقاد بأنّ التّصوّر المُراد هو تصوّر المصطلح dénotation، ذلك أنّ مفردة (حافّ) تعني طرف الشّيء أو آخره ممّا يحيط به. ومن ثمّ، فإنّ الدّلالة الحافّة أدنى إلى التعبير عن الدّلالة الدّاتية والتّعينية منها إلى التعبير عن الدّلالة الإيحائية والتّضمينية. ولهذا، نلّف في الفهري، مثلاً، يترجم المصطلح، مُستثمراً منهج الاختيار، إلى دلالة مُواكبة أو ظلّ معنى²؛ فالإيحاء أو التّضمن أو الدّلالة المُواكبة أو ظلّ المعنى هو ما يُخلّفه الدّليل من أثر في نفس المتلقّي (المُرسل إليه في حال التّواصل، والمُتلَفّظ له في حال التّلفّظ، والقارئ في حال الكتابة)،

¹ عبد السلام المسدي: "الأسلوبيّة والأسلوب"، ص 132، 133.

² بخصوص مصطلحات allophone و commutation و paradigme و paradigmatic و connotation، يُنظر: عبد القادر الفاسي الفهري: "معجم المصطلحات اللّسانية؛ إنجليزي - فرنسي - عربي"، مشاركة: نادية العمري، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط. 1، 2009، ص 19، 48، 237، 56.

وهو، لذلك، يرتبط بالأسلوب أو الكلام أو الخطاب لا باللغة، وبلاستعمال لا بالمعجم. وفي حين، يستعمل يحياتن، في تضاعيف منهج الاختيار الذي يندرج في مرتبة التفجير، الاشتقاق حين يصوغ مصطلح الانتظام على وزن (انفعال) في ترجمته لـ structuration، يستعمل، في مرتبة التجريد، زيادةً على منهج الاشتقاق في تركيب على وزن (تفعيل) واصطلاح على وزن (افتعال) واستبدال على وزن (استفعال)، منهج التركيب في ترجمته للمصطلح المنحوت أو المكثف archiséme؛ فيفككه إلى مصطلحين اثنين هما معنى وجامع. إن التركيب منهجٌ يتميز عن منهج الرصف من حيث إنه يحترم بنية المصطلح في اللغة - المصدر؛ فإذا كان المصطلح في تلك اللغة مركباً أو منحوتاً، فإن الترجمة ينبغي أن تستحدث مكافئاً يناسب صيغته، حتى وإن صير إلى تكثيف المركب وتركيب المكثف، على حين لا يراعي الرصف بنية المصطلح من باب تقديم التّصور على الشّكل تيسيراً للفهم، ولا يُشترط في ذلك عددٌ معيّن من المفردات.

خلاصة

لقد حاول يحياتن التوفيق بين تحقيق المُعادلات اللسانية لبعض مصطلحات علم الدلالة وتحقيق المُعادلات التّصوّرية لبعضها الآخر، حيث جرب، مستنداً إلى أهليّته في ميادين اللّسانيات والمعجمية والمصطلحية والترجمة، استثمار بعض مناهج الترجمة المعهودة في نقل اللغة المشتركة واللغة الخاصة، معاً، ضمن المراحل الثلاث التي يتشكّل خلالها المصطلح المنقول؛ فقد وظّف منهجي الاقتراض والتّعريب في مرحلة التّقبّل، ومنهجي الرّصف والاختيار في مرحلة التّفجير، ومنهجي الاشتقاق والتّركيب في مرحلة التّجريد، بل راح يستعمل منهج الاشتقاق داخل منهج الاختيار نفسه؛ فتقاطعت، بذلك، مرتبتا تفجير المصطلح وتجريده. إن حضور هذه المراحل أو المراتب في ترجمة يحياتن لا يعني التزامه بخطيّتها؛ تقبّل فقجيراً ثمّ تجريداً؛ فهي خطيّة نظريّة استرجاعيّة صاغها المسديّ بعد تأمل واستقصاء واقتفاء لسيرورة المصطلح المترجم إلى اللغة العربية، حيث ليس من الضّروريّ، أن يتقيّد المُشتغل بترجمة

المصطلح، عموماً، والمصطلح اللساني، خصوصاً، بها ولا بالمناهج المتضمنة في كل مرحلة أو مرتبة فيها حرفياً. لقد كان يحياتن، بالأحرى، متحرراً من قيود تلك المناهج، مع إدراكه لأهميتها، لأن هدفه من ترجمة هذا الكتاب، الذي تضمن مجموعة من المحاضرات خصصها صاحبها لطلبة الليسانس بجامعة الجزائر، تعليمي صرف مثل هدف الكاتب تماماً. ولهذا، نجده يجتهد في استحداث مكافئات مصطلحية لم يألّفها الباحث وربّما القارئ، أيضاً، بما يتساق مع هدفه ذلك. وهو ما أفضى به، أحياناً، إلى الوقوع في تملل على مستوى ترجمة شكل المصطلح نابع من عدم التمييز بين التصورات الدقيقة.

المصادر والمراجع

1. المصدر:

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: "لسان العرب"، مادة (هـ - و - ي)، المجلد الخامس عشر، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ط. 3، 2004.

2. المراجع باللغة العربية:

- عبد السلام المسدي: "الأسلوبية والأسلوب"، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط. 5، 2006.
- عبد السلام المسدي: "مباحث تأسيسية في اللسانيات"، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط. 1، 2010.
- عبد القادر الفاسي الفهري: "معجم المصطلحات اللسانية؛ إنجليزي - فرنسي - عربي"، مشاركة: نادية العمري، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط. 1، 2009.

3. المراجع المترجمة:

- جان فرنسوا دورتيه: "معجم العلوم الإنسانية"، ترجمة: جورج كتورة، أبو ظبي، بيروت، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (مجد)، ط. 1، 2009.
- جويل رضوان: "موسوعة الترجمة"، ترجمة: محمد يحياتن، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)، منشورات مخبر الممارسة اللغوية في الجزائر، د. ط، 2010.
- سالم شاكر: "مدخل إلى علم الدلالة"، ترجمة: محمد يحياتن، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)، منشورات مخبر الممارسة اللغوية في الجزائر، د. ط، 2012.
- هنري بيوجان، فيليب توارون: "المعنى في علم المصطلحات"، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: سليم نكد، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط. 1، 2009.

4. المرجع باللغة الأجنبية:

Collectif : « Dictionnaire de la linguistique », Sous la direction de : Georges Mounin, France, puf, 2006.

التعريب..... العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

بحوث في الترجمة

نظريات الترجمة¹

ترجمة د. قاسم المقداد

أستاذ مساعد في قسم اللغة الفرنسية

جامعة دمشق - سورية

إلى جانب المقاربات التي تدل على توجه عام للدراسات المستندة إلى وجهة نظر منبثقة عن فرع معرفي معين (لسانيات، سيميائية، براغماتية، تواصلية، الخ)، هناك عدد من النظريات الخاصة بالترجمة. و"نظريات" الترجمة مجموعة من التصورات المفهومية غايتها وصف النص المترجم، أو عملية الترجمة، وتفسيرها أو نمذجتها. حتى وإن كانت هذه النظريات ناشئة عن أطُر مفهومية قائمة، فهي تتسم بخصوصية تقوم على تقديم تَفَكُّرٍ مركّز في الترجمة فحسب. خلافاً للمقاربات الساعية إلى ربط الترجمة بفروع معرفية أخرى اتخذت شكلاً مؤسسياً، تعمل هذه النظريات على تعزيز الترجمة (علم الترجمة) traductologie واستقلاليته. لكن طبيعة الترجمة نفسها تجعل منها مجالاً ملائماً لكل الدراسات التي تنتمي إلى فروع معرفية أخرى.

سنعمد هنا إلى عرض موجز لتلك النظريات المعروفة في ميدان الترجمة.

1. النظرية التأويلية

تُعرف النظرية التأويلية في الترجمة باسم "مدرسة باريس"، لأنها نشأت في كنف المدرسة العليا للمترجمين والمترجمين الفوريين (ESIT, Paris). وندين بهذه النظرية للجهود التي بذلتها كل من السيدتين دانيكا سيليسكوفيتش Danica Seleskovitch، وماريان لوديرر Marianne

¹ Mathieu Guidère : **Introduction à la traductologie**, de Boeck, Bruxelles ,2ème éd. 2011, pp. 69-77.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

Lederer. لكنها اليوم تضم كثيرين من الأتباع، والمشجعين، لاسيما في البلدان الناطقة باللغة الفرنسية.

تعود نشأة هذه المدرسة، إذن، إلى الممارسات المهنية التي قامت بها دانيكا سيليسكوفيتش Danica Seleskovich، معتمدة على تجربتها، بوصفها مترجمة فورية لدى المؤتمرات، لتضع نموذجاً ترجمياً يمر بثلاثة مراحل، هي "التأويل Interprétation"، واستخراج الفكرة من الكلام Déverbalisation، ثم إعادة الصياغة أو العبارة.

يستند هذا النموذج فيما يطرحه من فرضيات إلى علم النفس، كما يستوحى من العلوم المعروفة آنذاك، هذا إضافة إلى إيلانها اهتماماً خاصاً بالعملية العقلية في الترجمة.

الهم الرئيس لهذه النظرية التأويلية يدور حول مسألة "المعنى". والمعنى ذو طبيعة "غير كلامية"، لأنه يرتبط بما قاله المتكلم (صريح القول)، أو بما لم يقله (مضمّر القول) ولإدراك هذا المعنى، ينبغي أن يتوفر للمترجم "متاع معرفي" يشمل معرفته بالعالم، والوقوف على السياق، وفهم "ما يريد المؤلف قوله". فإن لم يتوفر مثل هذا "المتاع"، فستعرض سبيله مشكلة تتمثل في الغموض، وتعدد التأويلات، وهي مشكلة من شأنها الحد من اندفاعه نحو الترجمة.

ترى سيليسكوفيتش، أن الأمر منوط، أولاً، بمسألة "الإدراك"، أي إدراك الأداة اللغوية (الداخل) من جهة، وإدراك الواقع (الخارج)، من جهة أخرى. وهذا يعني أن عملية الترجمة لا تحدث بشكل مباشر، بل لابد من عبورها مرحلة وسيطة، هي مرحلة استخراج المعنى من الكلام. وهي عملية ديناميكية تقوم على فهم الأفكار، ثم إعادة صياغتها، أو التعبير عنها، في مرحلة لاحقة.

استكمالاً للجهود التي بذلتها سيليسكوفيتش، وضع جان دوليل Jean de Lisle (1980) صيغة أكثر تفصيلاً، وتعليمية للنظرية التأويلية في الترجمة، وذلك بلجونه إلى تحليل الخطاب واللغة. فدرس، بنحو خاص، مرحلة المفهمة conceptualisation¹ في عملية النقل، أي إنه قام بعمل

¹ بمعنى تحويل المادي إلى مجرد، إلى مفهوم عام [المترجم]

نظريات الترجمة

تجريدي ليضع مبدأ عاماً لعملية النقل "البيلغوي"، أي نقل اللغة نفسها، فرأى أن عملية الترجمة تمر بأربع مراحل:

أولاً، مرحلة "الفهم"، التي تنطوي على تفكيك مغاليق "النص المصدر" بتحليل العلاقات الدلالية القائمة بين الكلمات، وتحديد المضمون المفهومي من خلال السياق. وبعدها تأتي مرحلة "إعادة الصياغة"، التي تقتضي العودة إلى إدراج مفاهيم النص المصدر في اللسان الآخر، من خلال الحجاج وتداعي الأفكار.

وتأتي أخيراً مرحلة "التدقيق"، التي تهدف إلى إقرار الخيارات، من قبل المترجم، باللجوء إلى تحليل كفيّ للتكافؤات بين اللغتين، كما لو كنا نعود إلى الترجمة مرة أخرى.

أما لوديرر، فقد عملت على دمج هذه الأفكار في كتابها الموسوم "الترجمة اليوم: La traduction aujourd'hui, 1994"، وقدمت فكرة عامة تسمح بفهم مداخل "النموذج التأويلي" ومخارجه. فوجدت أن هذا النموذج يقوم على ثلاث فرضيات رئيسة (لوديرر 1994: 9-15)، هي الآتية :

1. "كل شيء خاضع للتأويل"

2. "لا ترجمة من دون تأويل"

3. البحث عن المعنى، وإعادة التعبير عنه، هو القاسم المشترك بين الترجمات كلها.

انطلاقاً من هذه الفرضيات، عمدت لوديرر (1994-11) إلى تلخيص ثوابت النظرية التأويلية في الترجمة، بالقول "لقد أثبتت النظرية التأويلية [...] أن عملية [الترجمة] تقوم على فهم النص الأصلي، واستخراج المعنى من كلامه، وإعادة التعبير عما فهمنا من أفكار، وما انتابنا من مشاعر، في لسان آخر". وهو ما يضعنا أمام نموذج تأويليّ يمتد على ثلاث مراحل، وتكمن أصالته في المرحلة الثانية المسماة "استخراج المعنى من الكلمات"، وهي مرحلة أساسية، هذا إذا كان ثمة مرحلة من هذا النوع في عملية الترجمة.

إن مرونة هذا النموذج تسمح بإعادة النظر في المقاربات التقليدية القائمة على تمييز مرحلة

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

الفهم في اللسان المصدر، تتبعها مرحلة التعبير في اللسان الهدف: "إذا أردنا تعريف فعل الترجمة باختصار، نقول إنه يقوم على فهم النص، ثم إعادة صياغة هذا الفهم في لسان آخر" (لوديرر، 13، 1994)

هذا التمييز بين (الكلمات، والجمل، والنصوص) أدى بمدرسة باريس إلى القول بنمطين من الترجمة، فنقول لوديرر "سأضع تحت اسم الترجمة اللغوية، ترجمة الكلمات، والجمل التي لا سياق لها، وسأطلق اسم الترجمة التأويلية، أو الترجمة، اختصاراً، على ترجمة النصوص" (Lederer, 1994, 15).

هذا التدقيق المصطلحي يعد مظهراً أساسياً من مظاهر النظرية التأويلية في الترجمة. ثم قامت لوديرر بوضع تعريف دقيق للأدوات المصطلحية التي تتيح لها التفكير في عملية الترجمة حيث يحتل مصطلحا "المعنى"، و"قصد القول" مكانة رئيسة في نموذجها، إذ تقول: "معنى الجملة يقوم على ما يريد المؤلف التعبير عنه قصداً، وليس السبب الذي يدفعه إلى القول، أو أسباب قوله والنتائج المترتبة عليه (Seleskovitch)، لذا، فإن النظرية التأويلية في الترجمة تقر، مدعومة بالتجربة، أن ما تدل عليه "الأشياء" هو الذي ينبغي إعادة التعبير عنه، أو صياغته. وتضيف لوديرر (1994:90) في حاشية لها "اليوم نتحدث عن "مرجع" بدلاً من الحديث عن "شيء".

2. نظرية الفعل

تطورت نظرية الفعل في الترجمة على يد جوستا هولز - ماننتاري Justa Holz-Mäntari (1984). حيث يُنظر إلى الترجمة، في إطار هذه النظرية، بوصفها، أولاً عملية تواصل بـثقافي *interculturelle* سعياً وراء إنتاج نصوص تناسب حالات خاصة، وسياقات مهنية معينة. لذلك تُعدُّ مجرد أداة للتفاعل بين الخبراء والزملاء.

استندت هولز - ماننتاري إلى نظرية الفعل، وعلى نطاق أوسع، إلى نظرية الاتصال لتطور هذا المفهوم الاستعمالي (البراغماتي) للترجمة. فاستطاعت بذلك توضيح الصعوبات الثقافية

نظريات الترجمة

التي ينبغي على المترجم تجاوزها حينما يعمل في بعض السياقات المهنية.

هدف هذه النظرية الأول يقوم على تشجيع القيام بترجمة وظيفية تسمح بتخفيف المعوقات الثقافية التي تمنع تحقيق التواصل تحقيقاً فعالاً. ولبلوغ هذا المبتغى، تصورت هولز – مانتاري تحليل الحد الأدنى للنص المصدر بحيث يقف عند حدود "التصور والوظيفة". وترى أن النص المصدر مجرد أداة لتحريك وظائف التواصل الثقافي. فلا قيمة جوهرية للنص، بل يرتبط تماماً بالهدف التواصلية الذي حدده المترجم لنفسه. حيث ينبغي أن ينصبّ الهم الأول للمترجم على الرسالة التي ينبغي نقلها إلى الزبون، ولا شيء آخر سوى هذه الرسالة. وعلى المترجم أن يفكر بالرسالة التي ستؤول إلى الثقافة الهدف، وتقييم درجة مقبولية الموضوع في سياق الثقافة المستهدفة، قبل أن يقرر طبيعة التكافؤ الذي سيلجأ إليه.

من هذا المنظور، تؤدي فكرة "الشكل" النصي دوراً مركزياً عند هولز – مانتاري. ويتحدد هذا "الشكل" بالنسبة إلى وظيفة النص ضمن الأطر العامة التي يتوفر عليها كل من اللسان المصدر، واللسان الهدف.

يبدو المترجم، بحسب وجهة النظر هذه، بمثابة حلقة رئيسة تربط المرسل الأصلي للرسالة بمتلقيها النهائي. فهو المخاطب الذي يفضل الزبون، وتترتب عليه إزاء مسؤولية أخلاقية كبرى. وتعتمد هولز – مانتاري (1986:363) إلى شرح مفصل للمزايا المهنية المطلوبة، وعناصر التأهيل اللازمة لتطوير هذه المزايا.

بذلك تكون النظرية الفعلية للترجمة، في حقيقة الأمر، مجرد إطار لإنتاج نصوص مهنية بصيغة متعددة الألسن. ويتحدد عمل المترجم بالقياس إلى وظيفته وهدفه. وينظر إلى النص المصدر بوصفه ضاماً لمكونات اتصالية، كما يقيم المنتج النهائي بالقياس إلى معيار الوظيفة. خذ، على سبيل المثال، دفتر شروط محدد، فسترى فيه تحديداً لخصائص المنتج، أي الترجمة النهائية، وطريقة الإنجاز، والأجر المنتظر، والمهمل المفروضة، وما إلى ذلك.

باختصار نقول، إن الوظيفة هي التي تحدد مجمل عمل المترجم، الذي يجب عليه أن ينظر

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

إلى هذا العمل قياساً بالحاجات البشرية في حالة الاتصال المقصودة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، بالنسبة إلى الأدوار الاجتماعية في ثقافة الهدف. وقد ميّزت هولز - مانتاري (17:1984) سبعة أدوار، على الأقل، تبعاً للحالات: محرك الترجمة، الجهة الطالبة للترجمة، مُنتج النص المصدر، المترجم، من يقوم بتطبيق النص الهدف، المتلقي النهائي، الناشر.

لو نظرنا في تسلسل هذه الأدوار لوجدنا أن المترجم مجرد ناقل لرسالة: "عليه أن يُنتج تواصلًا معينًا، في لحظة معينة، ووفقاً لهدف محدد". لكن، إذا دعت الحاجة، عليه أن يتصرف كناصح للزبون الطالب للترجمة، أو يتفاوض معه حول أفضل السبل لبلوغ هدفه.

وترى هولز - مانتاري أن على المترجم اتخاذ التدابير كلها، التي يراها مناسبة، لتجاوز المعوقات الثقافية التي تحول دون بلوغ هدفه المنشود. زد على هذا، أن عليه التفاوض مع طالب الترجمة في اللحظة المناسبة، وحول أكثر الظروف ملائمة لنشر ترجمته.

باختصار، يعد المترجم هنا مسؤولاً عن نجاح التواصل مع الثقافة الهدف، أو فشله. وترى هذه المؤلفة أن هذه المتطلبات تنطبق على أنماط المنتجات الثقافية كلها. بهذا تبدو الترجمة بوصفها نشاطاً غائياً ينظر إليه بوصفه حزمة مركبة من الأفعال المرتبطة بهدف اتصاليّ شامل. لكن هولز - مانتاري لا تقف عند حد دمج العناصر التقليدية التي تدخل في تعريف الترجمة، مثل الوحدة الترجمية، والنص المصدر، أو الجنس الخطابي، كما تأخذ بعين الاعتبار مكونات التواصل البيثقافي كلها، لاسيما عملية ترجمة النصوص في اللسان، ودور الخبير، والثقافة الخاصة بكل زبون.

فعلى سبيل المثال، توصي النظرية الفعلية في الترجمة بإبدال العناصر الثقافية الواردة في النص المصدر بعناصر ثقافية أخرى تلائم ثقافة الهدف، حتى لو بدت هذه العناصر البديلة بعيدة عن العناصر الأصلية. لأن الفعل وحده من يحدد، في نهاية المطاف، طبيعة صيغ الترجمة.

هذه المقاربة الجذرية، إلى حد ما، للترجمة تعرضت للنقد من قبل عدة متخصصين في

مجال الترجمة، بمن فيهم بعض أتباع المقاربة الوظيفية مثل نورد (Nord 1991:28). فقد أخذوا عليها، بوجه خاص، ابتعادها عن واقع ممارسة مهنة المترجم، الذي لا يمكنه أن يكون دائماً صاحب القرار في كل شيء. وفضلاً عن هذا، يأخذ بعض المختصين بالترجمة مثل نيومارك Newmark (1991:106) على هولز - مانناري رطانة مقاربتها المفرطة في التوجه إلى عالم الأعمال والعلاقات العامة، مع أن هذا المجال ليس سوى جانب صغير من النشاط الترجمي. وباختصار نقول، إن للنظرية الفعلية في الترجمة ميزة وضعها مفهومي الفعل والوظيفة في لب العملية الترجمية، لكنها أبعد ما تكون عن الإحاطة بالطابع المتغير للترجمة.

3. نظرية الهدف

استعملت كلمة skopos اليونانية (هدف، غاية) في علم الترجمة لتدل على نظرية بدأت في ألمانيا على يد هانز فيرمير Hans Vermeer مع نهاية السبعينيات من القرن الماضي. ومن بين مؤسسيها، نذكر أيضاً كريتين نورد Christine Nord (1988) ومارغاريت آمان Margaret Amman (1990). تتدرج نظرية الهدف، من حيث المفهوم، في الإطار الإبيستيمولوجي (المعرفي) الذي تتدرج فيه النظرية الفعلية في الترجمة، من حيث اهتمامها أولاً، بالنصوص البراغمية (الاستعمالية) والوظائف التي تقوم بها في الثقافة الهدف. انطلاقاً من هنا، تعد بوصفها نشاطاً بشرياً خاصاً (النقل الرمزي) له غاية محددة (هدف)، ومنتوجاً نهائياً بهذه الغاية (النقل translatum أو translata).

انطلق فيرمير (1978) من فرضية أن مناهج الترجمة واستراتيجياتها تتحدد، في الأساس، من هدف النص المزمع ترجمته. لذا، تجري الترجمة تبعاً للهدف skopos. من هنا تأتي صفة "الوظيفية" التي ألحقت بهذه النظرية. لكن هذا لا يعني هنا، الوظيفة التي يقرها المؤلف الأصلي للنص المصدر، إنما هي وظيفة استقبالية تُلحق بالنص الهدف، وترتبط بطالب الترجمة. بعبارة أخرى نقول، إن الزبون هو من يحدد الهدف للمترجم بما يتناسب مع حاجاته، والاستراتيجية التي يعمل على هديها في عملية التواصل.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

لكن هذا لا يجري خارج أي إطار منهجي. إذ على المترجم أن يتقيد بقاعدتين رئيسيتين، الأولى تتعلق بمكونات النص intratexte (جملة، قطعة من النص)، والثانية، تعني الاهتمام بما هو حول النص Intertexte. من جهة أخرى، يجب أن تتطوي قاعدة "التماسك" التي تفترض أن ينطوي النص الهدف (transalatum) على قدر كافٍ من التماسك الداخلي، لكي يتمكن الجمهور الهدف من فهمه، بوصفه جزءاً من عالمه المرجعي. ومن جهة أخرى، هناك قاعدة "الأمانة" التي تفترض بأن يحافظ النص الأصلي على رابط كافٍ بالنص المصدر حتى لا يبدو أن هناك ثمة مبالغة في حرية التصرف.

تبدو هذه القواعد بالغة العمومية، والغموض. وقد استطاع فيرمر، بفضل مساهمة كاتارينا رايس Katarina Reiss (1984) ليس التوصل إلى تحديد الطريقة التي تعمل بها نظريته فحسب، إنما أيضاً توسيع إطارها الدراسي ليشمل حالات من الممارسات، والظواهر النوعية التي لم يكن يهتم بها أحد حتى ذلك التاريخ.

قام فيرمر، بوجه خاص/بدمج الإشكالية التصنيفية التي وضعتها رايس، بحيث إذا تمكن المترجم من ربط النص المصدر، بأحد أنماط النصوص، أو بأحد أجناس الخطاب، فإن من شأن هذا الربط أن يكون له عوناً على حل المشاكل التي تعترضه خلال عملية الترجمة. في هذا المنظور، يأخذ فيرمر بالحسبان، أنماط النصوص التي حددتها رايس (نص إخباري، أو تعبير، أو عملياتي) ليتمكن من تحديد الوظائف التي عليه الحفاظ عليها أثناء النقل بأفضل شكل ممكن.

بناءً على هذا، أصبح يُنظرُ إلى النص المصدر، من الآن فصاعداً، بوصفه "عرضاً لمعلومة، أو خبراً" صُنِعَ مُنتَجَ اللسان (أ)، لمستقبل الثقافة نفسها. عندئذ تكون الترجمة بمثابة "عَرَض ثانوي" للمعلومة، لأن المُنتَظَر من هذه الترجمة أن تنتقل، إلى حد ما، المعلومة نفسها، لكن، إلى متلقي لسان وثقافة مختلفين. من وجهة النظر هذه، فإن اختيار المعلومات، وهدف التواصل غير محددين مصادفةً، بل يرتبطان بحاجات المتلقين وتوقعاتهم في ثقافة الاستقبال.

نظريات الترجمة

وهذا هو هدف skopos النص.

قد يكون هذا الهدف متشابهاً، أو مختلفاً بين اللسانين المعنيين: فإذا بقي متشابهاً، يتحدث كل من فيرمر ورايس عما يسميانه "الاستمرارية الوظيفية"، أما إذا كان مختلفاً، فيتحدثان عن "تغير وظيفي". في الحالة الأولى، يقوم مبدأ الترجمة على التماسك البينصّي intertextuelle، وفي الحالة الثانية، يتحدثان عن التطابق مع الهدف.

تكمن جدة هذه المقاربة في كونها تترك للمترجم أمر تقرير المكانة التي ينبغي إيلؤها للنص المصدر. ويمكن، تبعاً للهدف، أن يكون الأصل مجرد نقطة انطلاق نحو إعداد، أو تكيف adaptation معين، أو نحو نموذج أدبي ينبغي نقله بأمانة. وهذا يعني أن النص نفسه، يمكن أن يحظى بعدة ترجمات مقبولة. وإذا غاب الهدف ليس ثمة ترجمة صالحة.

تعرض هذا الموقف المتطرف للنقد، لأنه يقطع الرابط الأصلي القائم بين النص المصدر، والنص الهدف لحساب العلاقة: نقل - هدف. وترى سنيل هوربني Snell-Hornby (1990:84) أن النصوص الأدبية - خلافاً للنصوص الاستعمالية أو البراغماتية - لا يمكن ترجمتها تبعاً للهدف فقط، لأن حالة الأدب ووظيفته، برأيها، يتجاوزان كثيراً الإطار البراغماتي الذي وضعه كل من فيرمر ورايس.

إضافة إلى هذا، ينتقد نيومارك Newmark (1994:106) التبسيط المفرط لعملية الترجمة، وإبراز الهدف على حساب المعنى بوجه عام. أخيراً، يشير شيلستمان Chestermann (1994:153) إلى أن التركيز على الهدف قد يؤدي إلى خيارين غير ملائمين على صعد أخرى. إذ قد يضغط المترجم على خياراته المعجمية، والتركيبية، أو الأسلوبية لمجرد الحفاظ على "هدفه" فحسب. لكن على الرغم من هذه الانتقادات، تبقى نظرية الهدف أحد الأطر المفهومية الأكثر تجانساً، والأكثر تأثيراً في علم الترجمة.

4. نظرية اللعب

وضع هذه النظرية عالم الرياضيات جون فون نُويمان John Von Newmann، لوصف العلاقات التي تهتم بالصراعات القائمة على أساس عقلائي. وتقوم هذه الفكرة على وضع أفضل استراتيجية للتصرف في حالة معينة، بهدف تحقيق أعلى قدر من المكاسب، والتقليل من حجم الخسارة". وطُبقت هذه النظرية، على مختلف النشاطات البشرية، بما فيها النشاط الترجمي.

لقد جذبت فكرة التوسع القصوى optimisation هذه اهتمام المتخصصين بالترجمة: كيف تساعد المترجم على توسيع عملية اتخاذ القرار إلى أعلى حد ممكن من دون إضاعة الكثير من الوقت؟ يرى ليفي Levy (1967) أن نظرية اللعب يمكن أن تساهم، بقدر كبير، في هذه العملية إذ يقول: "تميل نظرية الترجمة إلى أن تكون معيارية، تهدف تعليم المترجمين كيفية توسيع عملهم إلى أقصى حد. لكن العمل الذي يقوم به المترجم براغماتي: إذ يلجأ إلى اعتماد الحل الذي يوفر له الحد الأقصى من التأثير ببذل أدنى حد من الجهد. وتعبير آخر، يرى المترجم، بحسده، وهو يلجأ إلى استعمال استراتيجية الحد الأدنى من الحد الأعلى minimax. ولكي يوضح ليفي مقارنته هذه، يعرف الترجمة بوصفها "حالة" يختار فيها المترجم من بين "التعليمات" أية خيارات دلالية وتركيبية ممكنة لكي يبلغ الحد الأقصى.

وقد اعتمدت غورليه Gorlée (1993) المقاربة نفسها، لكن انطلاقاً من فرضيات نظرية مختلفة. وبعد أن استلهمت مفهوم "لعبة اللغة" التي وضعها فييتجنشتاين في كتابه: فرضيات منطقية - فلسفية Tractatus logico-philosophiques، راحت تدرس ما تسميه "لعبة الترجمة"، فقارنتها باللغز puzzle، ثم بلعبة الشطرنج، تقول: "لعبة الترجمة هي لعبة اتخاذ قرار شخصي يقوم على خيارات عقلانية ومضبوطة من بين حلول بديلة أخرى (Gorlée: 1993:73).

ومسوِّغ مقارنة الترجمة باللعبة، كما ترى غورليه، هو أن اللعبة تهدف دائماً إلى العثور على أفضل الحلول الملائمة تبعاً لقواعد أفرتها اللعبة المعنية. وهي مقارنة تسمح بإبراز البعد

نظريات الترجمة

العام للترجمة. فالترجمة، مثلها مثل اللعبة، تنطوي على جزء كبير من الغموض، بسليباته وإيجابياته. فتشبيه الترجمة بلعبة الشطرنج، على سبيل المثال، تسمح بوضع القواعد التي تحكمها في موازاة القواعد التي تحكم اللغة. لكن الأمر، في الترجمة، لا يتعلق بـ "ربح" اللعبة أو بـ "خسارتها" إنما بالنجاح، أو الفشل في إيجاد الحل الأمثل (Gorlée: 1993:75).

فنظرية اللعب إذن لا تهتم بالعوامل الانفعالية، والنفسية، والإيديولوجية التي يمكن أن تدخل في عملية الترجمة، لاسيما بالنسبة لبعض أنماط النصوص. كما لا تهتم بقلة تأهيل المترجم، ونقص المعلومة اللتين يمكن أن يتعرض لهما المترجم أو النص. باختصار نقول، إننا إزاء مقارنة شكلية ومثالية للترجمة التي لا تعبر اهتمامها للضغوط، والتي قد تتوقف، في بعض الأحيان، على عنصر المصادفة التي يفرضها الواقع المهني.

لكن ما يجعل نظرية اللعب في الترجمة إشكالياً، هو غياب البعد اللعبي (أي الاهتمام باللعبة فقط). ولا شك في أن الاهتمام بالاستراتيجية يجعل المتعة التي يمكن أن يحس بها المترجم في ممارسة "لعبة الترجمة" المحتملة، مجرد متعة وهمية.

إذا كان الهدف يقوم على السعي الدائم وراء الحل الأمثل، فلا يعود جائزاً وقف هذه المقاربة على الترجمة البراغماتية (الاستعمالية) وذلك بقصر صيغها على بعض أنماط النصوص التخصصية.

أخيراً، إن المفهوم المركزي لكلمة "استراتيجية" غير قابل للتطبيق، كما هو، على الترجمة، لأن المترجم، بكل بساطة، لا يتحكم بالعملية كلها. فهو، على سبيل المثال، ليس مؤلف النص المصدر، ولا يمكنه الإمساك بهذا المضمون الأصلي أبداً. كما أنه ليس المتلقي الوحيد للنص المترجم. ولهذا يفوته جزء كبير من تأويل الترجمة، لأن كل جمهور يستحوذ عليها بطريقة، وتبعاً لتثقافته. لهذا كله، لا يمكنه وضع استراتيجية شاملة، يمكنه تطبيقها تطبيقاً دقيقاً، من دون اعتبار للمعايير المؤثرة في منظومة الاستقبال.

5. نظرية المنظومة المتعددة

تعني نظرية المنظومة المتعددة الإطار المفهومي الذي وضع في سنوات 1970-1980. حيث انطلق واضعوها من مفهوم "المنظومة" الذي أطلقه الشكلاونيون الروس، مثل تينيانوف (1929) وطبقه على دراسة الأدب الذي رأى فيه "منظومة المنظومات" بهدف تحليل وصف وتطور المنظومات الأدبية ووصفها.

"المنظومة المتعددة" تعني مجموعة غير متجانسة، ومتراتبة، من المنظومات التي تؤثر في بعضها ديناميكياً ضمن منظومة شاملة (تعددية المعاني). وبذلك، فإن الأدب المترجم لا يعدو كونه واحداً من بين مستويات أخرى من المنظومة الأدبية التي تتضمن، بدورها، في إطار منظومة فنية بوجه عام، لكن هذه المنظومة الفنية تشكل، بدورها، جزءاً لا يتجزأ من المنظومة الدينية، أو السياسية. نحن إذن إزاء تعددية في المعاني ذلت الجذور الاجتماعية - الثقافية.

تقوم الفكرة الرئيسية لهذه المنظومة المتعددة على التنافس بين مختلف مستويات المنظومة أو طبقاتها. لهذا يوجد ثمة توتر دائم بين مركز المنظومة ومحيطها، أي بين الأجناس الأدبية السائدة في حقبة معينة، وتلك التي تسعى إلى هذه السيادة. لأن هذه المنظومة الأدبية المتعددة تضم الأعمال الهامة، كما تضم الأنماط النصية الأقل قبولاً، مثل حكايات الأطفال، أو الروايات البوليسية المترجمة.

تحلل هذه النظرية التنافس المشار إليه بين الأشكال الأدبية من وجود مبادئ "أولى" وأخرى "ثانوية". المبادئ الأولى تنتم بالإبداع والتجديد، والأخرى تبقى "محافظة". وحينما يبلغ شكل أدبي معين مركز المنظومة، يصبح جامداً ومحافظاً، حتى يقوم شكل "ثانوي"، أكثر ديناميكية وإبداعية بإبعاده، وهكذا دواليك.

بتطبيق نظرية المنظومة المتعددة على الأعمال المترجمة، نرى أنها اهتمت بمظهرين هما: الدور الذي يؤديه الأدب ضمن منظومة أدبية معينة، من جهة، وأثر فكرة المنظومة المتعددة في الدراسات الترجمة، بوجه عام.

نظريات الترجمة

بالنسبة للمظهر الأول، يرى أصحاب هذه النظرية أن المترجمين يميلون للخضوع لـ "معايير" المنظومة الأدبية المُستقبَلة، سواء على صعيد اختيار الأعمال، أو على صعيد إعادة صياغتها/ كتابتها للترجمات.

وبوجه عام، يحتل الأدب المترجم موقعاً محيطياً في منظومة الاستقبال، لكن درجة ابتعاده عن المركز تتغير تبعاً للمنظومات. وهناك ثلاثة أنماط من الحالات:

1. الحالة الأولى، هي حالة "الأدب الشابّة" التي بصدد التكوّن. في هذه الحالة يسعى الأدب المترجم إلى القيام بدور مهم بوصفه حاملاً للإبداعات، وصوّى تهدي بها المقارنات.
2. الحالة الثانية، هي حالة الآداب الوطنية "المحيطة". في هذه الحالة، يسعى الأدب المترجم ليشغل مكانة مركزية، لأنه ينبثق عن أمة أقوى، وأكثر تأثيراً. وهو ما ينطبق على المجال الناطق بالفرنسية، أو الإنجليزية، أو الإسبانية أيضاً.
3. الحالة الثالثة، هي حالة الأدب "المأزوم". وفي هذه الحالة يسعى الأدب المترجم إلى شغل الفراغ الذي تركه المؤلفون الوطنيون، وتبوؤ مكانة مركزية في المجال الأدبي للسان الهدف.

في كل الأحوال، نحن إزاء سعي لبلوغ سلطة غير متوقعة، ومتطورة، لأن الأدب المترجم رهن بموقع الأشكال الأخرى الموجودة في المنظومة المتعددة. لأن مشكلة الترجمة لم تعد ظاهرة تحددها طبيعتها وحدودها تحديداً نهائياً بل هي نشاط يخضع للعلاقات الداخلية القائمة في منظومة ثقافية معينة.

لذا، فإن نظرية المنظومة المتعددة تؤدي إلى عد الترجمة بوصفها منظومة فرعية ترتبط بالإطار الثقافي العام لثقافة المجتمع المستقبل، وليست منظومة مستقلة لها منطقتها، إنما تخضع لتفاعلات المنظومات الأخرى القائمة.

هذا المفهوم الخاص بالترجمة يقوم على عدة مقتضيات نظرية وعملية:

عملية الترجمة ليست نقلاً بين اللسان، بل بين منظومات. بمعنى أن الترجمة تتدرج في

سياق اجتماعي - ثقافي أوسع، ينبغي أخذه بعين الاعتبار خلال عملية النقل.

لا يجري تحليل النص/العمل المترجم استناداً إلى مفهوم التكافؤ، بل إليه في حد ذاته، بوصفه موضوعاً مستقلاً، وكياناً قائماً في حد ذاته ويندرج في الإطار العام للمنظومة الهدف.

لا يجري تحليل طرائق الترجمة تبعاً لأية منظومة لغوية، إنما انسجاماً مع "معايير" خاصة بالسياق الاجتماعي - الثقافي بمعناه الواسع (جنس أدبي، إيديولوجيا سائدة، سياق سياسي).

قام غيديون توري Gideon Toury (1995) بتطوير آفاق هذه النظرية في إطار دراسته الترجمة الوصفية. ووضع لنفسه هدفاً رئيساً يقوم على إيضاح الظواهر الترجمةية إيضاحاً منتظماً، وفي إطار نظري موحد. ويعرّف الترجمة بوصفها عملية تحويل *transfert*، ويقرر أن أية عملية نقل أو تحويل تتضمن، من جهة "ثابتاً خاضعاً للتغير" و"ثلاثة أشكال أساسية من العلاقات: (1) بين كل كيانين وبين المنظومة التي تندمج فيها هذه الأشكال؛ (2) بين الكيانين نفسيهما؛ (3) بين المنظومتين المعنيتين"، من جهة أخرى (Toury 1995:12).

هذه الأنماط الثلاثة من العلاقات يرتبط بعضها ببعض، وتتيح إمكان تعريف الترجمة بوصفها "نقلاً بين لغتين، أو بين نصين، إذا شئنا الدقة أكثر. وبعد أن استلهم من دراسة التشابه العائلي *familienähnlichkeiten* لفيتجنشتاين Wittgenstein القائلة بالتفكر "في الترجمة بوصفها رتبة من الظواهر حيث شبّه العلاقات بين أعضائها بالعلاقات القائمة بين أفراد العائلة الواحدة"

باختصار نقول، إن نظرية المنظومة المتعددة تفيد في تطوير علم ترجمي يقوم على التحليل، وله طبيعة منظومية (شاملة). لذلك، فهي تدرج ضمن امتداد المقاربات الترجمةية التي تركز همها على الهدف، لأنها تنظر إلى الترجمة نظرة شاملة ضمن منظومات الاستقبال الثقافية. لكن تحليلها لعلاقات القوة بين الآداب الوطنية، والآداب الأجنبية تكتسي لوناً إيديولوجياً يمكن أن يشوّه استقبال الترجمة، بوجه عام.

6. خلاصة

إذا قورنت الترجمة (علم الترجمة) traductologie بالفروع المعرفية الأخرى، فلن نرى فيها سوى القليل من النظريات الخاصة بها، وغير المكتملة. لذلك، حاولنا [...] تقديم لمحة إلى النظريات الأكثر شيوعاً وتأثيراً. وهي تتميز، أساساً، بالطريقة التي تُنظر فيها للترجمة. فالنظرية التأويلية (مدرسة باريس) تُلحّ على أولوية المعنى وطريقة فهمه أثناء عملية الترجمة. ونظرية الفعل (أو الفعلية) تشدد على الدور المركزي للمترجم، بوصفه فاعلاً اقتصادياً مُكلفاً بربط الموصي بالترجمة والزبون. أما نظرية الهدف skopos فتنتقل من فرضية عدم إمكان الترجمة من دون هدف محدد، وأن وظيفة النص هي التي تحدد شكل الترجمة. ونظرية اللعب تركز اهتمامها على البعد التعاقي للترجمة، كما تُلحّ على ضرورة معرفة "قواعد اللعبة"، والتمكن منها، قبل الانخراط في عملية الترجمة. أخيراً، تنظر نظرية المنظومة المتعددة إلى الترجمة بوصفها جزءاً من كلٍّ أكثر شمولاً، هو المنظومة الأدبية بمجموعها، وتوصي بمعرفة "المعايير" التي تحكم المنظومة، لكي تتمكن من الاضطلاع بمهمة الترجمة في هذه المنظومة المتعددة، أو تلك.

كل واحدة من هذه النظريات تعتمد وجهة نظر معينة، أصيلة، لكنها تشترك جميعها في وضع فضيلة عملية الترجمة، أو فاعل الترجمة، في لب تفكيرها. وهي لا تضع في أولوياتها اللسان langue، أو اللغة langage، أو النص، إنما تركز على خصوصيات العملية الترجمة، من حيث الاهتمام بها هي نفسها، ولنفسها. لذا، فإن منظور هذه الترجمات يعدّ علماً ترجمياً حصراً. ويؤكد غالبية واضعي هذه النظريات رغبتهم في جعل هذا الفرع المعرفي مستقلاً، لذلك تراهم يخترعون مفاهيم ومناهج معينة بتطويره.

على الرغم من فضائل هذه الجهود التي لا مراء فيها، فإن تأثيرها الحقيقي يبقى محدوداً: فهي ليست شائعة بين ممارسي الترجمة، من جهة، ولا تقدم للمترجمين المناهج التي ينتظرونها، من جهة أخرى. لذلك، فإن صعوبة تطبيقها المباشر من شأنه تعميق الهوة القائمة

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

بين النظرية والتطبيق. وهو ما يستدعي عملاً تعليمياً للترجمة انطلاقاً من هذه النظريات، لبيان فائدتها للمترجمين المبتدئين، أو الراسخين في هذا النشاط، والذين غالباً ما يبحثون عن "صفات" أكثر من بحثهم عن تفسيرات مجردة.

نظريات "الغرض" في الترجمة

د. ملكة أبيض

تمهيد: وظيفة المصدر وغرض الترجمة

تناولنا في مقال سابق* نموذج التكافؤ الطبيعي في الترجمة الذي يعني أن الترجمة (أو النص - الهدف) يجب أن تكون مكافئة للنص - المصدر. وسنتناول في هذا المقال مجموعة من النظريات كانت بوجه عام مناقضة لنموذج التكافؤ.

هذه النظريات تلج جميعاً على أن أي ترجمة تصمم لتحقيق غرض معين. فإذا كان الغرض يكرر وظيفة النص - المصدر فإن الفارق سيكون قليلاً بين النموذجين، والعلاقة بين وظيفة النص - المصدر ووظيفة النص - الهدف تبقى علاقة تكافؤ. على أنه حين تقبل نظرية ما أنه يمكن لغرض الهدف أن يكون مختلفاً عن وظيفة المصدر، فإننا سنتعامل مع نموذج جديد.

أما فيما يتعلق بالاختلافات الممكنة، فترجمة النصوص الأدبية يمكن أن تكون لها أغراض شديدة التنوع: فقد تهدف لإخراج النص في كتاب على شكل قصة أو رواية للقراءة. وقد تهدف لعرضه على المسرح، أو في السينما، أو التلفاز.

وفي السينما، بوجه خاص، يمكن أن تهدف الترجمة إلى وضعه على شكل عناوين تكتب أسفل الصورة، أو على شكل سيناريو ناطق...

ويمكن للجمهور المستقبل للترجمة أن يختلف بين ترجمة وأخرى. فقد يكون من الكبار، أو

* أنظر: د. ملكة أبيض، نظريات التكافؤ الطبيعي في الترجمة، مجلة التعريب العدد 47، 2014م، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق.

الشباب، أو الأطفال.

وقد يكون متعلماً على درجة عالية من الثقافة، أو محدود المعرفة؛ وقد يكون منفتحاً واسع الأفق، أو منغلقاً، متعصباً، ضيق الأفق... وعلى المترجم أن يأخذ هذه الحالات وغيرها بالحسبان حين يُقبل على الترجمة، ويكون معرفة بشأنها، إضافةً إلى المعرفة التي تمكنه من استيعاب النص - المصدر في موضوعه العام وجميع تفاصيله. كما أن عليه أن يأخذ بالحسبان أسلوب النص - المصدر الذي يتفاوت بين الكتابة النثرية البسيطة، والكتابة الشعرية المرفهة، أو الكتابة الفلسفية العميقة.

وحين ننقل إلى النصوص العلمية والتقنية، يجب أن نذكر أن هذه النصوص تتضمن مصطلحات وعمليات محددة ينبغي للمترجم معرفة كيفية التصرف بها لجعل الترجمة تتدرج في مجالها الطبيعي وتتكامل معه.

وعلينا أن نذكر أخيراً أن معظم هذه الترجمات، إضافةً إلى الإجراءات والمعاملات الإدارية، والقانونية، والتجارية، أصبحت حالياً سوقاً للعمل؛ وأن المترجم أصبح عاملاً محترفاً يتعامل مع زبون (فرد، أو شركة، أو جهة رسمية) يتسلم العمل منه مرفقاً بمعلومات واقية حول طبيعته، وبحزمة من الشروط حول كيفية أداء الترجمة ومواعيد تسليمها.

الغرض أو (سكوبوس) بصفته مفتاحاً لنموذج جديد

يمكن التأريخ لحدوث تحول في نماذج نظرية الترجمة بعام 1984 كنقطة رمزية على الأقل. فقد شهد ذلك العام طباعة كتابين بالألمانية هما: "أسس نظرية عامة في الترجمة" لكاترينا ريبس، وهانز فيرمير؛ و"عملية الترجمة: نظرية وطريقة" لـ جوستا هولز - مانتاري. والكتابان يتحديان تحدياً مباشراً الفكرة القائلة بأن على الترجمة أن تكون مكافئة لنص - مصدر. وقد شكّل كلاهما انفصلاً جزئياً عن نموذج التكافؤ. وتضمنت النصوص العامة حول نظرية الترجمة الكثير من الإحالات على نظرية "سكوبوس" Skopos وهي كلمة يونانية تقابل ما سيسمى "غرض الترجمة". فالنص - المصدر سيكون نفسه في جميع الأحوال،

..... نظريات "الغرض" في الترجمة

وما سيختلف هو الغرض الذي ينبغي للترجمة أن تحققه. وهكذا سيكون شعار النظريات الجديدة: مصدر واحد، عدة ترجمات ممكنة، والعامل الرئيس الذي يحدد الترجمة الفعلية هو الغرض (سكوبوس).

الفكرة بسيطة بدرجة كافية، وقد قادت المنظرين للتفكير بماهية الأغراض، ويمكن تعريفها فيما يتعلق بالزبائن (وهو بُعد غائب كلياً في نموذج التكافؤ)، وكيف يجري تحويل الترجمات من نصوص إلى مشاريع.

ويشرح فيرميير قاعدة سكوبوس على النحو التالي: ترجم تحريرياً/ ترجم شفويّاً/ تحدّث/ اكتب بطريقة تمكّن نصّك أو ترجمتك من أن تعمل في الوضع الذي ستستعمل فيه، ومع الأشخاص الذين يريدون استعمالها؛ وبعبارة أدق، بالطريقة التي يريدون أن تعمل بها (20: 1989a, Vermeer).

هنا يبدو أن المستعمل يجذب الاهتمام. والنقطة الهامة في هذه المرحلة تتمثل في أنك حين تتأمل هذه الصيغة ترى أن قاعدة سكوبوس لا تقول للمترجم كيف ينبغي أن يترجم النص، ولكنها تقول له، بكل بساطة، أين يجب أن ينظر للحصول على إشارات حول طريقة الترجمة. ففي كل حالة، يجب أن ننظر إلى الغرض المقصود. وفيرميير واضح بشأن هذه النقطة.

هناك نظريات عديدة يمكن أن تندرج في هذا الإطار، فـ "هولز - مانتاري" تركز على مكانة المترجم في الاتصال عن طريق الثقافي، لأنه يعمل مع خبراء في ميادين أخرى. أما "هونيغ وكوسمول" فيأخذان بالحسبان كمية المعلومات التي يحتاج إليها مستقبل الترجمة بالفعل. وهما ينصحان المترجم بأن يكيّف النص استناداً إلى ذلك.

أصول مقارنة سكوبوس

كانت كاترينا ريبس أحد المنظرين الذين يعملون على نحو ما في إطار نموذج التكافؤ. ففي كتابها الذي ظهر بالألمانية عام 1971 (وترجم إلى الإنجليزية عام 2000 بعنوان: نقد الترجمة:

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

إمكاناته وحدوده) اقترحت ريبس أن أنماط النصوص المختلفة تتطلب استراتيجيات مختلفة في الترجمة. وقد ميّزت ثلاثة أنماط رئيسة من النصوص: **التعبري**، و**التأثيري** (الذي يغلب عليه التأثير) و**التصويري** (الذي يغلب عليه المحتوى). وصنفت كل نص بحسب الوظيفة الغالبة عليه (الجدول 1). وهذه التصنيفات كانت مبنية على الضمائر اللغوية الثلاثة (المتكلم، والمخاطب، والغائب).

فالنص الذي يغلب عليه التعبير مُوجَّه بواسطة ضمير المتكلم (أنا)، ويستوعب أشياء مثل الرسائل الشخصية، والعديد من الأجناس الأدبية. والنص الذي يغلب عليه "التأثير" يضم أجناساً مثل الإعلان؛ تلك الأجناس التي يجب عليها التأثير في الشخص الثاني المخاطب (أنت) أو المستقبل. ويجب أن تترجم على هذا النحو بغية إحداث تأثيرات من هذا القبيل.

أما النصوص التي "يغلب عليها المحتوى" فهي الأشياء التي تحيل على العالم الخارجي، على الضمير الغائب (هو، هي، هم...) لذلك كانت تتطلب نوعاً من الترجمة حيث تكون الإحالة دقيقة.

وفي عام 1976 أعادت "ريبس" النظر في تصنيفها، فبدلت مصطلح "التأثيري" بـ "الفاعل Operative" الذي يسهل فهمه بالإنجليزية، ولكن الفكرة الرئيسة بقيت كما هي: الوظيفة التواصلية للنص - المصدر.

الجدول 1

أشكال الترابط لأنماط النصوص وطرائق الترجمة عند ريبس مكيفة من "تورد" (2003/2002):

طريقة الترجمة	نمط النصوص 1976	نمط النصوص 1771
محتويات صحيحة، شكل مقبول	نص إعلامي	يغلب عليها المحتوى
محتويات صحيحة، شكل منسجم	نص تعبري	يغلب عليها الشكل
للتأثير أولوية على المحتوى والشكل	نص فاعل	يغلب عليها التأثير

على أن عمل ريبس كان أكثر توسعاً في التفاصيل من تلك الأنماط الثلاثة، لأنها أقرت بوجود أجناس مختلطة، وأخذت وسائل الإعلام الجماهيرية بالحسبان. فنحن نتوقع أن تتغير

..... نظريات "الغرض" في الترجمة

استراتيجيات الترجمة حين تصبح الرواية فيلماً سينمائياً، على سبيل المثال. وقد سمي موقف ريبس "بالوظيفي"، وهي تسمية عادلة بدرجة كافية. ففكرتها الرئيسية تتمثل، على كل حال، في أن الطريقة التي نعتمدها في الترجمة تتوقف على وظيفة النص الذي نترجمه.

لقد النقط العديد من المنظرين الآخرين تلك الفكرة، ورُفعت راية "الوظيفية" بصفتها مصطلحاً عاماً للدلالة على هذه المقاربة. ففي كريستينا نورد 1988/1991 Christinae Nord على سبيل المثال، نجد وصفاً موسعاً لكيفية تحليل النصوص قبل الترجمة، بحيث يستطيع المترجمون فيما بعد تأكيد وظيفة تلك النصوص بدقة بالغة.

وعلى الصعيد النظري، تعترف نورد بالتأكيد، بأن الترجمات قد يكون لها وظائف تختلف عنها في النصوص - المصدر، ومع ذلك فإن الوزن الأساسي لتحليلاتها الفعلية يميل إلى السقوط إلى جانب المصدر.

كما أن ماري سنيل - هورنبي التي كانت مديرة مدرسة الترجمة الكبيرة في فيينا، في ذلك الوقت، وضعت "وظيفية" مماثلة في قلب "المقاربة المتكاملة" البالغة التأثير التي أطلقتها (1988). والرسالة الأساسية الكامنة لدى هؤلاء المنظرين هي أن المرء يجب أن يترجم وظائف النصوص، لا الكلمات أو الجمل الموجودة في الصفحة.

على أن القضية التي أثّرت آنذ تتمثل في أن وظيفة النص - المصدر لا تستطيع مناقشة الأسباب التي قد تجعل مترجماً ما يرغب في تغيير وظيفته، ولكن مفهوم سكوبوس الذي وضعه فيرمير يستطيع ذلك. فبالنسبة لفيرميير قد لا يريد مترجم لكتاب "كفاحي" المعروف لهتلر، على سبيل المثال، إعطاء أولوية إلى الكيفية التي يعمل بها النص الألماني الأصلي، وهي إحداث تأثير إيديولوجي في القارئ، بل يرغب في عرضه كشاهد على بعض أنواع التعصب. وهاتان الوظيفتان مختلفتان جداً.

إن مفهوم فيرمير المتمثل في إعطاء الأولوية إلى سكوبوس أو الغرض أكسب الوظيفة

ثورية كانت متضمنة فيها قبلاً، ولكنه حول تركيزها من المصدر إلى الهدف، بأن أدخل عليها عاملاً ذرائعياً مثل الانتباه إلى دور الزبائن، وإلى أهمية المترجم الذي يحصل على تعليمات واضحة قبل الترجمة، وإلى المبدأ العام القائل بأن النص الواحد يمكن أن يترجم بطرق عديدة مختلفة، ليلائم أغراضاً عديدة مختلفة.

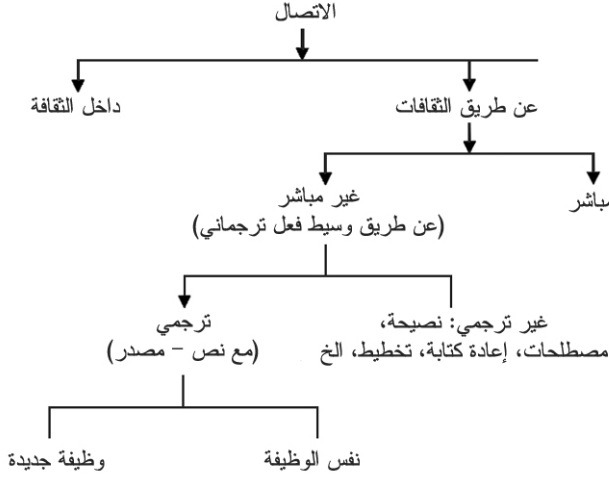
جوستا هولز - مانتاري ونظرية خبرة المترجم

يتمثل مشروع جوستا هولز - مانتاري - وهي ألمانية كانت تعيش في فنلندا - بإعادة كتابة عملية الترجمة كلها من منظور **نظرية الفعل action**، تلك النظرية التي كانت تتمتع ببعض الأهمية لدى فيرميير.

لقد انطلقت هولز - مانتاري من رؤية وظيفية، لا في النصوص فحسب، بل في المجتمع أيضاً. وفي هذا الإطار تتجلى **الوظائف في أفعال**، وكل من **الأفعال يوجهه هدفه**. ونقل الرسائل فعل شأنه شأن الأفعال الأخرى تحكمه وظيفة تتمثل في أن الرسائل يجب تأديتها. وحين يكون على رسالة أن تعبر من ثقافة إلى ثقافة أخرى فإن الأشخاص الذين يرسلون تلك الرسالة سيتطلبون **مساعدة خبير في التواصل عن طريق الثقافات**. وذلك الخبير يجب أن يكون المترجم، الذي يمكن أن يطلب منه أداء العديد من الأشياء المختلفة بناء على ذلك، ومنها إسداء النصح حول الثقافة الثانية، أو كتابة نص جديد بالاستناد إلى معلومات يوفرها الزبون. ومن السهل أن نرى كيف أن هولز - مانتاري انسجمت مع وظيفة جانب الهدف المسيطرة... ففكرة أفعال تحقق أهدافاً، تعد الدعامة الأساسية للذرائعية، ولعدة أنواع من علوم الاجتماع. وقد كانت تعمل بالطريقة نفسها التي تعمل بها قاعدة سكوبوس لفيرميير.

على أننا إذا نظرنا إلى المصطلحات بدقة، رأينا أن هولز - مانتاري وآخرين كانوا يتحدثون عن **"عمل ترجمي"** وعن سلسلة من الأعمال التي يؤديها المترجمون (وآخرون ممن يتعاملون مع النصوص). ولم يكن اهتمامها محدوداً بالواقع الفيزيائي للترجمات، كما نرى في الرسم 1.

..... نظريات "الغرض" في الترجمة



الرسم 1: الترجمة بصفاتها شكلاً من الاتصال عن طريق الثقافات (مع التكييف من نورد 1997: 18).

وحين ننظر في الأمر بهذه الطريقة، نرى أن هولز - مانتاري وفرمير كانا يُطلقان انتقادات جذرية لتعريفات الترجمة المبنية على التكافؤ التقليدي. لقد كانا يتحدّيان أيضاً الدور التقليدي لعلم اللغة في تدريب المترجمين. وفي الوقت نفسه، من المحتمل جداً، أنهما كانا ينطلقان باسم التغييرات في مهنة الترجمة، على الأقل، إلى الحد الذي جعل المترجمين يطالبون بصورة متزايدة بأداء أعمال تتجاوز مجرد الترجمة (وضع المصطلحات، ومراجعة، وطباعة على الحاسوب، وإدارة مشاريع). وكل هذه المهام تأخذ عمل الترجمة إلى ما وراء النص - المصدر؛ وتتلوها انتقالات مهنية منطقية إلى التسويق العالمي والعلاقات العامة.

النظرية المبنية على الشرح "الجيد إلى حد كاف"

تتمثل إحدى نتائج نظرية الغرض البالغة الأهمية، في أن المترجم يستطيع إعطاء قدر من المعلومات أكبر مما في النص - المصدر، إذا كان ذلك ضرورياً، أو قدر أقل إذا كان الأمر يتطلب ذلك. هذا الإمكان، تم إقراره جزئياً في إطار نموذج التكافؤ، ولكنه لم يلق الموافقة كلياً

على الإطلاق. فقد تحدّث "نيدا" على سبيل المثال، حول "الإضافة" بصفتها شيئاً يستطيع المترجم عمله بالنص. ولكنه ما لبث أن شرح أنه "على ألا تكون هناك زيادة على المعنى الدلالي للرسالة، لأن هذه الزيادات تتمثل أصلاً في إظهار ما هو مضمّر في نص اللغة المصدر". وبالمثل، إن ما يسميه نيذا "إقلالاً" لا يشكل إنقاصاً جوهرياً في المعلومات التي يحملها الاتصال. ذلك أن نموذج التكافؤ لا يجعل حالات الزيادة أو النقصان مشروعة دون تحفظ، حيث لا يحتاج المترجم للإشارة إلى شيء في النص - المصدر بوصفه سبباً لما هو في النص - الهدف (بيم 1992: 84).

وفي الواقع، مع أن مؤلفاً مثل "فاسكيز - أيورا Vasquez - Ajora" يستطيع بالتأكيد مناقشة فئة "الشروح بعبارات أخرى" بصفتها شيئاً يلجأ إليه المترجمون من حين لآخر، فإنه أصدر تحذيرات متكررة بأن مثل هذه الاستعمالات لا تنتمي حقاً إلى مجال الترجمة. "أن نترجم لا يعني أن نشرح نصاً أو أن نعلّق عليه، أو أن نكتبه كما نراه أكثر انسجاماً". وتحت هذا الرفض العام للإضافة أو للإغفال، يمكن أن نجد المحرمات الدينية لإجراء تعديلات في الكتاب المقدس. على أن عصراً من المؤلفات القوية يميل بوجه عام إلى احترام كلفة جميع النصوص. وما دام النص - المصدر يُعدّ مقياساً ومسوّغاً لاستراتيجيات الترجمة فلن تكون مسألة (كم يستطيع المترجم أن يضيف أو ينقص؟) مطروحة على هذا النحو. ومن جهة أخرى، مع قدوم زمن يكون فيه العديد من النصوص بدون مؤلف نسبياً (فالنشرات، وصفحات الشابكة، والتعليمات لا تحمل في العادة أسماء أي مؤلف)، يبدو أن هناك حرية أكبر للمترجمين، وأن وزن المصدر يمكن أن يجري التخفيف منه، وأن من الضروري إعطاء تفكير جدي للمسألة.

هناك جواب للمشكلة صاغه "هانز كونيغ وبول كوسمول" وهما منظران وأستاذان يعملان في جبرمرشليم، وهي مدرسة ترجمة كبرى قريبة من هايدلبرغ، وكانا متأثرين بنظرية سكوبوس في الثمانينيات من القرن الماضي. وقد وضع "هونيغ وكوسمول" ما أسماه "مبدأ درجة الدقة الضرورية" وهذا المبدأ يقترح أن الدرجة المناسبة للدقة تحددها الوظيفة المطلوبة للترجمة. وهذا يُعدّ صياغة أخرى لقاعدة سكوبوس، على ما يبدو. على أن تمثيلها أكثر تحدياً نسبياً.

..... نظريات "الغرض" في الترجمة

إن هونيغ وكوسمول يناقشان مسألة كيفية نقل المصطلحات الخاصة بالثقافة، مثل الدرجات العلمية "بكالوريوس" و"ماستر" التي تتكرر في "نصوص من دون مؤلفين" نسبياً مثل "السيرة العلمية". وهما يعترفان بأن المترجم لا يأمل في أن يقول للقارئ غير العارف كلياً بالكيفية التي تختلف بها هذه المصطلحات الأساسية. وكما يذكر هونيغ في نص متأخر "يجب أن تكون هناك نقطة توقف، حيث يقول المترجمون: "هذا كل ما على قرأني أن أعلموه في هذا السياق".

أين تقع هذه النقطة، يتوقف الجواب على الوظيفة الخاصة للترجمة. بحيث لا يوجد مبدأ آخر أبعد من ذلك لإعلانه. على أن ما يبقى هاماً هو الطريقة التي نفسر بها ذلك. ونقدم هنا شرح هونيغ لمثال أثار مناقشة وجدلاً (هونيغ وكوسمول 1982: 33):

"إن مبدأ الدرجة الضرورية من الدقة ليس محدداً بالمصطلحات الخاصة بالثقافة، ولا بمعاني الكلمات، في الحقيقة. ولكن يمكن التمثيل له على الوجه الأفضل بهذا النمط من مشكلات الترجمة فعلى سبيل المثال إن مصطلح "المدرسة العامة Public school" في بريطانيا يقتضي كماً كبيراً من المعرفة الخاصة بالثقافة، بحيث أن نقل معناه يستحيل كلياً في ترجمة ما. على أن وظيفة الكلمة في سياقها الخاص، في إطار مقارنة وظيفية، تحدد إلى أي درجة يجب أن يجعل المعنى الثقافي واضحاً في جملة مثل:

(a1) لقد دافع في المجلس النيابي عن العدل، ولكنه أرسل ابنه إلى "إيتون".

سيكون هنا على ترجمة إيتون في الجملة، أن تكون مختلفة عن ترجمة الكلمة المفردة.

(a2) حين توفي والده، لم يعد بإمكان والدته إرساله إلى "إيتون" على الإطلاق.

فترجمتا هاتين الجملتين يجب أن تكونا مفصّلتين بدرجة كافية.

(b1) في ترجمة الجملة الأولى، يضاف: (إحدى المدارس الإنجليزية للنخبة).

(b2) وفي ترجمة الجملة الثانية، يضاف: (إحدى المدارس الخاصة الباهظة التكاليف).

وبالطبع هناك معرفة تشتمل عليها مصطلحات: إيتون، و"المدرسة العامة" أوسع وهذا ما جرى التعبير عنه في الترجمة، ولكن الترجمة تكتفي بذكر الأشياء الهامة في سياق الجملة: وهذا ما يجعل الترجمة، بعبارة أخرى، دقيقة دلاليًا بصورة كافية".

توسع بإضافة تحليل المشروع

سنختتم هذا المقال بنظرة عَجَلَى إلى مقارنة تُوسِّع مفهوم الغرض بطريقة عملية جداً. فالمرجم والمدرَّب "دانييل غواديك" (2007)، لا يملك في الواقع أية شراكة فكرية مع المنظرين الألمان الذين تحدثنا عنهم؛ وقد تطورت أفكاره خلال تدريب للمترجمين التقنيين على صلة وثيقة بالصناعة. ويرى غواديك، على نحوٍ موسَّع، أن الترجمة على صلة بالمشروعات الكبرى التي لا يرتبط بها الزبائن والشركات فحسب، بل أفواج من المترجمين، وواضعي المصطلحات؛ واختصاصيون آخرون في التواصل. وهو يجادل في أنه يجب إعطاء انتباه خاص لتعليمات الزبائن، التي يسميها "مواصفات العمل Job specifications". فإذا كانت المواصفات كاملة إلى أقصى حد ممكن، فإن المترجم سيعرف كيف يترجم. أما إذا كانت المواصفات غير كافية، فإن على المترجم أن يكون قادراً على البحث عن المزيد من التفاصيل. والجدول 2 يمثل أحد تصورات غواديك لما يحتاج المترجم إلى معرفته قبل البدء بالعمل.

وبالنسبة لـ غواديك، إذا كان من الممكن لجميع عناصر مشروع الترجمة أن تكون جاهزة ومعرفة بصورة مناسبة في المرحلة السابقة للترجمة، من خلال المناقشة والتفاوض مع الزبون، فإن الترجمة الفعلية ستبرز القليل من المشكلات نسبياً.

..... نظريات "الغرض" في الترجمة

الجدول 2

المواد والمعلومات في مواصفات عمل كاملة للمترجمين (أنظر: غواديك 2007: 15)

المواد	معلومات عن الوظيفة	معلومات عن المهمة
النص - المصدر الصور، الملحقات... مسارد متخصصة نصوص موازية	الوظيفة المرغوبة للترجمة نوعية القراء النوعية المطلوبة (للمعلومات، أو للطباعة،	التواريخ النهائية لتسليم الترجمة الأولية، الترجمة المَدَّق فيها. الشكل العام للنص (الْقَطْع). أساس الأجور (الكلمة، المقطع، الصفحة، الساعة، اليوم) التكلفة التقديرية مواعيد الدفع توقيع العقد
ترجمات سابقة اتصالات مع خبراء أو مستشارين	أو للمراجعات، أو للمصطلحات) من يراجع؟	

خلاصة

عَرَضَ هذا المقال نموذجاً مبنياً على فكرة بسيطة مفادها: ليس على ترجمة ما أن تكون مكافئة للنص - المصدر الذي ترجمت عنه. وتختلف النظريات العديدة في هذا النموذج من حيث الدرجة التي تستطيع الترجمة أن تبتعد بها عن التكافؤ، ولكنها تركز جميعاً على غَرَض الجانب الهدف الذي يفترض في الترجمة أن تنجزه. وهذا يعني أن المترجم يحتاج إلى معلومات عن الغرض. والشكل الأمثل أن تكون متضمنة في التوجيهات التي يوفّرها الزبون. وهكذا يكون المترجم موضوعاً في حالة اجتماعية حيث يستطيع التفاوض مع الأطراف المعنية، وفيها الزبون، والقارئ أو المستعمل، والمؤلف.

وقد وسَّعنا النظرة العامة لحالة المترجم بحيث تشتمل على عمل "غواديك" الذي يركز على الطريقة التي يعمل بها المترجمون المحترفون في فِرَق، ويجادل بأن وجود معلومات كاملة من الزبون في مرحلة ما قبل الترجمة سيحدد العديد من قرارات المترجم.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

المرجع

Anthony Pym, Exploring Translation Theories: Routledge, London and Newyork, 2010.

المهارة في الترجمة¹

أ.د. محمد أحمد طجو

المملكة العربية السعودية

1. نظريات الترجمة: محاولة نمذجة الممارسات الترجمة

لقد ظهرت عدة نظريات في الترجمة حتى أيامنا هذه، ولكل منها أسس، ونقاط قوة، ونقاط ضعف أيضاً، ونقاط قابلة للنقاش. ونلاحظ برغم اختلاف مفاهيم النظريات أنها محاولة مفهومة الممارسات الترجمة ونمذجتها. يعتقد جورج مونان (Mounin 1963) في الواقع أن المشكلات النظرية التي تنيرها الترجمة بصفتها عملية لغوية لا يمكن توضيحها إلا بالاستعانة بالنظرية اللسانية، ويتساءل على وجه الخصوص عن المشكلات التي تنيرها بنية مفردات اللغة، والبحث عن "الوحدات الدلالية الصغرى"، والنحو، والتضمين، والعوائق اللغوية، والتواصل بين الأشخاص، والكليات اللغوية.

يحدد كل من فيني وداربلنت (Vinay et Darbelnet 1962 et 1977) انطلاقاً من مقارنة بين الفرنسية والإنجليزية من حيث المفردات، والتنظيم النحوي (الصرف والنحو)، وكذا الرسالة (الموقف اللغوي الذي يوحى به النص) طرقاً تقنية في الترجمة تساعد على التعبير عن الواقع نفسه في الانتقال من لغة إلى أخرى. وتساعد مقارنة اللغات على تسهيل عمل المترجم، ولكنها تجعلنا ننظر أن ثمة حلاً وحيداً لكل حالة ترجمة. ومع ذلك، نجد أن إمكان التعبير في كل لغة

¹ هذه ترجمة نص بعنوان "Le savoir-faire en traduction"، بقلم فو فان داي Vu Van Dai من كتاب بعنوان *Qu'est-ce que la traductologie?* (ص 61-67)، وبإشراف ميشيل بالار Michel Balard، صدر في عام 2006 عن دار النشر Artois Presses Université.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

ليس محدوداً، وأنه واسع ويرتبط، على العكس من ذلك، بمقدرة المترجم على الإبداع، وبوظيفة النص المترجم. يمكننا على سبيل المثال، من أجل ترجمة الاسم *le visage* (الوجه) اختيار أحد التراكيب التالية:

أ. *goung mat* (miroir visage): وجه مرآة

ب. *cai mat* (chose non animée visage): وجه الشيء الجماد

ج. *bo mat* (ensemble visage): حال، لون الوجه

العبارة (أ) استعارية، وتحيل إلى وجه جميل وبراق مثل مرآة، والعبارة (ب) حيادية وتنتمي إلى اللغة الدارجة. وتُستعمل العبارة (ت) عندما نريد أن نذكر قسمات الوجه. وهكذا لا يمكن توقع استعمال الحل (أ)، (ب) أو (ت) في كل المواقف التواصلية. فالمقارنة اللغوية لا تتطابق مع عملية الترجمة.

يقترح منظرو اللسانيات الاجتماعية - ومنهم برنييه Pergnier في كتابه *الأسس اللسانية الاجتماعية للترجمة* (1978) - الذين ينقلون المشكلات النظرية للترجمة من اللغة إلى الرسالة، أخذَ متلقي الترجمة بعين الاعتبار، وموقف إعادة إرسال الرسالة بسبب الاختلافات بين الإحالات الاجتماعية الثقافية. وبهذا المعنى، يدرك المترجم، لترجمة العبارة الفيتنامية التي تعني حرفياً "مدينة النتين الطيار" الاختلاف في الإحالات الثقافية، وفي "المعرفة المشتركة" بين الفيتناميين والفرانكفونيين، ويضيف عنصراً لغوياً يسمح بإدراك المعنى إدراكاً أكثر سرعة فيقول "هانوي، مدينة النتين الطيار" بدلاً من الالتزام بالأمانة للألفاظ.

يتركز تفكير كل من نابدا وتابر (Nida et Taber 1971)، من التيار اللساني الاجتماعي نفسه، على مشكلات ترجمة *التوراة*. ويهتم مارغو مثلها بالمشكلات التي تثيرها الترجمة التوراتية، وبالاختلافات الثقافية، وبالوسط المتلقي للترجمة. ونلاحظ أن التكيف مع المتلقي مناسب عندما يتعلق الأمر بترجمة *التوراة* إلى لغات - ثقافات بعيدة عن لغة الانطلاق، وأنه ليس صالحاً دائماً لأنماط نصية أخرى.

..... المهارة في الترجمة

يعمل جان رونييه لادميرال على النصوص الفلسفية، ويقترح انطلاقاً من هذه التجربة "نظريات من أجل الترجمة" (1979) تعد برأيه مساهمة في "لسانيات استقرائية" للترجمة.

يعتبر بيتر نيومارك (Peter Newmark 1981) الذي يميز بين الترجمة الدلالية والترجمة التواصلية أن الثانية تقوم على الكتابات غير الأدبية المألوفة، والنصوص النفعية، على حين تتعلق الترجمة الدلالية بالنصوص الفلسفية، والدينية، والسياسية التي يعتبر شكلها ومعناها بالأهمية نفسها. ومن وجهة النظر هذه، يكون للعبارة الفيتنامية "tuoi trang tron" شكلان متعادلان في اللغة الفرنسية:

a- "l'âge de pleine lune": عمر البدر

b- "l'âge de 16 ans"

عمر 16 (يعتقد أن القمر يكون بدرًا في اليوم السادس عشر من الشهر)

إن الحل (a) دلالي على حين الحل (b) تواصلية. ونلاحظ أن اختيار الترجمة التواصلية أو الترجمة الدلالية يتعلق بأخذ لغة الانطلاق أو لغة الوصول بعين الاعتبار. ينسب للقمر في اللغة الفرنسية صفات سيئة كما توضح ذلك عبارات مثل "promettre la lune" (يبذل وعوداً مستحيلة)، و "bête comme la lune" (غبي كالقمر). وعلى العكس من ذلك، يمثل القمر في اللغة الفيتنامية الجمال الأنثوي. إننا نجازف بإحداث مشكلة في الفهم لدى قراء الترجمة إذا ما أردنا الإبقاء على هذا الاختلاف الثقافي باختيار الترجمة الدلالية. ولكننا نجازف بإفقار الأصل من وجهة نظر الهوية الثقافية إذا قررنا إلغاء الاختلاف الثقافي.

لقد بنت دانيكا سيليسكوفتش وماريان لوديرير (Seleskovitch et Lederer 1984) من المدرسة العليا للترجمة الشفهية والترجمة التحريرية ESIT في باريس نظريتهما التأويلية انطلاقاً من تجربة الترجمة الفورية وتعليمها. وأوضحتا طبيعة العملية التأويلية والعوامل التي تتدخل فيها.

يساعد التفحص السابق للنظريات المعاصرة في الترجمة على التحقق من أن التعميمات

النظرية مشروطة بنمط ممارسة الترجمة، وبالمميزات الدلالية والبراغماتية والنصية للنص الأصل. ينتج عن ذلك أن الإشكالية التي تهمنا، باعتبار أننا نؤهل المترجمين، هي هل ينبغي علينا اقتراح نظرية لكل حالة من حالات الترجمة في إزاء تنوع وثائق اللغة الأصل و أنماط ممارسة الترجمة؟ هل يمكن الكلام على "جانب نظري للترجمة" بدلاً من الكلام على الترجمة؟ سوف نحاول في الفقرة التالية الإجابة عن هذه الأسئلة.

2. ترجمة أم نظرية ممارسة الترجمة؟

يتفق كلنا على القول إنه لا يمكن اقتراح نظرية في الترجمة من دون أية ممارسة للترجمة. وعليه، يمكن تعريف الترجمة بأنها مجموعة من المبادئ النظرية المستمدة من الممارسة. ولكن كما رأينا في تحليلنا، ونتجه لوجود عدة أنماط من الترجمة، مثل الترجمة الاقتصادية، والترجمة الأدبية، والترجمة الفلسفية، والترجمة العلمية، تؤدي مفهمة الممارسات إلى تنوع كبير من النماذج النظرية. ثمة سؤال يطرح عندئذ على جميع الذين يؤهلون المترجمين: ما إمكانات التطبيق في تعليم الترجمة؟ ما النموذج الذي ينبغي أن يتبعه المدرسون والدارسون؟ أي النماذج مناسب أكثر من غيره؟ وأيها أقل؟ يمكن أن نجد عناصر الإجابة عن هذه الأسئلة خلال تجارب تعليم الترجمة وتعلمها. يوجد في المسار الذي نتبعه في التأهيل للترجمة الشفهية والترجمة الثنائية في جامعة اللغات في هانوي مقرر بعنوان "نظرية الترجمة" كلفنا بتدريسه منذ عدة أعوام. إننا نرى أن تقديم نظريات الكتاب الأوروبيين لا تشد كثيراً اهتمام المتعلمين. إنهم من جهة لا يفهمون المصطلحات النوعية التي يستعملها الكتاب. وإن هذه النظريات تتناول من جهة أخرى مشكلات معرفية تتجاوز عمل المهارة. ومع ذلك، إننا ندرك أنه لا ينبغي إهمال المكون النظري في التأهيل لأنه يوضح الممارسة ويساهم مساهمة كبيرة في تكوين الكفاءة الترجمة. زد على ذلك أن النظريات التي نعرفها تلتقي في عدة نقاط برغم اختلافاتها الدقيقة. فجميع النظريات تعتبر أن الترجمة فعل تواصل قبل أن تكون عملية لغوية. وهكذا يستطيع العاملون في مجال التأهيل تحديد النقاط المشتركة بين كل النظريات وإفادة دارسيهم

المهارة في الترجمة

منها. إن هذه النقاط المشتركة لا يمكن أن تكون إلا المبادئ الأساسية أو المهارة في الترجمة. إن خبرتنا في الترجمة في المؤتمرات وفي تعليم الترجمة منذ سنوات تبرز على أنه يمكن تعريف عدد محدود من المهارات يُستعمل في جميع مجالات الترجمة، وأنه من المهم أن يكتسبها الدارسون في أثناء عملية تعلمهم. عندئذ، لن يتطرق المدرسون إلى الترجمة من خلال مسائل نظرية يمكن أن تحول انتباه الدارسين الذين يعتبرون أن اكتساب الكفاءة العملية أساسي. وبناء عليه، يصبح الأمر الأكثر أهمية وفائدة تناول الجانب النظري للترجمة، أي "نظرية ممارسة الترجمة". إن فائدة وجهة النظر هذه تتمثل في التركيز على أهمية الكفاءة العملية من دون الاكتفاء بمجموعة من الحقائق المنفرقة التي لا يمكن أن تؤدي إلى تأملات نظرية توجه النشاط الترجمي. إن إدراك الجانب النظري يساعد الدارسين على تخطي الصعوبات العملية، على حين يساعدهم التدريب العملي على اكتساب مهارة حرفية جيدة. والواقع أن اللجوء إلى الترجمة التواصلية، وفق نظرية نيومارك (Newmark 1982a, 1982b) ، يمكن أن يحل بعض المشكلات التي تثيرها العوائق اللغوية عندما يجب علينا العمل على لغات مختلفة جداً مثل اللغة الفيتنامية واللغة الفرنسية. ولكن ما العناصر التي تكون كفاءة دارس الترجمة؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تعني محاولة تحديد تجليات المهارة في الترجمة. وهذا موضوع التحليل في الفقرة التالية.

3. مهارة دارس الترجمة

سوف نتناول في هذه الفقرة المهارة في الترجمة من وجهة نظر المدرس.

1.3 مهارة تحليل البنية الكبرى للنص الأصل

ينبغي في سبيل ترجمة نص ما أن نفهم أولاً بنيته الكبرى. من المهم إذن معرفة: (أ) نمط النص، (ب) المؤلف، (ت) الموضوع، (ث) وظيفة النص، (ج) الوضع الاجتماعي وقت كتابة النص، وأخيراً، (ح) متلقي الترجمة. تتدخل هذه العوامل في إدراك مضمون النص الأصل والتعبير عنه. إننا لا نترجم في الواقع إعلاناً تجارياً بطريقة ترجمة نص قانوني. وبعبارة

أخرى، تؤثر أنماط النصوص في استراتيجية الترجمة. وهكذا تساعد معرفة النص على تجنب القراءة الخطية، والتأمل في البنى النصية المحلية، أي كلمات النص وجمله، أي بنيته الصغرى.

2.3 مهارة فهم بنية النص الصغرى

ينبغي، بعد تحليل النص المراد ترجمته تحليلاً إجمالياً، تحليله بالتفصيل، وعلى كل المستويات. يساعد هذا التحليل على فهمه كلياً.

أ. على المستوى اللفظي

ينبغي أن يكون الدارس قادراً على تمييز الدلالة خارج السياق والدلالة الفعلية في السياق (أو المعنى) للوحدة المعجمية. ولما كان المعنى هو الموضوع المراد نقله إلى اللغة الهدف، فإن هذا التمرين أساسي. تقوم مهمة المدرس إذن على مساعدة الدارسين على تعرف الدلالة الأكثر ملاءمة للكلمات والعبارات، إذ ينبغي في هذا المستوى تعرف كلمات النص التي تحمل شحنة ثقافية كبيرة. الهدف من هذا الاكتشاف مزدوج: إنه يوجه من جهة فهم المعنى ويساعد على تحديد استراتيجية الترجمة من جهة أخرى. نطلق اسم الكلمات التي تحمل شحنة ثقافية كبيرة على تلك التي توحى بحقيقة ثقافية، والتي يتطلب تأويلها تجاوز الأشكال اللغوية، مثل "التعايش" cohabitation، و"اليمين" و"اليسار" في فرنسا، و"التجديد" moi doi، و"الاندماج" hoi nhap، و"مشاركة العمال في الأرباح" actionnarisation co phan hoi في فيتنام .

ينبغي على الدارس أيضاً على المستوى اللفظي أن يكون قادراً على اكتشاف مصطلحات مختصة، وألفاظ مستحدثة، وأن يجد المعادل المناسب. تتجاوز هذه المهمة الصعبة مقدرة الدارسين أحياناً، إذ ينبغي على المدرس التدخل لينبه دارسه إلى التوسع الدلالي للكلمات، وإلى ظهور مصطلحات جديدة. ينبغي، على سبيل المثال، لترجمة الجملة:

"Il y a beaucoup d'entreprises japonaises qui délocalisent leur production"

(هناك العديد من الشركات اليابانية التي تنقل مراكز إنتاجها إلى الخارج) فهم معنى الفعل

المهارة في الترجمة

délocaliser. يستطيع الدارسون استيضاح معنى كلمة في قاموس ثنائي اللغة ولكنهم لا يجدون دائماً الحل لأن القاموس الثنائي قد لا يحتوي على مدخل مفرداتي كما في حالة الفعل délocaliser. إن دور المدرس في معالجة المصطلحات المختصة والألفاظ المستحدثة مهم في الحقيقة.

ب. على المستوى الصرفي

ينبغي أن يكون الدارس قادراً على تعرّف شكل الكلمات الوظيفية mots-outils، والقواعد النحوية (الجنس والعدد)، وعلى وجه الخصوص الصيغ الفعلية ودلالاتها. تجدر الإشارة إلى أن تناسب الأفعال في أزمنتها في الفرنسية هو أصل صعوبات استعمال اللغة بالنسبة إلى المتعلمين الفيتناميين الذين ليست لغتهم لغة معربة. وإن تحديد معنى الصيغ الفعلية يشكل صعوبة بالنسبة إليهم، وإن استعمالها استعمالاً صحيحاً أكثر صعوبة أيضاً. يلاحظ غالباً لدى دارسينا استعمال أزمنة المضارع، والماضي المركب، والمستقبل من الصيغة الدالية indicative التي تقابل ثلاث واسمات في اللغة الفيتنامية.

ت. على المستوى النحوي

ينبغي على الدارس أن يحسن فهم بنى النص النحوية، أي يكون قادراً على تحديد الروابط بين أجزاء النص. إن هذه المقدرة ضرورية لأن البنى النحوية هي أساس الشبكة الدالية. وإنه ينبغي لترجمة الفقرة التالية تعريف وظيفة مجموعة المفردات في sa faible ouverture sur les pays émergents وفاعل "lui a permis"، وهذا ليس بالأمر الواضح بسبب الاختلافات بين نظامين لغويين:

"L'évolution la plus encourageante pour nos entreprises tient à la solidité de nos performances à l'exportation ", considère Jacques Dandoux, secrétaire d'État au commerce extérieur. "ce que l'on a longtemps reproché à la France, qui réalise près de 75% de ses échanges avec les pays de l'OCDE – sa faible ouverture sur les pays émergents- lui a permis l'an dernier d'amortir les effets des crises asiatique et russe" (Le monde, jeudi 18 février 1999).

الترجمة العربية: "يعتبر جاك داندو وزير التجارة الخارجية" أن التطور الأكثر تشجيعاً بالنسبة إلى مؤسساتنا يعود إلى رسوخ نتائجنا القياسية* في التصدير. إن اللوم الذي وُجّه زمناً طويلاً إلى فرنسا، التي تحقق 75% تقريباً من مبادلاتها مع دول منظمة التعاون والاقتصاد الأوروبية OCDE - وهو انفتاحها المحدود على الدول الصاعدة - سمح لها العام الماضي بتخفيف نتائج الأزميتين الآسيوية والروسية (صحيفة لوموند، الخميس 18 فبراير 1999).

إن تجربتي توضح أن التحليل النحوي مفيد على وجه الخصوص لإفهام الدارسين الوظائف النحوية لكلمات الملفوظ وبناء معناه.

ث. على المستوى البراغماتي

يجب على الدارس أن يكون قادراً على تحديد القيم البراغماتية للنص. ينبغي أن يعرف على سبيل المثال إن كان النص هجائياً أم جدالياً، صريحاً أم ضمنياً، أي إن كان القول يتطابق مع المعنى أم لا. إن هذا المستوى من التحليل يسمح باختيار استراتيجية ترجمة جيدة. وإن الواقع التعليمي يوضح أن الدارسين يعيرون الصيغ اللغوية أهمية أكبر، ولا يدركون غالباً الأفكار الضمنية أو تلميحات النص.

3.3 إجادة اختبار حل ملائم من احتمالات الترجمة

تقدم اللغة الهدف في سبيل إعادة التعبير عن الأفكار التي تم تلقيها من الأصل مجموعة من احتمالات الترجمة، ولكن يجب على الدارس أن يكون قادراً على إيجاد حل دقيق، وفقاً لمعيار التعادل الدلالي والوظيفي. إن دقة الترجمة يحددها التقابل بين المعنى أو المقصد التواصلية والصيغ اللغوية التي يحفظها الدارس في اللغة الهدف. هناك تقابل وظيفي إذا قام المقطع المترجم في نص الوصول بالدور الذي يقوم به النص المقابل في نص الانطلاق. وهكذا، يجب على الدارس أن يجيد استعمال "أساليب تقنية" تؤدي إلى تقابل دلالي، مثل الترجمة الحرفية (الترقنة transcodage)، والنسخ أو الاقتراض...، وأساليب تؤدي إلى تقابل وظيفي مثل تحويل

* البديل من عبارة الكاتب الفاضل هذه هو: "رسوخ إنجازاتنا في التصدير" [المجلة].

..... المهارة في الترجمة

البنى النحوية أو التكيف. ينبغي أن يكون استعمال "الأساليب" مرناً، ووفقاً لسمات الأصل ووظيفته. يمكن على سبيل المثال استعمال الترجمة الحرفية بالتكامل مع الترجمة بتصرف والتوجه نحو التعادل الدلالي إذا تعلق الأمر بترجمة أنماط نصوص يماثل شكلها أهمية مضمونها. وينبغي، على العكس من ذلك، في حالة النصوص التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بثقافة الأصل وتسبب صعوبات في الفهم، اختيار التعادل الوظيفي.

4.3 إجادة التحرير الجيد في اللغة الهدف

يجري تحرير النص في أثناء مرحلة إعادة التعبير عن المضمون الذي تم فهمه. يمكن أن تظهر في هذه المرحلة عدة صعوبات: إنه لمن الصعب إيجاد صيغ معادلة، إذ إن الصيغ التي تُختار يمكن أن تخون المعنى المراد إعادة التعبير عنه. ولكنني أرى أن أكبر صعوبة هي التقيد بأسلوب لغة الوصول. إن دارسي الترجمة غالباً ما يخضعون لنحو اللغة الأصل، وهذا الأمر يحرمهم من حرية التعبير على أساس المضمون الذي تم فهمه. وينتج عن ذلك أنهم ينتجون نصوصاً متأثرة بنصوص لغة الانطلاق وغير مترابطة أحياناً. إنه لمن المهم إذن أن يكون الدارسون قادرين على تحرير ترجمتهم تحريراً جيداً، وأن ينتجوا نصوصاً سلسلة، ووجيزة، ومترابطة كما لو أنهم يعبرون باللغة الأصل. إن عمل التحرير هذا ينبغي أن يكون أحد أهداف محاضرات الترجمة.

4. خاتمة

إن المهارة التي أتكلم عليها هنا هي الحد الأدنى للكفاءة الذي ينبغي أن يبلغه دارس الترجمة في نهاية عملية التعلم. وهي محددة على أساس مبادئ نظرية عرضتها النظريات الحديثة وأثبتتها الممارسة. ويمكن أن تنقسم إلى كفاءة التأويل وكفاءة التحرير اللتين تقابلان مرحلتين أساسيتين في عملية الترجمة. إن تحديد الحد الأدنى لكفاءة المترجم في التأهيل للترجمة يسهل عمل تصور البرامج، وتعيين مضمونها، ومعايير تقويم مسار التأهيل والنصوص المترجمة. فعندما يجعل المدرس المهارة هدف تعليمه يكون أكثر وعياً بمنهجه،

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

ويكون مركز التأهيل قادراً على قياس جودة منتجاته. إن هذه النقاط هي التي تبرر وجود الترجمة، وتجعلها مفيدة بالنسبة إلى دارس الترجمة.

الترجمة إلى العربية في زمن الرواد المعاصرين

د. عبد العزيز المقالح

اليمن

مقدمة

يحاول هذا البحث الموجز أن يلفت انتباه المهتمين بالترجمة إلى اللغة العربية بالدور الجليل، الذي قام به الرواد في النصف الأول من القرن العشرين. وكيف توخّت ترجماتهم، العلمية والإبداعية، اختيار ما كانوا يرونه مفيداً ونافعاً للثقافة العربية، ومعيناً لها على الانعتاق من أسر التقليد والمحاكاة، سواء في أسلوب التناول التعبيري للقضايا المعاصرة، أو في طرح الأفكار التي تتناسب مع العصر، ولكي تفتح الباب واسعاً لتبادل المعرفة والأفكار بين أبناء الأمة العربية والآخرين.

ولأن الموضوع كبير وشاق، فقد اقتصر البحث على الإشارة إلى ثلاثة رواد في مجال الترجمة، هم الدكتور طه حسين، والدكتور عبد الرحمن بدوي، والدكتور زكي نجيب محمود، مع تأكيد أن نجاح هؤلاء وغيرهم في الترجمة يعود في الأساس إلى إجادتهم اللغة العربية، لاسيما الدكتور طه حسين، طالب الأزهر الشريف الذي حفظ القرآن الكريم، واستوعب التراث الفكري والأدبي وما أنتجته اللغة العربية من روائع الشعر والنثر. فقد أمدّه ذلك الاستيعاب بقدرة فائقة على ترجمة ما رآه مناسباً ومفيداً من الفكر الأوربي، ومن الإبداع الأوربي في لغة مشرقة ومنهجية عالية.

إن كل مترجم لا يجيد اللغة التي ينقل إليها، ولا يحسن التعامل بقواعدها، وطرائق تعبيرها ليس سوى مترجم فاشل يسيء من حيث يشعر إلى كل من اللغة التي ينقل إليها، واللغة التي

ينقل منها، مهما ادّعى بأن مهمته تقوم على توصيل المعنى فحسب؛ بقطع النظر عن أسلوب التعبير. وكثيرة هي الروايات العالمية التي أساءت إليها الترجمات الركيكة، وتلك التي لم تظهر قيمتها وأهميتها العالمية إلاّ عندما وجدت مترجمين يجيدون اللغة العربية، ويحسنون التعبير بها. ولا أريد أن أشير هنا إلى بعض الروايات الكبرى والقصائد الشهيرة التي أفسدتها الترجمات الركيكة والنقل الحرفي الجاف فهي عديدة ومعروفة، وغالباً ما يدركها القارئ الفطن المتمكن من اللغة العربية، واللغات الأجنبية.

كثيرة هي القضايا المتعلقة بهوم الترجمة وإشكالاتها لاسيما في الوطن العربي، حيث لا يوجد حتى الآن مشروع قومي مشترك تعمل جميع الأقطار العربية القادرة على تنفيذه والتخطيط لإنجازه وإخراجه إلى حيز الوجود. شعوب كثيرة - في عالم اليوم - لا وزن لها ولا كيان قومياً حقيقياً تمثله، نجحت في هذا المضمار، واستطاعت أن تثري مكتباتها الوطنية وجامعاتها بالجديد والأحدث في دنيا العلوم والآداب والفنون؛ على حين بقينا نحن العرب في ذيل القائمة التي تنشرها سنوياً المنظمات المتخصصة؛ مقارنة بين ما يُترجم في العالم من كتب، وما يترجم منها إلى اللغة العربية، وتلك حقيقة مؤجعة لم يعد في مقدور أحد في الوطن العربي تجاهلها.

يتجه هذا البحث المختصر إلى تتبع الأسباب التي أدت إلى هذا الموقف المقلق في حق الأمة، وفي حق اللغة العربية، تلك التي أثبتت قدرتها منذ قرون على استيعاب كل ما لدى الآخرين من معارف جادة، واستطاعات أن تكسر الحاجز القائم بين العرب والآخرين على مستوى اللغة، وغيرها من المستويات الثقافية والأدبية والفنية، ودخلت ميدان الترجمة من أوسع الأبواب، ونقلت الكثير من العلوم الطبيعية والهندسية والمعارف الفكرية والأدبية، إذ يحتفظ تراثنا العربي بكثير من الشواهد اليونانية والشرقية القديمة.

ومن الناقل القول: بأن الذين كانوا يجيدون الترجمة في العصرين الأموي والعباسي كانوا قلة، ولكنها كانت قلة أخلصت لمهمتها وقدمت ما كانت الأمة بمسيس الحاجة إليه في حقبة

..... الترجمة إلى العربية في زمن الرواد المعاصرين

ازدهارها، من نتاجات الحضارات السابقة في الشرق والغرب على حد سواء. ومما يؤسف له أن الذين يجيدون اللغات الأجنبية المعاصرة الآن من العرب يعدون بعشرات الآلاف، ومع ذلك فإن الأمة تشكو من قحط الترجمات التي قد تفيدها، وتساعد على التثاقف ومعرفة الآخر، الذي أصبح قريباً ومعاصراً، ولم يعد بعيداً عن مدار حياتنا، إن لم نقل بات يتدخل في تفاصيلها. ولهذا الغياب أو بالأحرى هذا التخلف في ميدان الترجمة، سببان رئيسان هما: أولاً: غياب المشروع القومي للترجمة، وما يرتبط به من إرادة تحفز القادر على الترجمة؛ والاتجاه نحو تحقيق أهداف هذا المشروع والتنافس على تقديم أفضل الإنجازات المتوخاة منه.

ثانياً: إن الكثرة الكثيرة من الذين يجيدون اللغات الأجنبية لا يجيدون لغتهم العربية على نحو سليم يمكنهم من الترجمة الأمينة، ولا يحسنون النقل إليها أو النقل منها بإتقان، وهي صفة عامة وغالبة باستثناء عدد قليل جداً ممن أتقنوا لغتهم الأم، ونجحوا في أن يقدموا نماذج من الترجمات المهمة والجادة.

وأود قبل التوسع في شرح أبعاد هذين السببين، أن ألفت انتباه القارئ إلى أنني قبل أن أشرع في كتابة هذا البحث الموجز عن قضايا الترجمة في الوطن العربي، عمدت إلى قراءة عدد من الكتب العلمية التي تناولت موضوع الترجمة، وتوقفت عند خمسة منها – ويا للأسف الشديد – هي كتابات مترجمة، ألفها علماء من خارج اللغة العربية باستثناء كتاب واحد والكتب هي:

1. الترجمة والمعنى، دليل التكافؤ عبر اللغات: تأليف بلديري لارسون، ترجمة الدكتور محمد حلمي خليل، والكتاب موسوعة في الترجمة ومصطلحاتها، ويقع في 811 صفحة من القطع الكبير.
2. نحو علم الترجمة: تأليف يوجين أ. بندا، ترجمة ماجد النجار، والكتاب دراسة صافية في فن الترجمة وأسلوبها، ويقع في 504 من الصفحات من القطع الكبير.
3. في نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة: ترجمة د. سعد عبد العزيز مصلوح، وهذا الكتاب

لا يقل أهمية وبحثاً في قضايا الترجمة وإشكالاتها المختلفة عن سابقه، ويقع في 559 صفحة من القطع الكبير.

4. **الفكر اليوناني والثقافة العربية:** لمؤلفه ديمتري غوتاس، ترجمة وتقديم الدكتور نقولا زيادة. والكتاب يعرض لحركة الترجمة من اليونانية إلى العربية والعوامل السياسية والاجتماعية التي أدت إليها. ويقع في 313 صفحة من القطع المتوسط.

5. **نظرية الترجمة الحديثة،** للدكتور محمد عناني، والكتاب محاولة لتقديم رؤية عربية عن هذا الفن الصعب، يستعين فيه مؤلفه بعدد من المراجع الأجنبية في موضوع الترجمة، مع إيراد نماذج تطبيقية يعود أغلبها إلى تجربة المؤلف في هذا المجال، يقع الكتاب في 322 صفحة من القطع المتوسط.

ولأن الوقت لم يسعفني لقراءة هذه الكتب قراءة وثيقة ومتفحصة، فقد تصفحتها جميعاً، وتوقفت طويلاً عند بعض الاختلافات النظرية والتطبيقية التي شغلت حيزاً لا بأس به من صفحاتها، برغم الاتفاق العام على أهمية الترجمة بوصفها وسيلة لا مناص منها للتثاقف، وتبادل المعرفة الإنسانية بين الشعوب على اختلاف لغاتها وجنسياتها. وفي المكتبة العربية كتب أخرى باللغات الأجنبية ومترجمة إلى العربية، تتحدث في الموضوع نفسه، وتناقش القضايا ذاتها إلى جوار عشرات، بل مئات الكتب المترجمة في معارف وعلوم شتى، صدرت عن أفراد، أو عن منظمات محدودة، لكنها لا تقاس - كما سبقت الإشارة - إلى ما يُترجم إلى اللغات الأخرى، وأستطيع القول إنني خرجت من قراءتي المتواضعة بملاحظة مؤكدة هي أن قضايا الترجمة وإشكالاتها في الوطن العربية كثيرة، وأن حاجتنا لم تعد مقصورة على كيفية ترجمتها؛ وإنما على ماذا نترجم.

لقد توقفت طويلاً لدى بعض الفقرات المهمة في كتاب "الترجمة والمعنى"، منها تلك الفقرة التي يشير فيها المؤلف إلى حاجة المترجم إلى الإحاطة بعلاقات التعميم والتخصيص في الكلمات، حيث يرى "أن الإحاطة بها تساعد على إيجاد المكافئ المعجمي الصحيح الذي قد

..... الترجمة إلى العربية في زمن الرواد المعاصرين

يصعب إيجاده إذا لم يكن المترجم على وعي بهذه الإمكانية؛ فمثلاً قد يتمكن من استعمال كلمة في اللغة المستقبلية تضم كلمة من اللغة المصدر ثم يضيف إليها عبارة وصفية لتوضّح مكونات المعنى المحدد للكلمة المصدر¹. ويضيف المؤلف في مكان آخر: "أن اللغة تميل إلى الاختلاف في الكلمات العامة أكثر من الكلمات الخاصة، فعند ترجمة كلمة محدودة نوعاً ما يكون إيجاد المكافئ الأقرب أمراً أكثر سهولة؛ لأن المفردات المحددة من الممكن أن تتطابق بين لغتين، ولكن عند ترجمة كلمات عامة قد يكون الأمر أكثر صعوبة، والمفردات العامة في لغة ما تختلف إلى حد بعيد عن المفردات العامة في لغة أخرى، فينعدم المقابل الصحيح"².

وتحتوي هذا الإشارة على ملاحظة بالغة الأهمية، قد لا ينتبه إليها كثير من المترجمين العرب، وذوي العلاقة الضعيفة باللغة العربية على وجه الخصوص، فقل منهم من ينتبه إلى هذا الفارق بين ما هو خاص في اللغة وما هو عام، بين القاموسي والمستحدث، بين لغة الجامعة ولغة الشارع. كما أنني توقفت طويلاً أيضاً تجاه فقرات، لا تقل أهمية في كتاب "الفكر اليوناني والثقافة العربية" ومنها هذه الفقرة الطويلة التي توجز الرأي في تواصل الثقافة العربية بالثقافة اليونانية، والرعاية الشاملة التي وجدتها حركة الترجمة على مدى قرنين، إذ يرى مؤلف الكتاب "أن حركة الترجمة التي بدأت مع تولي العباسيين السلطة وكانت بغداد مسرحها الرئيس، تمثل إنجازاً مذهلاً. وبقطع النظر عن أهميتها الخاصة لفيلولوجية اللغتين اليونانية والعربية وتاريخ الفلسفة والعلم، وهي النواحي التي أمعن الباحثون في درسها حتى يوم الناس هذا، لا يمكن العُصّ عليها بالنواجز وتقديرها إلا على أنها ظاهرة اجتماعية (الناحية التي نالها حظ قليل من البحث الدقيق). ولنوضح: قبل كل شيء إن حركة الترجمة اليونانية العربية امتدت على مدى يُنَيَّفُ على القرنين، ولم تكن ظاهرة سريعة الزوال. ثانياً كان يساندها نخبة المجتمع العباسي بكماله: الخلفاء والأمراء وموظفو الدولة والزعماء العسكريون والتجار

¹ بلديري لارسون: الترجمة والمعنى، ترجمة: د. محمد حلمي خليل، الناشر جامعة الكويت، 2007م، ص 114.

² المصدر نفسه، ص 115.

وأصحاب المصارف والعلماء؛ ولم تكن مشروعاً خاصاً بفئة معينة لتسويق مشاريعها المحدودة. ثالثاً: تم دعمها بتخصيص مبالغ مالية ضخمة عامة وخاصة؛ ولم تكن نزوة شاذة ولا تبجحاً اجتماعياً، يقوم به أنصار أثرياء يطمعون في التبرع لقضية إنسانية أو لتعظيم النفس، وأخيراً فقد تمت متابعتها على أسس منهجية بحث صارمة وحفظ فيلولوجي دقيق - على أيدي حنين بن إسحاق الشهير وزملائه - على أساس برنامج مسنود قد امتد عبر أجيال. والذي كان يعكس، في نهاية المطاف، موقفاً اجتماعياً وجوياً الثقافة العامة في المجتمع العباسي المبكر. لم يكن نتيجة اهتمامات شخصية أو عشوائية يقوم بها أفراد شواذ هم الذين يمكن أن يظهروا في أي عمر وزمن، والذين يغوصون في فيلولوجيات معمّاة واهتمامات تتعلق بالنصوص التي عندما توضع في محك التاريخ يتبين بطلانها¹.

لا أخفي أنني حرصت على نقل هذه الفقرة الطويلة ووضعها في هذا المكان من البحث للدلالة على مدى اهتمام أجدادنا الأوائل، في عصور ازدهارهم بالمعرفة والعلم، وتبسيط كل ما تتطلبه هذه المهمة من إمكانيات. وما يبعث على الإعجاب أن تشجيع حركة الترجمة في ذلك العصر لم يكن محصوراً على الدولة ولا جزءاً من مشاريعها فحسب، بل كان تعبيراً عن اهتمام عام، تسانده الطبقات القادرة من العلماء والزعماء والتجار وأصحاب المصارف، وهو ما يدعونا إلى التساؤل أين هؤلاء الآن من حركة الترجمة المعاصرة؟ وهل هناك رجل أعمال واحد من رجال الأعمال الذين يعدّون بمئات الآلاف يفكر - مجرد التفكير - في مساندة جهد علمي ثقافي كهذا الجهد، إذ في استطاعة هؤلاء أن يخصصوا جزءاً صغيراً مما ينفقونه على الدعاية والإعلام لإنعاش الثقافة العربية، ورفدها ببعض ما تحتاج إليه من رعاية مادية ومعنوية.

عرفنا في الصفحات السابقة شيئاً عن الأسباب التي حملت العربي في الماضي على الاتجاه

¹ ديمتري غوتاس: ترجمة: د. نقولا زيادة، الفكر اليوناني والثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، يونية 2003م، ص 30-31.

..... الترجمة إلى العربية في زمن الرواد المعاصرين

نحو الترجمة، وقد زادت هذه الأسباب وتعددت في العصر الحديث، نتيجة التغير الشامل في طرق الحياة ووسائلها، ونتيجة للتقارب الذي تتسع مساحته يوماً بعد يوم في هذا العالم، الذي صار البعض ينظر إليه على أنه قرية واحدة؛ برغم احتفاظه بلغاته وخصائصه الثقافية المختلفة، وبرغم ما تطمح إليه العولمة الرأسمالية من التمكين للغة عالمية واحدة تمكن للرأسمال العالمي من بسط الهيمنة والنفوذ على العالم، وحرمان الشعوب الفقيرة اقتصادياً وثقافياً من الاحتفاظ بلغاتها، والاعتزاز بموروثاتها الثقافية الروحية، ولم تُصبِ البعض منا تلك الكتب التي تبشر بزمان اللغة الواحدة والثقافة الواحدة والإنسان الخاضع لمركزية المال وتحولات القوة، لم تصب تلك الكتب البعض منا بصدمة الغربة، فقد كانت متوقعة ومنظرة، وهي تعكس الواقع الكوني الراهن، وما يضطرب في جنباته من آراء وأفكار على درجة من السوء والخطورة.

والواضح تماماً أن الدعوة إلى لغة واحدة للعلم وللثقافة تلغي من الأساس فكرة الترجمة، بل تلغي اللغات والثقافات الأخرى باستثناء لغة واحدة، هي المستبدة والسائدة بحكم القوة المادية والاقتصادية. وقد أمسكت بين يدي أثناء كتابة هذا البحث كتاباً بعنوان "هل يحتاج العالم إلى لغة علمية، اللغة الإنكليزية ومستقبل البحث العلمي" لمولفه الأمريكي "سكوت ل. مونتميري" ومع أن المؤلف شديد الذكاء وقادر على خلط السم بالعسل؛ فإنه لم ينجح في إخفاء عولميته أو مداراتها، فهو يحوم ويدور ليؤكد أن اللغة الإنكليزية كما جاء في العنوان الفرعي لكتابه، هي لغة المستقبل لكل البشر الذين يعيشون على وجه هذه المعمورة بوصفها – أي الإنكليزية – لغة التواصل بين العلماء والمتقنين في مواقع جغرافية وثقافية مختلفة، وفي الكتاب إشارة إلى صعوبة اللغة العربية والعقبات الهائلة التي تحول دون إتقانها "كما يدل مثلاً الوقت الطويل الذي استغرقه رجال أذكى مثل "اويلان أوف باث"، و"جيرارد أوف كريمونا"، لتعلم لغة مثل العربية التي ربما أتقنوها أو لم يتقنوها أبداً فعلاً"¹، ونتائج هذا الدليل المتعسف الذي أورده

¹ سكوت ل. مونتميري: ترجمة فؤاد عبد الملك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد يناير 2015، ص 206.

المؤلف تصب في مصلحة اللغة الإنجليزية، لغة المستقبل، كما يقول، لسهولة وبساطة تركيبها وبوصفها اللغة السائدة في مجال التواصل العلمي والاقتصادي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الانتشار الذي حققته هذه اللغة الانجليزية ليس لما تمثله من علوم وفنون وآداب وفلسفة، وإنما لارتباطها بالمدّ الاستعماري الذي امتد من أمريكا إلى الهند وإلى بقاع كثيرة من العالم. فلو كان الأمر يتوقف على الإنجاز العلمي المعرفي والثقافي، لكان ثمة لغات أوربية أجدر منها بالانتشار كاللغة الفرنسية والألمانية على سبيل المثال لا الحصر. يضاف إلى ذلك أن العلم والمخترعات الحديثة في مجالات عديدة لم يكن وفقاً على بلد بعينه بل كان مُشاعاً بين أكثر من بلد، وليس التعبير عنه محتكراً للغة واحدة من اللغات مهما كان المدى الذي بلغته في انتشارها المؤقت.

إن الفكرة التي يقوم عليها كتاب "مونتغمري" ليست سوى انعكاس للاهتمامات المُسيّسة التي تجتاح العالم، وتتنافى مع الموضوعية وحيادية البحث العلمي، فهي جزء لا يتجزأ من الحملة التي تشنها العولمة للسيطرة على العالم اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، ولن يتحقق لها ذلك بسهولة ويسر إلاّ بواسطة لغة موحدة ووحيدة، لا تكون تصوراً عن العلم وأبحاثه فحسب، وإنما هي تصوّر عن مشاعره واهتماماته اليومية بوصفه إنساناً معولماً، يدور في تلك الهيمنة "السوقية" نسبة إلى السوق. وأية مشاركة علمية أو ثقافية للبشر ينبغي أن تحتويها هذه اللغة العالمية الواحدة التي أثبتت على حد ما ذهب إليه المؤلف وجودها وسعة انتشارها، مع اعترافه الملتوي بدورها في تخريب بعض اللغات، ودورها في العمل على انحسارها، وهو الاعتراف الذي جاء منه على شكل سؤال هو: "هل يجب علينا الإقرار بأن الإنجليزية يمكن أن تكون الطرف المذنب في الجرائم الكبيرة لعملية القتل اللغوي أو حتى الإبادة اللغوية"¹

إن ما طرأ على العالم في العصر الحديث من تطور، لا يمنع أن تحتفظ الشعوب المختلفة بلغاتها وثقافتها، وأن تقيم - من خلال الترجمة - جسوراً للتواصل المستمر بين هذه اللغات

¹ المرجع نفسه، ص 26.

..... الترجمة إلى العربية في زمن الرواد المعاصرين

والثقافات، وما يقال عن انحسار بعض هذه اللغات، إنما ينطبق على لغات شفاهية لا موروثة لها ولا تمتلك أية إضافات إبداعية معاصرة، أما اللغات التاريخية ذات الموروثات الثقافية والعلمية فمن الصعب، بل من المستحيل أن تَضمّر أو تغادر موقعها، ذلك أنها لغاتٌ مفتوحة وقادرة على استيعاب ثقافات الآخر عن طريق الترجمة التي أصبحت الآن أكثر من ميسورة وممكنة. وبالنسبة للعربية، وهي واحدة من ست لغات معترف دولياً بعالميتها، فلا ينقصها في حقل الترجمة سوى المشروع القومي، الذي يقوم على قواعد علمية ثابتة لا يجعل من الترجمة علماً وفناً فحسب، بل هدفاً واضحاً خاضعاً للتخطيط والاجتياح. وهو ما يؤكد مسؤولية الأنظمة الحاكمة ودورها في الإشراف والمتابعة على ترجمة العلوم النوعية من ناحية، والثقافية من ناحية ثانية. وإذا كانت مصر العربية قد سعت إلى إيجاد مثل ذلك المشروع، وكانت قد قطعت شوطاً في هذا المضمار من خلال أنشطة المؤسسات الخاصة والعامة، تلك التي نجحت في ترجمة الموسوعات العلمية والمصطلحات الطبية، وما قدّمه مشروعُ الألف كتاب، دليلٌ قوي على ذلك، فإن تبدل الظروف والانشغال بالسياسة قد أوقف هذا الجهد المشكور إلى حين.

كما لا يمكن تجاوز ما أسهمت به سورية والعراق ولبنان والكويت والمغرب من ترجمات علمية وأدبية، وصلت ذروتها في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، ثم بدأت في التراجع تحت وطأة الصراعات السياسية التي أسقطت كل المشاريع الهادفة، علمية كانت أو اقتصادية أو ثقافية، وسيكون من الصعب في ظل هذه الظروف الراهنة على غير مصر العربية أن تحقق المقاصد المرجوة من الترجمة، مع ضرورة أن تجد عوناً كافياً ومؤازرة من بقية الأقطار العربية، القادرة منها على وجه الخصوص. وقد قيل الكثير عن الصراع الدائر مع أعداء الأمة العربية العربية، هل هو صراع حضاري وفكري بالدرجة الأولى؟ على أنه لن يقوم فكر لأمة من الأمم أو ينتصر لقضاياها إذا لم يخرج من عزلته ويتواصل مع آراء الآخرين وأفكارهم، وهذا ما وعاه رواد حركة النهوض العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر، وظهرت ثمرته بوضوح في عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته وأربعينياته، بفضل كوكبة الرواد الذين لم يتجشّموا عناء الترجمة، ويُحسِنوا النقل من اللغات الأخرى إلّا بعد أن

أجادوا لغتهم، وتمكنوا من امتلاك قواعدها.

من هذه الكوكبة التي تعد نموذجاً في هذا المجال ثلاثة أعلام بارزون هم: الدكتور طه حسين، والدكتور عبد الرحمن بدوي، والدكتور زكي نجيب محمود. والحديث عن طه حسين ودوره في محيط الترجمة يقتضي بحثاً موسعاً ومعقفاً، فقد أثرى الحياة الفكرية والأدبية العربية بما ترجمه من آثار اليونان في الفكر والأدب، ومن آثار الفرنسيين في الإبداع والفكر والفلسفة والفنون. وفي كتابه "قادة الفكر" وقد خصّ به الفلاسفة والمفكرين اليونانيين والرومانيين، كما في كتابه "نظام الأثينيين" الذي قدم فيه صورة شاملة عن نظام "أثينا" والإصلاح السياسي والاجتماعي الذي شهدته تلك المدينة في عصرها الذهبي، ومبدأ الديمقراطية والأحزاب، والانتخابات ونظام الطبقات. وكان طه حسين في الكتابين المشار إليهما مؤلفاً ومترجماً في آن واحد، وكانت له آراؤه وملاحظاته وانتقاداته، ولكن ذلك كله لا يلغي أنه كان في كثير مما ينقله مترجماً دقيقاً وأميناً، ويمكن إدراج كتابه "من الأدب التمثيلي اليوناني" في هذا السياق. أما ترجمات طه حسين عن الفرنسية، فقد كانت أوسع وأشمل، فقد قرأ لنا نماذج مختارة من الروايات والقصص والمسرح، وحدثنا عن "جان بول سارتر"، و"البيركامو" في وقت مبكر من العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، وقبل أن يولد المترجمون الشباب الذي أقاموا الدنيا وأقعدوها، وكأنهم اكتشفوا هذين المبدعين؛ كما حدثنا في بداية الأربعينيات عن عدد من شعراء فرنسا، من أبرزهم الشاعر "بول فاليري" الذي وصفه بعقل فرنسا المفكر وقلبها النابض.

وفي كتابه "ألوان" زادّ وفير للقارئ بما ترجم فيه عن المفكرين والفلاسفة والمبدعين، كما في حديثه عن الفيلسوف العاشق "أوغست كونت" مؤسس الفلسفة الوضعية وواضع علم الاجتماع. وكعادته يجمع طه حسين بين الحديث عن فكر الفيلسوف والمبدع وحياته لينتقل القارئ من الإحاطة بالعوامل والمؤثرات التي كانت سبباً في نجاح هذا المفكر أو ذلك المبدع، وهو أسلوب فريد من الترجمة لم يشاركه فيه أحد ممن ترجموا أعمال كبار المبدعين والمفكرين. وفي كتابه هذا "ألوان" فصل عن حياة الكاتب الأمريكي الأسود "ريتشارد درايت"

..... الترجمة إلى العربية في زمن الرواد المعاصرين

مستمد من كتاب يتحدث فيه هذا الكاتب صاحب "كوخ العم توم" عن حياته ومعاناته، قبل أن يأخذ طريقه إلى الكتابة ومنها إلى الشهرة الواسعة. لقد كان طه حسين يعرف ماذا يترجم وكيف يترجم، فاهتم بالفكر السياسي والاجتماعي؛ اهتمامه بالإبداع في مستوياته العالية. وحين أعود بين حين وآخر إلى طه حسين في ترجماته الفريدة بلغتها وموضوعاتها أتحسر على الأجيال التي وفدت إلى الجامعات بعد الرواد، ولم تحسن الاقتداء بهم والتعلم منهم.

كان لطه حسين أسلوبه الجميل في ترجمة ما يقرأه، فكراً كان هذا الذي يقرأه أو أدباً، يتمثله أولاً، ثم يقدمه إلى القارئ شارحاً وموضحاً وأحياناً موجزاً أو معتذراً عن هذا الإيجاز وهذه الإطالة. وفي كتاب "قادة الفكر" يضع بين يدي القارئ في مجال حديثه عن "سقراط" المقدمة الآتية: "بين يدي الآن كتاب ظهر في هذه الأيام، موضوعه تاريخ الفكر اليوناني لأستاذ من علماء الفرنسيين هو المسيو "ليون روبان"، وليس هذا الكتاب الضخم القيم أول كتاب ظهر في هذا الموضوع، ولن يكون آخر كتاب، بل ليس هو الكتاب الوحيد الذي ظهر في هذه الأيام من نوعه، وإنما هناك كتب كثيرة ظهرت، وتظهر وستظهر في هذا الموضوع، لأن الأدبيين يتخذون هذه القاعدة قانوناً لهم، وهي أن ليس إلى فهم الحياة الحديثة على اختلاف وجوهها من سبيل إلا إذا فهمت مصادرها الأولى، ومصادرها الأولى هي الحياة اليونانية من جهة والرومانية من جهة أخرى، أو قل هي الحياة اليونانية، لأن حياة الرومان كانت من أكثر وجوهها متأثرة بالحياة اليونانية"¹.

ولا أخفي أنني اخترت هذه الفقرة المطولة من الكتاب لما تشير إليه من أن الأوربيين مجمعين على أنه لا يمكن فهم حياتهم الحديثة إلا في ضوء مصادرها الأولى، وهو ما ينفعنا نحن العرب، والفهم لا يعني التقليد والتكرار والمحاكاة، وإنما استمرار التواصل وعدم القطيعة لما يترتب على ذلك، إن حدث، من غربة واستلاب.

ثاني الرواد في دنيا الترجمة العميقة هو المفكر الدكتور عبد الرحمن بدوي أحد طلاب

¹ د. طه حسين، المجموعات الكاملة، المجلد الثامن، علم الاجتماع: قادة الفكر، ص 208.

الدكتور طه حسين، وفي طليعة من تأثروا باهتماماته، وإن اختلف أسلوب كل منهما عن الآخر، كما طريقة حياتهما. قد تخصص الدكتور بدوي في الفلسفة، وكانت دراساته في البداية مقصورة على دراسة الفكر العربي والفلاسفة العرب قبل أن يتجه إلى الترجمة، ويشغل نفسه وقرأه بما يكتبه ويترجمه عن فلاسفة الغرب، وأصحاب الفكر الوجودي خاصة، حتى وصل به الحال إلى اعتناق الوجودية، والتبشير بها في مصر قبل أن يبدأ الجيل الجديد من المترجمين الشبان الاقتراب من هذا الفكر وترجمة بعض الأعمال الفكرية والأدبية لرواده، وكان كتابه "الوجود والعدم" وهو يجمع بين الترجمة والتأليف عملاً ضخماً، وجهداً بالغ الأهمية قل نظيره في الجهود التي قدمتها الأجيال الجديدة. كما لم يقتصر اهتمامه على الفلسفة، فقد كان من أوائل من ترجموا نماذج من الشعر الألماني والإنجليزي، وهي ترجمات وجدت عند ظهورها تقبلاً واهتماماً من الشعراء في مصر والوطن العربي، وقد حرص على أن ينشرها في مجلة "الرسالة" التي كانت تجمع تحت لوائها الأدباء العرب المشاركة والمغاربة، وتعمل جاهدة على تعميق المشاعر الثقافية الواحدة.

أما ثالث هؤلاء الرواد، فقد كان الدكتور زكي نجيب محمود، وهو كسلفه من الذين تلقوا المعرفة الجامعية على يدي طه حسين، وبرغم تخصصه الفلسفي، فقد كان على صلة وثيقة بالأدب، وقد ساعدته لغته العربية، المتينة نسبياً التي تلقاها في كلية الآداب، على تعدد أنشطته المترجمة في الأدب وفي الفلسفة، وكما كان كتابه الموسوم بـ "قصة الفلسفة" ترجمة راقية لأعلام الفلسفة في الغرب، كان كتابه "قصة الأدب في العالم" موسوعة توجز أهم الإنجازات الأدبية العالمية في عرض يجمع بين التأليف والترجمة، وهي السمة التي التزمها هذا الجيل من الرواد الذين حرصوا في ترجماتهم، على أن يقدموا للقارئ العربي خلاصات وافية عن كل ما يروونه مفيداً ونافعاً لثقافتنا العربية، ودافعاً إلى تطويرها والخروج بها من قبضة التقليد ومحاكاة القدماء.

إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة

أ. سعيدة خيرة بن عمار
قسم العلوم الإنسانية
جامعة مستغانم - الجزائر

الإشكالية

نتيجةً للتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الحاصلة في العالم اليوم، وهيمنة دول الشمال على دول الجنوب وعولمتها في جميع المجالات خاصة المعرفية منها، صارت الدول العربية بحاجة ماسة إلى ترجمة كل ما يصدر عن الدول الغربية من تراث وإنتاج معرفي حتى تتمكن من مواكبة العصر ومسايرة الركب الحضاري والمعرفي والعلمي.

فغالباً ما تتجه هذه الدول غير المنتجة للمعرفة والعلوم إلى ترجمة الرصيد المعرفي الغربي، فالترجمة تعتبر نشاطاً لا بدّ منه لاستمرار عملية التواصل والتعارف البشري، وباعتبارها كذلك وسيلة للمثاقفة والنقل الحضاري العام بين الأمم، وكذا لما لها من أهمية في تطوير البحث العلمي ومساهماتها في تقارب وجهات النظر وتحديد وتصحيح مسار ومستقبل الدراسات على المستوى المحلي والعالمي.

ومن بين المجالات الهامة اليوم في العلوم الإنسانية، والتي هي بحاجة أكثر إلى الترجمة مجال علوم الإعلام والاتصال الذي يعتبر حقلاً جديداً وخصباً في ميدان العلوم الإنسانية ما زالت الأبحاث قائمة فيه حتى الساعة، وذلك نتيجة تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال وظهور ما يسمى بالإعلام الجديد من مواقع للتواصل الاجتماعي، وكذا تسابق الدول الغربية

إلى الاهتمام بكل أنواع وأشكال الاتصال التي ظهرت مع هذه التكنولوجيات، وكذا جميع التغيرات النفسية والاجتماعية التي تحدثها هذه التكنولوجيات في الفرد والمجتمع.

مع اتجاه دول العالم العربي إلى استعمال هذه التكنولوجيات والتأثر بها صار الباحث العربي بحاجة إلى ترجمة ما تنتجه الدول الغربية من أبحاث ودراسات في هذا الميدان، لكن انقسام دول العالم العربي إلى المشرق العربي والمغرب العربي أثر في حدوث انقسام أيضاً على مستوى الترجمة بفعل اتجاه كل دولة إلى ترجمة ما تنتجه الدولة الغربية التي تتبعها هذه الدولة العربية. فنجد اتجاه دول المشرق العربي إلى ترجمة ما ينتج عن الدول الأنجلوسكسونية، في حين تتجه دول المغرب العربي إلى الاهتمام بالإنتاج الفرانكفوني وترجمته، وطبعاً هذا راجع لعوامل تاريخية سياسية استعمارية.

هذا الانقسام في التوجه أحدث تبايناً واختلافاً في الرصيد المعرفي والثقافي المترجم إلى العربية بين الاتجاهين الشرقي والمغربي، وأثر هذا جلياً في البحث العلمي العربي في علوم الإعلام والاتصال، لما أصبح يواجهه الباحث العربي من صعوبات في توحيد استعماله للمصطلحات، وخاصة الباحث المغربي الذي يعاني دائماً من نقص المراجع في هذا الحقل، ومن ثمّ يتوجه إلى الإنتاج المعرفي المشرقي الذي لا يجد فيه ما يتوافق مع معارفه البحثية الإعلامية والاتصالية.

ويمكن تحديد هذه الإشكالية في سياق التساؤلات التالية:

- فيمَ تكمن أهمية الترجمة في البحث العلمي؟.
- ما هي الصعوبات والمشاكل التي تواجه الترجمة إلى العربية؟.
- ما هي المصطلحات الإعلامية المترجمة التي تعرف اختلافاً بين دول المشرق العربي والمغرب العربي؟.

تشكل هذه الأسئلة الناظم الإشكالي لمقالتنا هذه، كما تشكل المحور الأساسي لهذه المداخلة حيث سنقوم بمحاولة تقديم إجابات واضحة عن أبعاد هذه الإشكالية.

1. في مفهوم الترجمة

تعتبر الترجمة نشاطاً إنسانياً وفعالاً ثقافياً وُجِدَ بوجود الإنسان، ولها أهمية بالغة في الحياة الإنسانية باعتبارها تساعد على تعارف الأمم والحضارات وتقارب وجهات النظر بينها، كما تساهم في خلق طريق للاتصال بين الشعوب وكذا المساعدة على استمرارية هذا التواصل بينهم.

أ. **التعريف اللغوي للترجمة:** مادة الترجمة ترجع إلى الفعل الرباعي "ترجم" وهو بمعنى بيان الكلام وتوضيح معانيه وجعله بسيطاً ويسيراً مفهوماً، فتكون الترجمة بمعنى التوضيح والتفسير والتبيين، نقول ترجم كلام غيره أو عن غيره بمعنى نقله من لغة إلى أخرى، والترجمان هو المفسر للسان، نقول ترجم يترجم ترجمة. كما أن للترجمة معنى يفيد السيرة والحياة، نقول ترجمة فلان بمعنى سيرته الذاتية وجمعها تراجم.¹

أما بالنسبة للتعريف الاصطلاحي للترجمة فهو: "نقل معاني نص من لغة إلى لغة أخرى مع مراعاة الدقة والأسلوب، ويتطلب ذلك فهم النص الأصلي والتعبير عن المحتوى والأسلوب بلغة أخرى، فال مترجم يجب أن يتقن اللغتين المترجم منها والمترجم إليها".²

إضافة إلى هذا التعريف يجب المحافظة في الترجمة على روح النص المنقول، "فإذا كانت الكلمات هي التي تشكل اللبّات التي يتكون منها البناء اللغوي، فإن القواعد اللغوية هي القوالب التي تصاغ فيها الأفكار والجمل وروح المترجم وأسلوبه في التعبير ومواهبه الكامنة فيه

¹ حسن لحسانة، دور الترجمة في تطوير البحث العلمي في الاقتصاد الإسلامي ومساهمتها في تقارب وجهات النظر وتحديد مسار مستقبل دراسات الاقتصاد الإسلامي العالمي، ص 429،

<http://www.kantakji.com/fiqh/Files/Research/op23.pdf>

² محمد زكي خضر، اللغة العربية والترجمة الآلية (المشاكل والحلول)، مؤتمر التعريب الحادي عشر، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، الجامعة الأردنية، عمان، 16-12/10/2008، ص 2.

وخلفيته الثقافية هي التي تميز الترجمات المختلفة لنفس النص".¹

ب. الترجمة في مدلولها الثقافي والحضاري: الترجمة عمل ثقافي ينتج عنه ثقاف طويل الأمد على صعيد الأفراد والجماعات وهي تعبر عن أبعاد حضارية قابلة للتعميم والانتشار نتيجة تفاعل الثقافات في إطار من العلاقات المبنية على التبادل الثقافي الحر والإبداعي بين مختلف الشعوب والقوميات، فالترجمة عامل مساعد في عملية التثاقف بين الشعوب كما تسهل عملية التفاعل بين الأفراد والجماعات.

2. تاريخ الترجمة

يعود تاريخ الترجمة إلى تاريخ الوجود البشري، فالإنسان لطالما كان بحاجة إلى الترجمة نتيجة المبادلات والنشاطات التجارية التي كانت قائمة قديماً، فأى حضارة لا يبدأ تكوينها من لا شيء، بل تعتمد على مخلفات الحضارات السابقة، ولذا فهي دائماً بحاجة إلى الترجمة وذلك نتيجة اختلاف الألسن البشرية وتتنوعها.

قام هذا النشاط الكثيف (الترجمة) خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين بدور رائد في المحافظة على نتائج الثقافة القديمة الإغريقية تحديداً، ونقل هذه الثقافة من الشرق إلى الغرب وقد أسهمت بصورة أساسية في تكوين عصر النهضة في أوروبا وبتعبير أكثر دقة في تطور الحضارة الكوكبية الحديثة.

أجمع الباحثون على أن موضوع الترجمة لم يعرف انطلاقة فعلية حقيقية إلا إبان العصر العباسي في بغداد من طريق الفرس، برعاية الخليفة المأمون، الذي أنشأ بيت الحكمة وكان يكافئ المترجمين ورزّن ما يترجمون ذهباً، وقتها ازدهرت الترجمة خاصة في القرنين الثاني والثالث للهجرة، فكان انتشار هذه المنظومة في العصر العباسي. وقبل ذلك كانت المرحلة

¹ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، الترجمة (المبادئ والتطبيقات)، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط 2006، 2، ص7.

..... إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة

الأولى من بداية خلافة الخليفة المنصور عام (753م) إلى نهاية خلافة هارون الرشيد (909م) وتميزت بترجمة كتب الطب والفلك، ثم المرحلة الثانية (893م-913م) وتميزت بترجمة كتب الرياضيات والفلسفة والمنطق ثم المرحلة الثالثة وكانت بدايتها عام (913م) وتميزت بترجمة الكتب في مختلف العلوم والفنون والآداب.¹

كان المنطق الإغريقي يُعَرَّب في بادئ الأمر من الفارسية ثم السريانية قبل أن يترجم مباشرة من اليونانية. وقد كان عهد المأمون يعد العصر الذهبي للترجمة في الإسلام فتمت ترجمة بعض مؤلفات أفلاطون وأرسطو وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة والأدباء. وترجع أسباب ازدهار الترجمة في هذا العصر إلى اختلاط العرب بالأعاجم وسكان العراق والشام ومصر، حيث ظهرت حاجة الدولة والمجتمع والأفراد إلى علوم الطب والفلك والحساب وغيرهم، فمالوا إلى نقلها ممن سبقهم من الأمم ووجدوا في ترجمتها إلى العربية إعجاباً بها وحرصاً على معرفتها². فنتيجة اهتمام العرب بالعلوم حينها تم اللجوء إلى الترجمة، وما ساعد على ذلك هو ما قام به الخليفة المأمون من تشجيع وتحفيز للمترجمين ومكافأتهم مادياً حيث أصبحت الترجمة تمارس فردياً أو ضمن فريق عمل.

ومن أبرز هؤلاء المترجمين "حنين بن اسحق" الملقب بمعلم المترجمين في الإسلام والذي هيمنت مدرسته على الساحة طوال القرن التاسع ميلادي، وترجم غالبية النصوص عن اليونانية³. كان حنين يترجم بنفسه ويشرف على جماعة تعمل بإرشاده حيث يذكر المستشرق مايرهوف أن حنيناً ترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتاباً وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين وأصلح ما ترجم تلاميذه وأصلح معظم الخمسين كتاباً التي كان قد ترجمها إلى السريانية جرجيس الراسعيني وأيوب الرهولي وسواهما من الأطباء المتقدمين

¹ فيصل حسين غوادرة، دور الترجمة بين الذات والآخر، <http://scholar.najah.edu/sites/scholar.najah.edu/files/conference-paper/summary-research-role-translation-between-self-and-other.pdf>

² شحادة الخوري، مرجع سابق ذكره، ص 191.

³ أحمد عثمان، الترجمة في التقاليد العربية، الجوبة، العدد 33، خريف 1432هـ، ص 10.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

ويعدد صاحب الفهرست مئة واثنني عشر كتاباً لجالينوس نقلها حنين وغيره من المترجمين إلى العربية.¹

ويمكننا القول إن مرحلة الترجمة مرت بمرحلتين كبيرتين:

مرحلة الترجمة غير المباشرة إذ كانت الفارسية واليونانية هما الوسيط ثم مرحلة الترجمة المباشرة، حين جرت ترجمة الكتب المكتوبة بالسكربتية واليونانية إلى العربية مباشرة ومن دون لغة وسيطة.

خلال النصف الثاني من القرن العشرين عرفت لبنان نشاط ترجمة مكثف في خدمة الصحافة والتعليم في المجال الأخير، وظهرت نخبة من المترجمين المكونين بصورة مثلى في الغرب وإلى جانب اللغتين الفرنسية والانجليزية استُعملت اللغة الإيطالية آنذاك من أجل التبادلات التجارية مع إيطاليا. غير أن اللغة العربية التي ركزت وتراجعت تحت السيطرة العثمانية عرفت تطوراً جديداً بفضل الترجمة عن اللغات الأوربية إذ ظهرت آنذاك حركات تطالب بضرورة تشجيع الكلام بها كلغة رسمية.

3. أهمية الترجمة

للترجمة أهمية كبيرة في حياة الإنسان والأمم والحضارات فهي تعتبر نشاطاً معرفياً علمياً، وُجد بوجود الإنسان واللغة وما زال قائماً إلى اليوم. فهي تعتبر عملية نقل لنصوص ومعانٍ وأفكار من لغة إلى لغة أخرى، عدا هذا فهي تعتبر أداة للحوار والتواصل والتثاقف بين الأمم والشعوب.

ويمكننا حصر هذه الأهمية في العناصر التالية:

- الترجمة هي وسيلة لتبادل الثقافات والمعارف والعلوم وإتاحة الفرصة لشعوب الأرض كافة

¹ شحادة الخوري، مرجع سابق ذكره، ص 197.

..... إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة

للتواصل الثقافي والحضاري¹ من طريق اطلاع كل واحدة منها على أفكار وآراء ووجهات نظر الأخرى، ومن ثم تفتحها على ثقافة الآخر، وهذا ما يساعد على التقارب وتوطيد التواصل الإنساني والتحاور الحضاري، كما تساعد الأمم على تأكيد ذاتها أمام الآخر والعكس، فالترجمة وسيط مهم وفاعل في عملية المثاقفة بين الحضارات، وما من لغة خلت من تأثير أو تأثر بأخرى على امتدادها التاريخي بصرف النظر عن مراحل الازدهار والركود في مؤشر الترجمة.²

- الترجمة هي عمل ثقافي ينتج عنه تناقف طويل الأمد على صعيد الأفراد والجماعات وهي تعبر عن أبعاد حضارية قابلة للتعميم والانتشار نتيجة تفاعل الثقافات في إطار من العلاقات المبنية على التبادل الحر بين مختلف الشعوب والقوميات.³

- الترجمة تمثل حركة أخذ وعطاء وتبادل في جميع المجالات بإتاحة اللقاء بين الثقافات والتفاعل بينها، وللترجمة أهمية كبيرة في تحقيق التقدم الحضاري والاقتصادي والاجتماعي وقد باتت نشاطاً مؤسسياً يومياً في حياة الأمم والشعوب الراقية يؤثر في كل أعمالها وخططها.⁴

كما تمثل الترجمة وسيلة حاسمة في تعميق علاقات التواصل مع العالم المتقدم وفي توسيع دوائر الحوار التي تؤدي إلى امتلاك مفردات العصر ولغاته، وتجسيد الهوية الفاصلة بين المتقدم والمتخلف والسبل إلى فتح آفاق جديدة من وعود المستقبل الذي لا حد لإمكانياته وعلامة الانتساب إلى الحضارة العالمية في تنوعها الخلاق. لذلك أصبحت درجة التقدم تقاس

¹ فيصل حسين غوادرة، مرجع سابق ذكره، ص 173.

² ملاك الخالدي، الترجمة الوسيط التاريخي الأبرز في عملية المثاقفة، الجوبة، العدد 33، خريف 1432هـ، ص 24.

³ حسن لحسانة، مرجع سابق ذكره، ص 430.

⁴ بسمة أحمد صدقي الديجاني، دور الترجمة في حوار الحضارات (تجارب رائدة تركت أثراً بارزاً في المجتمع المتلقي)، <http://scholar.najah.edu/sites/scholar.najah.edu/files/conference-paper/role-translation-dialogue-civilization-pioneering-experiences-remarkable-influences-recipient-societ.pdf>

بدرجة ازدهار حركة الترجمة في هذه الأمة أو تلك، كما تقاس بشمول هذه الحركة في تعدد مجالاتها التي تصل الحاضر بالماضي في التطوع إلى المستقبل.

- هي فعل معرفي وثقافي وحضاري وجهته المصالحة مع الذات والتقريب بين الشعوب والتعايش فيما بينها، هي جسر للتواصل بين الشعوب والحضارات على مرّ التاريخ تعزز التلاقي والتلاحق الحضاريين، وترعى التقارب الثقافي بين الشعوب وتدحض الصدام وتدعم الحوار والتبادل الثقافي بين أمم الأرض وتسهل التواصل بين الأمم وتفتح النوافذ على الثقافات الأخرى للشعوب الأخرى.¹

- إغناء الثقافة العربية بمعطيات الثقافات الأخرى بما ابتدعه رجال الفكر في العالم من آراء ونظريات وأفكار غيرت مسارات الحضارة البشرية أو أثرت بها وما أوجده رجال العلم والأدب والفن من آثار ومؤلفات وأبحاث قيمة ولاسيما في مضمار العلوم الجديدة والتقنيات المعقدة التي صارت سمة هذا العصر ووسيلة مجارة التطور المادي والاجتماعي فيه.²

4. مشاكل الترجمة

يتميز العصر الذي نعيشه بالانفجار المعرفي والتدفق السريع للمعلومات، وهذا ما يُظهر هنا دور الترجمة وأهميتها في نقل هذا التراث المعرفي من حضارة إلى أخرى أو من الدول المنتجة إلى الدول المستهلكة، فالترجمة نشاط علمي معرفي يساعد على عملية المتأقفة فهي: (ليست عملية نقل ألفاظ لغة إلى ألفاظ لغة أخرى، إنما هي عملية نقل معنى مفهوم إلى نفس المعنى المفهوم في لغة أخرى، ومن هنا تبدو الترجمة عملية تحتاج إلى جهد وبصيرة نافذة).³ وحتى تكون الترجمة سليمة واضحة ودقيقة يجب توفر بعض الشروط في المترجم

¹ المرجع نفسه، ص 17.

² شحادة الخوري، مرجع سابق ذكره، ص 43.

³ عبد المجيد شكري، فن الترجمة الإعلامية في وسائل الاتصال الجماهيري، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2004، ص 31.

..... إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة

كضرورة إتقانه للغة المترجم منها والمترجم إليها وكذا معرفته الكافية بالمجال الذي يترجم منه، والترجمة هنا ليست مسألة نقل نص من لغة إلى أخرى وإنما نقل ثقافة النص أيضاً حتى لا يصبح هناك خلل في المعنى، وكذا مراعاة للسياق الذي وجد فيه النص، ولذا يمكننا القول: (إن الترجمة ليست مجرد نقل نص من لغة أولى إلى لغة ثانية بل هي نقل حضاري من حضارة أولى إلى حضارة ثانية...) ¹.

ومع ذلك هناك دائماً بعض المشاكل تواجه الترجمة كترجمة المصطلح الواحد بألفاظ متعددة لاختلاف الخلفيات المعرفية للمترجمين مع غياب التنسيق بينهم وعدم الضبط في التعريف، وخاصة بالنسبة للغة العربية. والاختلاف في الترجمات يعود إلى أن هناك أكثر من ترجمة لنص واحد، وتختلف فيما بينها في طرق ترجمتها حرفية كانت أو معنوية، والاختلاف في الأخطاء النحوية بل في أساليب التعبير وطرق التصحيح التي تشمل تصحيح النحو وترجمة لفظ بلفظ أو عبارة بعبارة أو فقرة بفقرة. ²

أ. اختيار المعنى الملائم Selecting proper meaning

يجب أن نضع في الاعتبار دائماً أن ما نسعى إليه في الترجمة هو التوصل إلى حرفية (عمق) المعنى، وليس الحرفية من حيث الشكل وعلى ذلك يجب علينا في الترجمة التوصل إلى المضمون.

هناك بعض الكلمات التي لا تقبل الترجمة من منظور ترجمة الكلمة، بمعنى أنه توجد بعض الكلمات في اللغة الانجليزية التي لا تقبل اللغة العربية ترجمتها بكلمة واحدة مقابلة، وعلى سبيل المثال كلمة "privatization" قد وضعت لها عدة ترجمات في اللغة العربية

¹ أحمد إبراهيم وآخرون، التأويل والترجمة (مقاربات لآليات الفهم والتفسير)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص27.

² حسن حنفي، مرجع سابق ذكره، ص 50.

"الخصخصة" أو التخصيص" أو "التخصيصية" وهذه ترجمات غير دقيقة للكلمة.¹

ب. ترجمة النصوص

- تعدد الترجمات للنص الواحد: ويعود وجود أكثر من ترجمة لنص واحد ربما إلى عدم وجود تنسيق بين المترجمين في المجال الواحد للنص الواحد، وأحياناً قد يعجز المترجم عن إيصال المعنى الدقيق لأي مفردة في النص ويرجع هذا للأسباب التالية: أن كل لغة تحمل في طياتها العديد من المرادفات التي تختلف في معانيها اختلافاً طفيفاً بعضها عن بعض، كما أن كل لغة تنتمي إلى ثقافة معينة، ولذا قد ينقل المترجم الكلمة إلى لغة أخرى ولكن لا يستطيع أن ينقل ثقافة هذه الكلمة بشكل فعال بحيث ينقل تصور صاحب الكلمة الأصلية إلى اللغة المستهدفة في الترجمة، كما تتميز كل لغة بتراكيب وقواعد خاصة بها، وعدم وجود مقاييس واضحة لنقل التراكيب يمثل عائقاً آخر في الترجمة.²

- تنوع النصوص المترجمة: مما يزيد في صعوبات الترجمة تنوع النصوص المترجمة بين الأدبية والعلمية، وتشمل النصوص الأدبية كل ما هو نثر أو شعر أو قصيدة أو مسرحية... إلخ وكل ما يكتب بأسلوب أدبي أو يحمل طابع الأدب، أما النصوص العلمية فتشمل ترجمة كل كتب العلوم الأساسية التي لها طابع علمي بحت، مثل كتب الرياضيات والفيزياء والكيمياء... الخ.

وتنوع النصوص يتطلب أيضاً تنوعاً في طبيعة عمل المترجم الذي يجب أن يكون

¹ ماجد سليمان دوديني، دليل المترجم الصحفي والإعلامي (الترجمة الصحفية والمصطلحات الإعلامية)، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009، ص 139.

² الترجمة عند العرب (تاريخها ومشاكلها وأنواعها)، جريدة السبيل، تموز 2011، <http://www.assabeel.net/>
%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%82/48311%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A
C%D9%85%D8%A9%D8%B9%D9%86%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D
8%A8%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE%D9%87%D8%A7%D9%88%D9%8
5%D8%B4%D8%A7%D9%83%D9%84%D9%87%D8%A7%D9%88%D8%A3%D9%86%D9
%88%D8%A7%D8%B9%D9%87%D8%A7.html

..... إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة

متخصصاً. أما في المجال الأدبي أو العلمي، فالمترجم الأدبي غايته جمالية في حين نجد أن المترجم العلمي يسعى إلى نقل المعلومات وإلى الموضوعية والتزام الدقة المتناهية والأمانة في التعبير عن الفكرة التي يريد توصيلها.

وهنا تظهر الحاجة إلى التخصص في الترجمة وفي طبيعة عمل المترجم. والتخصص في مجال معين أمرٌ ضروريٌ وهذا لما تتوفر عليه العلوم المختلفة من كم هائل من المصطلحات ولهذا تظهر هنا الحاجة دائماً إلى إيجاد ما يقابل تماماً كل مصطلح في لغة معينة في اللغة المترجم إليها.

- "فالمترجم مهما بلغت درجة ثقافته لا يمكن أن يكون متخصصاً بجميع المواضيع لذا يجب عليه أن يبحث عن المعلومات التي تنقصه بالتوثيق في المجال الذي يعالجه النص، وفي لغتي الأصل والهدف ليكتشف كيفية الحديث عنه، وليفهم بمعنى آخر النص الأصل من جهة والمصطلحات والتراكيب اللازمة لإنتاج الترجمة من جهة".¹

- ترى سيلفيا غاميرو بيريز: "أن النصوص المتخصصة تتميز أساساً باستعمال ما يسمى لغات التخصص، وتحدد خمسة مستويات من المهارات يجب أن يتمكن منها المترجم المحترف وهي معلومات حول المجال الموضوعاتي، وامتلاك المصطلحات الخاصة والقدرة على الاستنتاج المنطقي، وتعرف أنواع النص وأجناسه والقدرة على اكتساب الوثائق".²

- وفي محاضرة للدكتور أنتوني كالدربانك في نادي المنطقة الشرقية الأدبي، تحدث فيها عن صعوبة ترجمة الأعمال الأدبية شعراً ونثراً، استشهد بالبيت القائل: "وأمرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد"، فبالرغم من جمال هذا البيت فإنه يفقد كل

¹ محمد أحمد طجو، الترجمة: أنواع... نظريات... صعوبات،

http://www.aleflam.net/index.php?option=com_content&view=article&id=587:2011-04-02-17-08-43&catid=39:2010-01-06-18-09-05&Itemid=70.

² الموقع نفسه.

تلك الهالة الجمالية إذا ترجم إلى لغة أخرى¹ ولذا الترجمة الأدبية هنا حسب رأيه تحتاج إلى أهل التخصص، فإن كان النص المراد ترجمته شعراً وجب أن يكون المترجم شاعراً وإن كان النص المراد ترجمته رواية وجب أن يكون المترجم روائياً... الخ، إلا أنه هناك من يُعارض هذه الفكرة ويرى العكس، أي إن المترجم الأدبي له حرية أكثر في التعامل مع النص الذي بين يديه كأن يحذف شيئاً هنا ويضيف شيئاً هناك، على العكس من ذلك نجد أن المترجم العلمي ملزم بالتقيد بالنصوص التي يترجمها، فالتزام الدقة المتناهية شرط من شروط الترجمة العلمية.

ج. التساوي Equivalence

إن مسألة التساوي هي مسألة معقدة في الترجمة حيث يرى الكثير من علماء اللغة والترجمة أنه من الصعب تساوي النصوص في ترجمتها من لغة المصدر إلى لغة الهدف، مع مراعاة المعنى والشكل والسياق والقيمة الاتصالية.

حيث يرى كاتفورد أنه يشترط لحدوث التساوي في الترجمة... أن تكون للنصوص في اللغتين - لغة المصدر ولغة الهدف - صلة وثيقة بملامح ذلك الموقف" ويميز بين ملامح الموقف التي لها صلة بالناحية اللغوية وبين تلك التي لها صلة بالناحية الوظيفية للموقف أي المتعلقة بالوظيفة الاتصالية للنص في موقف معين.²

في حين أننا نجد يوجين نايدا ينادي بالتساوي الديناميكي Dynamic equivalence وحتى يصل المترجم إلى هذا المستوى يجب أن يعطي أولوية للمعنى بدلاً من الشكل والأسلوب، ويبحث نايدا التساوي في الترجمة وفقاً لأولويات أربع وهي:
أ. أولوية التساوي السياقي على التماسك اللفظي.

¹ حسن السبع، بعض مآزق الترجمة، الجوبة، العدد 33، خريف 1432هـ، ص42.

² أحمد موقت، علم اللغة والترجمة (مشكلات دلالية في الترجمة من العربية إلى الإنجليزية)، دار القلم العربي، حلب، 1997، ص 145.

..... إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة

ب. أولوية التساوي الديناميكي على التوافق الشكلي.

ج. أولوية الصيغة المسموعة على الصيغة المكتوبة.

د. أولوية الصيغ التي هي في قيد الاستعمال على تلك الصيغ التي تمتاز بصفتها التقليدية.

ويناقش بوبوفيك مسألة التساوي على أهمية مفهوم التبديل والتحويل الذي يعتبر الترجمة نوعاً من التحويل الرمزي Semiotic Transformation ويعتبر هذا التحويل بمثابة تفسير عملي لعبارة نايدا (التساوي الديناميكي) إلا أن عبارة بوبوفيك تؤكد حقيقة أن هدف المترجم هو تحقيق "الهوية المعبرة" Expressive identity الموجودة في نصوص كل من لغتي المصدر والهدف.¹

أما ليفيفر فيؤكد أهمية القيمة الاتصالية Communicative value فهو يرى أن ترجمة الأدب تتعلق بصورة رئيسية بإيجاد توافق بين قيمة اتصالية وقيمة اتصالية أخرى ويعرف القيمة الاتصالية بأنها: "مقدرة المترجم على قياس عناصر الزمان والمكان والتقاليد الموجودة في كل من لغتي المصدر والهدف" وهنا يركز ليفيفر الاهتمام على العناصر التاريخية والجغرافية والسياقية الموجودة في النص.

وترى سوزان بسنيت مكغواير أن مسألة التساوي في الترجمة يجب أن لا ينظر إليها على أنها البحث عن التشابه التام لأنه لا يمكن أن يوجد تشابه تام حتى بين مترجمين لنص واحد في لغة الهدف فالأحرى إذن أن لا يوجد تشابه تام بين نصوص المصدر ولغة الهدف.²

د. الاختلاف الثقافي أو البيئي: (الفروق الثقافية)

Cultural or environmental differences

تشكل الفروق الثقافية التي تتباين بين النصوص المترجمة من لغة المصدر إلى لغة الهدف هي الأخرى عائقاً آخر في عملية الترجمة، فكيفية إيجاد معاني بعض الكلمات التي لا توجد

¹ المرجع نفسه، ص 146.

² المرجع نفسه، ص 147.

في ثقافة أو بيئة معينة، ويرتبط هذا الموضوع بمشكلة عدم قابلية الترجمة Untranslatability تلك الكلمات من اللغة المصدر إلى اللغة المنقول إليها، وأحد الحلول المقترحة لعلاج مثل هذه المشكلة أن نلجأ إلى أسلوب Transliteration أي كتابة الكلمة في اللغة المنقول إليها حسب طريقة نطقها في اللغة المصدر.¹

هـ. استعمال الكلمة Word usage

يعتبر السياق في اللغة العربية المحدد الأساسي لطبيعة الأسلوب الذي نتحدث به بمعنى ما إذا كان عامياً أو فصيحاً، أما في اللغة الانجليزية فتتمثل إحدى الصعوبات التي تواجهنا في الترجمة الإنجليزية في كيفية تحديد نوع الكلمة من حيث طبيعة الاستعمال (رسمي/غير رسمي).²

و. استحالة الترجمة untraslatability

يرى العالم اللغوي أ. داف أن النص في لغة المصدر قد يتضمن كلمات وعبارات تمثل "ملاح ثقافية في لغة المصدر ليس لها ما يقابلها في لغة الهدف، أو أنها قد تكون موجودة إنما بشكل مختلف ولهذا فإن "بعض المعاني الدلالية قد تضيع أثناء الترجمة.

ويميز العالم اللغوي كاتفورد بوضوح أكثر بين ما أسماه استحالة الترجمة "اللغوية" واستحالة الترجمة "الثقافية"، فالأولى ترجع إلى الفروق اللغوية بين لغة المصدر ولغة الهدف، على حين تحدث الثانية حين تكون إحدى الملاح الدالة على الموقف أو الحال Feature situational والتي هي لازمة من الناحية الوظيفية للنص في لغة المصدر، غير موجودة مطلقاً في الثقافة التي تكون لغة الهدف جزءاً منها، وهذه الناحية الثقافية أكدت أيضاً سوزان بسنت-ماكغواير فهي شيء يصعب ترجمته.³

¹ ماجد سليمان دوديني، مرجع سابق ذكره، ص 143.

² المرجع نفسه، ص 146.

³ أحمد موقت، مرجع سابق ذكره، ص 148.

..... إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة

ومن ناحية أخرى، يميز العالم اللغوي نيومارك بين الكلمات والتعبير الواردة في لغة المصدر والتي تعبر عن ظواهر مادية "Physical" وبين تلك التي تمثل مفاهيم عقلية "Mental"، ويرى أنه من الناحية النظرية فإن جميع الظواهر المادية قابلة للترجمة بصورة دقيقة، نظراً إلى أنها مادية وتنتمي إلى عالم المحسوس على حين نجد أن المفاهيم العقلية غير قابلة للترجمة لأنها مثالية وتخص فرداً معيناً.¹

ن. ترجمة المصطلح

إنَّ تَمَلُّكَ الدول الغربية المتقدمة للتكنولوجيات يجعلها أيضاً متملّكة للعلوم في شتى المجالات والاختصاصات، ولذا هي المنتج الأول والأخير للمصطلحات الحديثة في جميع العلوم خاصة حقل علوم الإعلام والاتصال الذي يعتبر حقلاً خصباً، والدراسات والأبحاث ما زالت قائمة فيه، وهذا ما جعل الدول العربية تابعة للدول الأجنبية. وحتى ميلاد أي مصطلح عربي أصبح يرتبط بميلاد المصطلح الأجنبي.

"فمعظم المصطلحات التي تظهر في العربية تكون ترجمة لمصطلحات أجنبية والمصطلحات التي تتم ترجمتها أو تعريبها لا تكاد تخلو من شوائب الغرابة وأحياناً عجمة التركيب، فباتت عبئاً على اللغة وأداة تشويه لسماتها، فالمصطلح العربي لا يزال ظلاً للمصطلح الأجنبي بل لا تزال صنعة المصطلح العربي لم تتخط مرحلة البحث عن المكافئات اللفظية للمصطلحات التي تقذف إلى ثقافتنا العربية كل لحظة".²

وأصبحت هذه المشكلة الرئيسية بالنسبة للمترجم المتخصص قائمةً وهي: عدم إيجاد ما يكافئ المصطلح في اللغة العربية، وإن وجد المصطلح المكافئ للمصطلح الأجنبي تظهر هنا مشكلة أخرى تتمثل في عدم توحيد استعماله و"تبقى مسألة التوحيد مسألة صعبة ونجد أن لدينا ترجمات متعددة للمصطلح الأجنبي الواحد وفقاً للغة المنقول عنها واختيار المترجم لصيغة

¹ المرجع نفسه، ص 149.

² <http://hosameldin.org/magazine/index.php/2012-04-03-12-51-57/186-2012-04-18-23-14-35>.

التعبير عن المصطلح، وذلك مرجعه انعدام التواصل بين المترجمين والاصطلاحيين وأهل الاختصاص¹.

ولهذا أصبحت ولادة المصطلح العلمي العربي رهينة بوجود المصطلح الغربي وأمسى تداول المصطلحات العربية والخطاب العلمي بين المختصين مرتبطاً بدرجة تمكن المتلقي من المصطلحات الغربية ومفاهيمها وهذا يَنمُّ على أمرين اثنين: (أولهما أن الجهاز المصطلحي العربي يكاد يكون غريباً في مفاهيمه وشبه عربي في صياغته، وثانيهما أن مهمة الفكر العربي ظلت منحصرة في محاولة استيعاب المفاهيم العلمية الغربية ونقلها إلى العربية في صورة قوائم مفردات جلّها معرب تعريباً صوتياً لا أقل ولا أكثر)².

5. تباين المصطلحات في علوم الإعلام والاتصال والعلوم المجاورة بين

المشاركة والمغاربة

ويرى الدكتور عبد السلام المُسدّي أن قضية اختلاف المصطلحات بين أقطار الوطن العربي عامة وبين مشرقه ومغربيه تخصيصاً ما انفكت تطرح من جهات نظر عديدة، إننا لنذهب إلى أن هذا الاختلاف منسوب إلى التنوع وأنه يتأسس على خصائص المنظومة الثقافية هنا أو هناك في الوطن العربي وفي كيفية اشتقاق المصطلحات وصياغتها، فتري أهل المشرق أكثر ميلاً إلى الحفاظ على جماليات اللغة حتى في وضع الألفاظ الدالة على الحقائق العلمية أما أبناء الجناح المغربي فتراهم أظهرَ جرأة على اللّغة، كأنهم من أنصار الاستعمال أكثر مما هم متعلقون بالمعيار وفيهم جمع غفير يتخطون عتبة الجمال في صياغة المصطلحات.

ومن مظاهر الاختلاف والتباين في اشتقاق المصطلح بين جناحي الوطن العربي استسهال المغاربة التوسل بآلية النحت. ولئن عُدَّ النحت من الوسائل التي تنمو بها لغة العرب فإننا نعتبر

¹ الموقع نفسه.

² محمد أحمد طجو، الموقع نفسه.

..... إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة

أنه الصق بروح اللغات الانضمامية كلغات الأسرة اللاتينية والجرمانية والأنجلوسكسونية، ففيها يجري توليد الكلمات بضم الألفاظ بعضها إلى بعض أو بانتزاع اللفظ الجديد من بعض أجزاء الألفاظ المتعاملة. أما العربية فذات طبيعة اشتقاقية لذلك كان النحت حدثاً طارئاً يعرض لها استثناء، وقد لجأت العرب إليه في حالات نادرة وقد كان قبول اللفظ الدخيل بعد صوغه بما يلاءم الأوزان العربية أهون على القدماء من اللجوء إلى النحت وخاصة إذا شذ عن الأوزان المطردة.¹

آ. نماذج من مصطلحات مختلفة بين المشاركة والمغاربة في علوم الإعلام والاتصال

سنحاول في هذا العنصر أن نحصر بعض المصطلحات الخاصة بحقل الإعلام والاتصال والعلوم المجاورة وتبيان الاختلاف فيها وفي ترجمتها وفي مفهومها بين المشاركة والمغاربة إذ يشهد حقل الإعلام والاتصال العديد من الاختلافات وعدم الضبط الدقيق للكثير من المصطلحات والمفاهيم بين المشاركة والمغاربة وبين الدولة الواحدة في حد ذاتها، وهذا ما سبب الكثير والعديد من العوائق والصعوبات للباحث سواء كان المغربي أو المشرقي في إنجاز بحوثه نتيجة تعدد الترجمات للمصطلح الواحد في اللغة العربية واختلاف ترجمته من بيئة إلى أخرى وهذا راجع لاختلاف مصدره.

- بين الإشهار والإعلان: لعل من أكثر المصطلحات تبايناً واختلافاً في حقل الإعلام والاتصال مصطلحا الإشهار والإعلان إذ نجد توجه المشاركة إلى استعمال الإعلان في أغلب المراجع والبحوث وتعريفه على أنه: "جهود غير شخصية ومدفوعة لعرض الأفكار والآراء وتفسيرها بجانب استعماله بشكل واضح في جهود ترويجية للسلع والخدمات من خلال وسائل الاتصال المختلفة معتمدة في ذلك على استمالة العواطف والغرائز بالدرجة

¹ عيد السلام المسدي، مصطلحاتنا بين المشرق والمغرب، <http://www.alriyadh.com/2005/04/07/article54342.html>

الأولى...¹.

على حين يعرف الإشهار بأنه: "مختلف نواحي النشاط التي تؤدي إلى نشر أو إذاعة الرسائل الإعلانية المرئية أو المسموعة أو المكتوبة على الجمهور بغرض حثه على شراء سلع أو خدمات من أجل استمالته إلى التقبل الطيب للأفكار أو أشخاص أو منشآت".²

فهنا نجد مفهوم التعريفين واحد إلا أن الاختلاف في تناول المصطلح متداول بين البحوث المشرقية والمغربية، ونتيجة لفقر المكتبة المغربية من المراجع في هذا المجال يجد الباحث المغربي نفسه مضطراً إلى الاعتماد على الكتب المشرقية ومع عدم ضبط المصطلح نجد اتجاه الكثير من الباحثين إما اعتماد مصطلح "الإعلان" كما هو مذكور في المراجع، أو استبدال كلمة الإعلان بالإشهار.

- بين التأثير والأثر: تتجه البحوث في الإعلام الاتصال إلى استعمال أكثر لمصطلح تأثير على مصطلح أثر وخاصة المشاركة إلا أنه ظهرت بعض الآراء تنادي بضرورة استعمال مصطلح "الأثر" مكان "التأثير" وهذا راجع لصعوبة قياس طبيعته ودرجته وتحديد مصدره بالضبط، حيث يعرف الدكتور السعيد بومعيزة الأثر بأنه "تلك العلاقة التفاعلية بين أفراد الجمهور ووسائل الإعلام، وتتميز هذه العلاقة من جانب وسائل الإعلام بمحاولة تكييف رسائلها مع خصائص الجمهور الذي تتوجه إليه... وليس بالضرورة التأثير فيهم لكي يغيروا شيئاً ما على المستوى المعرفي أو الوجداني أو السلوكي...".³

وبرغم هذه الإشارة إلى الفرق بين التعريفين فإنه هناك بعض البحوث تتجه إلى استعمال

¹ معمر ربوح، اتجاهات المستهلك الجزائري نحو الإعلان، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2009/2008، ص 95.

² أحمد بوخاري، دلالات المكان في الومضات الاشهارية التلفزيونية، الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 24.

³ السعيد بومعيزة، أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص 29.

..... إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة

التأثير وتقديم نفس التعريف الخاص بالأثر، أما التأثير: "فيعني التغيير الذي يمكن أن يحدثه التعرض للرسائل الإعلامية على الحالة النفسية أو الذهنية أو المعرفية أو الثقافية أو الاجتماعية، أو على بعضها أو عليها كلها".¹

- **بين التقرير والربورتاج:** يتجه المشاركة إلى استعمال مصطلح التقرير كنوع من الأنواع الصحفية الهامة والأكثر استعمالاً في مختلف وسائل الإعلام ويعرف التقرير بأنه: "مجموعة من المعارف والمعلومات عن الوقائع في سيرها وحركتها الديناميكية. فهو إذن يتميز بالحركة والحيوية والتقرير لا يقتصر على الوصف المنطقي والموضوعي للأحداث وإنما يسمح في نفس الوقت بإبراز الآراء الشخصية والتجارب الذاتية للمحرر الذي يكتب التقرير".²

أما تعريف التقرير عند المغاربة فهو: "سرد حدث (اجتماع، مؤتمر، مجلس) بواسطة صحفي ينتقل إلى عين المكان ويحكي، بدون تعليق ما كان شاهداً على وقوعه".³

وهنا يتضح لنا الفرق بين التعريفين كيف أن التعريف الأول يحكي عن دخول تجارب المحرر في تحرير هذا النوع الصحفي، وكيف أن التعريف الثاني يلغي ذاتية المحرر، ونجد أن التعريف الأول للتقرير أقرب إلى تعريف الربورتاج عند المغاربة حيث يعرف بأنه: "هو النوع الصحفي الذي يعتبر أكثر نبلاً، لا يكتفي فيه الصحفي بتقديم تقرير عن الواقعة لكنه يترك شخصيته وحساسيته تتدخلان في اختيار الأحداث، والسرد والمعالجة".⁴

- **بين الاستعمال والاستخدام:** يعنى بالاستعمال: "ذلك الفعل المتمثل في اختيار أفراد الجمهور

¹ علي قسايسية، **المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي**، الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص 42.

² فاروق أبو زيد، **فن الكتابة الصحفية**، عالم الكتب، القاهرة، 1990، ط4، ص135.

³ نصر الدين لعباضي، **اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ط2، ص 63.

⁴ نصر الدين لعباضي، مرجع سابق ذكره، ص 130.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

لوسيلة إعلامية دون أخرى وأن اختيارهم محدد بخلفياتهم الديمغرافية والسوسيو - نفسية والاقتصادية والثقافية، وهذه الخلفيات هي التي تحدد نوع الوسيلة التي يستعملونها أكثر من الوسائل الأخرى، وتتكون لديهم عادات استعمال متميزة بتميز خلفياتهم، مثل الوقت المفضل لاستعمال تلك الوسيلة أو الوسائل الإعلامية، والمدة الزمنية التي سيخصصونها لتلك الوسيلة وسياق الاستعمال ونمط المحتوى الذي يتعرضون له.¹

أما الاستخدام فيعرف بأنه: "عبارة عن الممارسات الاجتماعية التي تصبح عادية في إطار ثقافة معينة، من خلال الممارسة في النشاط نفسه إلى جانب عوامل الأقدمية المتعلقة بالفعل الممارس، إذ يكون التعامل مع الأشياء الرمزية أو الطبيعية مرتبطاً بتحقيق أهدافه محددة وتتعلق هذه الممارسة بالطابع الخاص الذي يضيفه الفرد أو الجماعة على الوسائل أو الأدوات...".²

عندما نتحدث عن مفهومي الاستعمال أو الاستخدام في دراسات علوم الإعلام والاتصال يحيلنا الأمر مباشرة إلى مقترح "الاستخدامات والإشباعات" ومن خلال اطلعنا على مجموعة من الدراسات، نجد اتجاه بعضها إلى تسمية المقاربة بـ "الاستعمالات والإشباعات" بدلاً من "الاستخدامات والإشباعات" وهذا لمطابقتهم مفهوم الاستعمال بمفهوم الاستخدام، لكن الاستخدام يشير إلى "نشاط اجتماعي يتم ملاحظته بسبب تواتره، ويتمثل استخدام شيء ما والاستفادة منه لغاية محددة أو تطبيقية لِسَدِّ حاجة ما، وفي دراسات الاستخدام يحيل إلى ممارسة كما يحيل إلى تصرفات أو عادات أو اتجاهات".³

- بين التصورات والتمثيلات: إذ نجد أن هناك اختلافاً في استعمال المصطلح الواحد بين

¹ السعيد بومعيزة، مرجع سابق ذكره، ص 30.

² صفاح أمال فاطمة الزهراء، استخدام الهاتف النقال لدى الطالب الجامعي، مستغانم، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مستغانم، 2010/2009، ص 21.

³ عبد الوهاب بوخنوفة، المدرسة التلميذ المعلم وتكنولوجيات الإعلام والاتصال، الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص 49.

..... إشكالية الترجمة في علوم الإعلام والاتصال بين المشاركة والمغاربة

المشاركة والمغاربة ولكن التعريف والمفهوم واحد فتعرف التمثلات على أنها: "يشير التمثل في علم النفس إلى الإدراك أي تلك الصورة الذهنية حيث محتواها يتعلق بموضوع أو مشهد من العالم الذي يعيش فيه الفرد، أن التمثل يعني إذن فعلاً جعلَ شيئاً ما محسوساً بواسطة شكل أو رمز أو علامة أو إشارة".¹

أما التصورات فتعرّف بأنها: "الرموز التي لها قيمة فكرية مشتركة ومعنى عاطفي لدى جميع أعضاء الجماعة وتعكس التصورات الجماعية تاريخ الجماعة أي تجاربها من خلال الزمن".²

خاتمة

في ظل هذه الاختلافات والتباينات بين مجموعة المصطلحات التي طرحت في مجال الإعلام والاتصال والحقول المجاورة نجد الباحث العربي في حيرة من أمره بين ما يوظف وما يختار، ومع ظهور حقل جديد للدراسات الخصبة ألا وهو حقل الإعلام الجديد، بدأت تظهر مجموعة مصطلحات أخرى جديدة تختلف وتتعدد أكثر عند ترجمتها أو تعريبها مع الحفاظ في بعض الأحيان على عجمة تركيبها كالنقرق بين ما هو رقمي والإلكتروني (إعلام رقمي، إعلام إلكتروني)، وما هو افتراضي ورقمي (الجامعة الافتراضية، الجامعة الرقمية)، وبين الشات والدرشة والمحادثة، وبين الكثير من المصطلحات التي أنتجت حسب إنتاج التكنولوجيات الحديثة في علوم الإعلام والاتصال وجب إذن الالتفات إلى هذا وتحديدتها تحديداً دقيقاً وواضحاً حتى يتاح استعمالها استعمالاً واحداً في جميع الأبحاث العلمية على مستوى الوطن العربي.

¹ عبد الوهاب بوخوفة، مرجع سابق ذكره، ص 42.

² أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات الإعلام (انجليزي-عربي)، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1991، ط1، ص 42.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

من أعلام الحضارة العربية الإسلامية

القيادة الإدارية في فكر الفارابي

د. أشرف صالح محمد سيد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة ابن رشد - هولندا

مقدمة

ترتبط نشأة القيادة بنشأة المجتمع البشري، إذ تمتد جذورها إلى الوقت الذي بدأ فيه التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات وانصهارهم في تنظيمات اجتماعية متعددة، وقد برز هذا الاهتمام في كتابات المفكرين والفلاسفة القدامى، وفي دراسات الباحثين المحدثين، وانعكس هذا في الصور التي مورست فيها القيادة على مرّ العصور، لذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون هناك اهتمام عالمي متزايد بالقائد الإداري الذي أصبحت ندرته من أهم المشكلات التي يواجهها الكثير من الدول وخاصةً النامية، فلم يكد الإنسان يتخلى عن تمدده، ويتخلص من هاجس التبعية التي طالما تخطت فيها المجتمعات لاسيما النامية منها، حتى برزت أهمية القيادة وتأثيرها علينا في كافة مناحي الحياة¹.

كان الإسلام هو أول مَنْ أوضح الحد الأدنى الذي تستوجبه القيادة الرشيدة حتى لا يستبد كل فرد برأيه أو أن يتصرف تبعاً لهواه². فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه

¹ محمد إبراهيم حسن محمد، القيادة الإدارية في المكتبات ومؤسسات المعلومات. القاهرة: المنظمة العربية للتممية الإدارية، 2010، ص 23.

² حمدي أمين، الفكر الإداري الإسلامي المقارن، القاهرة: دار الفكر العربي، 1973. (الكتاب الأول: الأصول العامة، ص 196).

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

قال: "لا يَحِلُّ لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمَّروا عليهم أحدهم"¹. وقال أيضاً: "إذا خرج ثلاثة في سفر فَلْيُؤمِّروا عليهم أحدهم"². وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية على هذين الحديثين بقوله: "فإذا كان قد أوجب الإسلام في أقلِّ الجماعات (ثلاثة أفراد) وأقصر الجماعات وفي سفر أن يتولى أحدهم، كان هذا تشبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك"³.

وعلى صعيد الفكر، حظيت القيادة باهتمام بالغ في الفكر الإداري الإسلامي الذي يعكس تراثه مدى تفوق هذا الفكر على أحدث الدراسات المتقدمة، فيؤكد ابن خلدون (732-808هـ) في مقدمته أن تنصيب الإمام (القائد) واجب، وقد عُرِفَ وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة، لأن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بادروا إلى مبايعة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذلك في كل عصر بعد ذلك، ولم يُترك الناس فوضى في عصر من العصور، واستمر ذلك دالاً على وجوب تنصيب الإمام القائد⁴. كما أكد الإمام الماوردي أن عقدها - أي القيادة - لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، وإن شذ عنهم الأصم⁵. وقد عبر الإمام الشاطبي عن هذا المعنى بقوله: "إن الناس لابد لهم من قائد يقودهم في الدين... وإلا وقع الهرج..."⁶.

¹ الإمام أحمد بن حنبل (ت. 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل/ ضبط وتعليق: أحمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، 1951. (ج10، الحديث 6647).

² الحافظ المنذري (656هـ)، مختصر سنن أبي داود، القاهرة: مطبعة أنصار السنة المحمدية، 1948. (ج3، الحديث 2496، الحديث 2497).

³ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (661-728هـ)، الحسبة في الإسلام، القاهرة: المطبعة السلفية، 1378هـ. ص 5.

⁴ ابن خلدون، المقدمة/ تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة: مجلة البيان العربي، 1958. ص 167 - 168.

⁵ الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، 1973، ص 5.

⁶ الإمام الشاطبي بن إسحاق، الاعتصام، القاهرة: مطبعة المنار، 1914، (ج2، ص 245).

1. حياة الفارابي

الفارابي، أبو نصر محمد (870-950م). وقد كُنِّيَ بأبي نصر مع أنه لم يتزوج ولم ينجب أولاداً. وهو فيلسوف عربي إسلامي لقب بـ "المعلم الثاني" نظراً لمكانته الكبيرة في الفلسفة ووفرة إنتاجه فيها ومتابعته لدراسات أرسطو وشرحه لنظرياته، فاعتبر أنه أكبر الفلاسفة من بعده، وأعظم شارح وموضح لأفكاره. ولما كان لقب أرسطو المعلم الأول، لذلك أُطلق على خليفته في عالم الفلسفة لقب "المعلم الثاني"¹. اشتهر بـ "الفارابي" نسبةً إلى موطنه الأول، فقد ولدَ في مدينة "وسيج" في مقاطعة "قاراب" وهي منطقة كبيرة وراء نهري سيحون وجيحون، تقع على جانب الفرع الأكبر لنهر "سيحون" في طرف بلاد تركستان².

يصعب تحديد السنة التي ولد فيها الفارابي، والراجح أنه ولد نحو سنة 259هـ الموافقة لسنتي (870-871م)، يستنتج من ذلك استنتاجاً مما ذكره المؤرخون في وفاته، فقد ذكر ابن خلكان أنه توفي سنة 339هـ (950-951م) بعد أن عاش ثمانين عاماً³. ويرى معظم المؤرخين أن الفارابي تركي الأصل، مسقط رأسه كان في مناطق بلاد التركستان، وهي بلاد ينتمي معظم سكانها إلى الشعب التركي. لقد لف الغموض طفولته الأولى، أما المراحل التالية من عمره فتظهر من سيرته أنه بعد بلوغه دور التعلم عكف في مسقط رأسه على دراسة

¹ وهناك رأي آخر أورده حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون"، ج3، طبعة لينبرغ 1830، ص 98 - 99: (إن مترجمي المأمون أتموا تراجم لا توافق ترجمة أحدهم ترجمة الآخر، فبقيت تلك التراجم هكذا غير محررة، بل أشرفت أن عفت رسومها إلى زمن الحكيم الفارابي، ثم إنه التمس منه ملك زمانه منصور بن نوح الساماني أن يجمع تلك التراجم، ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محررة، مهذبة، مطابقة لما هي عليه الحكمة، فأجاب الفارابي، وفعل كما أراد وسمي كتابه "التعليم الثاني"، فلذلك لُقّب بـ المعلم الثاني).

² روى ابن أبي أصيبعة: "أن أبا الفارابي كان فارسي الأصل، تزوج من امرأة تركية، وأصبح قائداً في الجيش التركي، وذكر أن الفارابي اشتغل بالقضاء في بلده قبل أن ينكب على دراسة الفلسفة". انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج2، ص 143.

³ ابن خلكان، وفيات الأعيان/ تحقيق: محيي الدين بن عبد الحميد محمد-. 1369هـ (ج5/ص681).

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

طائفة من مواد العلوم والرياضيات والآداب والفلسفة واللغات، وعلى الأخص اللغة التركية، وهي لغته الأصلية ثم اللغة الفارسية واليونانية والعربية¹.

خرج في سنة 310هـ من بلده قاصداً العراق، وقد بلغ الخمسين من عمره، فأتم دراسته التي بدأها مضيفاً إليها مواد أخرى كثيرة، فدرس في "حران" الفلسفة والمنطق والطب على يد الطبيب المنطقي "يوحنا بن حبلان"، ثم درس الفلسفة والمنطق على يد "أبي بشر متى بن يونس" في بغداد وكان من أشهر الباحثين في المنطق، ومن أشهر المترجمين للكتب اليونانية، كذلك درس في بغداد العلوم اللسانية العربية على يد "ابن السراج" وأتيح له فيها أيضاً دراسة الموسيقى، ولم يَعْهُ تقدمه في السن عن متابعة دراساته، فقد ذهب مذهب العلماء في عصره الذين كانوا يطلبون العلم باستمرار².

أكثر الفارابي من سفره طلباً للعلم ونشره، وسعياً للإحاطة بشؤون الجماعات، فتنقل من العراق إلى الشام في سنة 330هـ، واتصل بالأمير سيف الدولة الحمداني الذي أكرم وفادته، وقدر له علمه، فعاش في كنفه منقطعاً إلى التعليم والتأليف، وكان خلال إقامته في الشام ينتقل بين مدنها، ثم سافر إلى مصر في سنة 338هـ، ورجع منها إلى دمشق حتى توفي سنة 339هـ في شهر كانون الأول من سنة 950م³.

كان الفارابي في حياته منقشاً زاهداً، فلم يتزوج ولم يَفْتَنِ مالا، بل اكتفى بأربعة دراهم يومياً يقبضها من سيف الدولة الحمداني، وينفقها فيما يحتاج إليه من ضروري العيش، وقد بلغ من نقشه أنه كان يسهر الليل للمطالعة والتصنيف مستضيئاً بقنديل الحارس، لأنه لم يكن يملك قنديلاً خاصاً به، وأنه بقي على هذه الحال أمداً طويلاً. وقد أثر الفارابي العزلة والوحدة ليخلو

¹ أعلام ومفكرون/ تحرير: حكيم محمد سعيد- عمان: الأكاديمية الإسلامية للعلوم، 2000. ص 10.

² حسام الغرباوي، "الفارابي بين أفلاطون وأفلوطين"- مجلة مركز الدراسات الفلسطينية (جامعة بغداد)-ع16؛ كانون الأول 2012. ص 22.

³ اتفق القاضي صاعد، وابن أبي أصيبعة، والقفطي، وابن خلكان: أن الفارابي قد توفي في سنة 339هـ عن عمر بلغ الثمانين عاماً.

..... القيادة الإدارية في فكر الفارابي

إلى التأمل والتفكير، وكان طول مدة إقامته في دمشق يقضي معظم أوقاته في البساتين وعلى شواطئ الأنهار، فلا يكون إلا في مجتمع ماء أو مكان ما ظليل كثير الأشجار، حيث يؤلف بحوثه ويلتقي طلابه وزملاءه ومساعديه¹.

2. الإنتاج الفكري للفارابي

ترك الفارابي مؤلفات كثيرة يصعب حصرها وإحصاؤها، ولم يصل منها إلا القليل، لا يزيد عددها عن الأربعين رسالة، منها اثنتان وثلاثون رسالة بالعربية، وست رسائل مترجمة إلى العبرية، وترجمت رسالتان إلى اللاتينية. ومن رسائله الفلسفية الباقية: "الواحد والواحدة"، و"الجوهر"، و"الزمان"، و"المكان"، و"الخلاء"، و"معاني العقل"، و"عيون المسائل"، و"قصص الحكم". ومن أهم ما وصل من مصنفاته تلك التي تمثل شروحاً وتعليقات على مؤلفات أرسطو وشروحه وتعليقاته على مباحث كتاب "الأورغانون"، كذلك وصل من مؤلفاته في شؤون السياسة والاجتماع: "آراء أهل المدينة الفاضلة"، و"السياسة المدنية"، ومن مؤلفاته في الموسيقى كتاب "صناعة علم الموسيقى"، وله في إحصاء العلوم كتاب قيم كان موضع إعجاب من قدامى الباحثين ومحدثيهم، فقد عرّض كل علم عرّض الخبير بحقائقه².

ويُعدُّ الفارابي من أبرز شراح كتب أرسطو ومن أوائل مَنْ وضعوا الأسس للتصوير الفلسفي للسياسة³، فهو رائد للاتجاه السياسي الفلسفي، حيث يمثل حلقة الوصل بين الفكر الإسلامي والفلسفة اليونانية، فقد قدم فكراً سياسياً يُعلي من مكانة "العقل". ويُعدُّ الفارابي ومن بعده ابنُ سينا وابنُ رشد بمثابة الجسور الحضارية والفكرية التي تعرّف من خلالها مفكرو أوروبا في تلك الحقبة بالفكر اليوناني.

¹ ابن خلكان (ج2/ص21).

² حنا الفاخوري، وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر، 1963. ص 376.

³ محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993. ص 71

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

الجدير بالذكر؛ أن للفارابي العديد من الكتب التي شغلت معاصريه ومن بعدهم، ومنها¹:

- كتاب العقل والمعقول
- كتاب التوطئة في المنطق
- كتاب منطق الفارابي
- كتاب الجمع بين رأي الحكيمين
- كتاب الزمان
- كتاب جوامع السياسة
- شرح كتاب المجسطي لبطليموس
- شرح كتاب البرهان لأرسطوطاليس
- كتاب الجوهر
- كتاب المختصر الكبير في المنطق
- كتاب في النواميس
- كتاب الألفاظ والحروف
- كتاب المبادئ الإنسانية
- كتاب شرائط البرهان
- كتاب الخرافة الكبير
- كتاب العلم الطبيعي
- كتاب إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها
- رسالة في التنبيه على أسباب السعادة
- رسالة في ماهية النفس

ويهمنا في هذه الدراسة كتب "آراء أهل المدينة الفاضلة"، و"السياسة المدنية"، و"رسالة في السياسة"، والتي تُعدّ بحق من الكتب الأساسية التي تعالج الأفكار الإدارية المختلفة والمتعلقة بفلسفة الإدارة العامة ومضامينها المرتبطة بالسياسة العامة، والحكومة، ونظرية القيادة، والإدارة الاستراتيجية، وغيرها.

3. مفهوم القيادة الإدارية

يُعدّ مفهوم القيادة من المفاهيم المراوغة الصعبة المراس بحيث يصعب تعريفه على نحو يرضى الجميع، مع أن جميع الأفراد يعتقدون أنهم يدركون أبعاده². وفي الواقع إن موضوع القيادة من الموضوعات المتداخلة التي يتقاسمها تخصصات عدة من أبرزها مجالات الدراسات

¹ محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، القاهرة: مؤسسة هندلوي للتعليم والثقافة، 2013. ص 38-40.

² Stephens, Denise & Russell, Keith, Organizational Development and Leadership, Change, and the Future of Libraries. -Library Trends. - Vol. 53, No. 1 (Summer 2004).- P. 249.

..... القيادة الإدارية في فكر الفارابي

الإدارية والسلوكية، ويمكن اقتفاء أثر مثل هذا التداخل ليس فقط في الإنتاج الفكري الغربي ولكن أيضاً في الإنتاج الفكري الشرقي لاسيماً الإنتاج الفكري الصيني الرصين الذي تم تأليفه على مدار ألف عام مضت¹.

وتتعدد التعريفات التي تفسر القيادة وتوضحها بوصفها أحد أهم العناصر الإدارية، فهناك مَنْ يرى أنها: "عملية التأثير في الآخرين لتوجيه جهودهم لتحقيق أهداف الجماعة"، وهناك مَنْ يرى أنها "استعمال القوة لإحداث نوع من التأثير في الغير"²، ويرى البعض أن القيادة هي: "القدرة على التأثير في سلوك أفراد الجماعة والتنسيق بين جهودهم لبلوغ الغايات المنشودة"، وينظر الكثيرون إلى القيادة على أنها مرادفة للتأثير، ومن ثَمَّ فإن التأثير بالنسبة للقائد هو أكثر السمات أهمية على الإطلاق. ويذكر أن القيادة هي عملية الوصول إلى ما في داخل أعماق المرؤوسين بهدف استخراج أفضل ما لديهم، والذي ربما لا يكونون على علم بوجوده في مكنون شخصياتهم، ويعمد القادة إلى تشجيع أتباعهم على الوصول إلى الأهداف التي قد تكون بعيدة المنال بالنسبة إليهم³.

4. القيادة في فكر الفارابي

من الراجح أن أكثر الأفكار الإدارية وضوحاً عند "أبو نصر" هي تلك المفاهيم المتعلقة بالقيادة، باعتبارها فن التأثير في الآخرين، فإن هذه الوظيفة "القيادة" هي أساس كل تنظيم، ولا تقوم المنظمات إلا بوجود القادة⁴. يتناول الفارابي موضوع القيادة من زوايا متعددة، ففيما يتعلق بأهمية وضرورة القيادة يعتقد الفارابي أن من أهم وظائف المدينة الفاضلة (التنظيم

¹ Kouzes, James M. & Posner, Barry Z., The Leadership Challenges.- San Francisco: Jossey – Bass, 2002.- P. 30.

² هند عبد الرحمن آل عروان. الإدارة العلمية للمكتبات ومراكز المعلومات ومدى تطبيقها في الأقسام النسائية بمؤسسات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003. ص 89.

³ Covey, Stephen R., the 8th Habit: from Effectiveness to Greatness.- New York: Free Express, 2004.- PP. 122, 217.

⁴ Mondy, R. and R. Premeaux., Management.- Boston, U.S.A.: Houghton Mifflin, 1995. P.90.

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

الناجح) وأكبرها خطراً هي وظيفة الرئاسة (القيادة). ذلك أن رئيس المدينة أو قائدها إنما هو منبع السلطات العليا التي يقف على رأسها، وهو المثل الأعلى الذي تتحقق فيه جميع معاني الكمال وهو مصدر حياة المدينة ودعمها وتنظيمها¹، إذ لا يمكن للمدينة في نظر الفارابي أن تكون صالحة عادلة إذا هي لم تخضع لقيادة²، حتى إن انتقاده الأول كان للمدينة الجماعية وهو أنها³: "لا رئيس فيها ولا مرؤوس". والأمر مختلف فيما يتعلق بالمدينة الفاضلة لأنها تحتاج إلى إدارة وتنظيم وإلى مَنْ يوجه الناس نحو الرأي والعمل الصائب، وإنما يتأتى ذلك بقيادة تمكن تلك الأفعال والملكات في المدينة أو الأمة، أي (التنظيم) مهما كان حجمه أو طبيعته⁴.

كما يشير الفارابي إلى أن القيادة أمر وشرط لازم سابق حتى على وجود المدينة (التنظيم) ذاتها، إذ إنه يجب أن يكون فيها عضو رئيس سمّاه أو شَبَّهه بالقلب، وأن رئيس المدينة على حد قول الفارابي⁵ يكون هو أولاً ثم يكون هو السبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها. أي أن يبنى التنظيم ومكوناته.

وفي مجال القيادة أيضاً من الراجح أن الفارابي هو أول الفلاسفة الذين فسروا الأصول النظرية للقيادة وأرجعها إلى عوامل فطرية أو مكتسبة، وهو ما يقابل في الدراسات المعاصرة نظرية السمات والنظرية السلوكية⁶، إذ تركز النظرية الأولى على أبرز السمات والعوامل التي تجعل أشخاصاً دون غيرهم قادة، أما النظرية الثانية فتحدد التصرفات الواجب اتباعها للقيادة الفاعلة⁷. وبهذا الشأن يقول الفارابي¹: "إن الرئاسة إنما تكون بشيئين، أحدهما أن يكون بالفطرة

¹ أنير أنور شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي: دراسة تاريخية تأصيلية"، المجلة العربية للإدارة، المجلد (32)، ع1، يونيو (حزيران) 2012. ص 10.

² عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة السياسية عند الفارابي، بيروت: دار الطليعة، 1997، ص 85.

³ الفارابي، كتاب السياسة المدنية، تونس: سيراس للنشر، 1994، ص 92.

⁴ بنعبد العالي، الفلسفة السياسية، ص 85.

⁵ الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1959، ص 96.

⁶ شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 10.

⁷ Robbins, P., Management.- New Jersey, U.S.A.: Englewood Cliffs, 1994. P. 496

..... القيادة الإدارية في فكر الفارابي

والطبع معداً لها، والثاني بالهيئة والملكة الإرادية". وبذلك يشير الفارابي إلى أنه ليس في وسع كل إنسان أن يكون رئيساً (قائداً)، لأن الرؤساء ليسوا كذلك بالإرادة فقط، ولكنهم قادة بالطبع والملكات التي يحملونها أيضاً².

وقد تكلم الفارابي عن القيادة الموقفية بتقديمه لنموذج القيادة الجماعية في حال تعذر وجود القائد المثالي الذي يجمع بين الخصال الفطرية والمكتسبة، حيث يقول: "إن خلت المدينة من رجل متصف بهذه الصفات (المكتسبة) فكانت موزعة بين عدة أشخاص، الواحد منهم حكيم، والآخر محب للعدل، والثالث يكون له جودة استنباط، والرابع يكون له جودة رؤية، والخامس يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأولين، والسادس يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب، وكان أولئك الرجال متلائمين، كانوا هم الرؤساء الأفاضل³.

1.4 الصفات الفطرية في القائد

والراجح أن الفارابي كان من أنصار نظرية السمات في بداية الأمر⁴، فهو القائل: "والرياسة تكون وتحصل لمن فطر بالطبع عليها"⁵. وليس هذا وحسب، بل إن العناصر التي وضعها لصفات القائد هي صفات أو سمات بمعنى الكلمة، وهي أقرب منها إلى الفطرة والطبع، إذ يرى فيلسوفنا أن كل عضو من أعضاء المدينة الفاضلة لا يصلح أن يكون رئيساً

¹ الفارابي، المدينة الفاضلة، ص 101

² مصطفى سيد أحمد صقر، نظرية الدولة عند الفارابي: دراسة تحليلية تأصيلية لفلسفة الفارابي السياسية. المنصورة: مكتبة الجلاء الجديدة، 1989. ص 75.

³ موسوعة الإدارة العربية الإسلامية، القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2004. (المجلد الثاني، ص 272 - 274).

⁴ شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 11

⁵ الفارابي، المدينة الفاضلة، ص 101.

لها، بل إن رئيس المدينة هو أكمل إنسان أو عضو فيها¹. أما هذه الصفات أو الخصائص فقد حددها الفارابي بالآتي²: (أن يكون تام الأعضاء - أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له - أن يكون جيد الحفظ لما يراه ولما يسمعه ولما يدركه - أن يكون جيد الفطنة ذكياً - أن يكون حسن العبارة، يؤتية لسانه على إبانة كل ما يضره - أن يكون محباً للتعليم والاستفادة، منقاداً له - أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح - أن يكون محباً للصدق وأهله مبغضاً للكره وأهله - أن يكون كبير النفس محباً للكرامة - أن يكون الدرهم والدينار وسائر أغراض الدنيا هينة عنده - أن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله ومبغضاً للجور والظلم وأهلها - أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل).

هذه هي صفات الرؤساء الأفاضل والتي بهم تتحقق السعادة وينالها أفراد المدينة الفاضلة، والناس الذين يدبرون برئاسة هذا الرئيس هم الناس الفاضلون والأخيار والسعداء، وإن كانوا أمة فتلك هي الأمة الفاضلة³، بما معناه أن هذه هي صفات القيادة الفاعلة والتي بها تتحقق وتنجز الأهداف من قبل التنظيم الذي يرأسونه، والأفراد الذين يعملون أو يدارون تحت لواء هذه القيادة هم الناس الناجحون حتماً، والتنظيم الذي يرأسه هو التنظيم الناجح والفاعل⁴.

2.4 الصفات المكتسبة في القائد

لقد أدرك الفارابي أن مثل هذه الصفات أو السمات من الصعب تحقيقها في شخص ما في وقت من الأوقات، وأشار الفارابي إلى ذلك بالقول⁵: "وإن اتفق أن لا يوجد مثله في وقت من الأوقات أخذت الشرائع والسنن التي شرعها هذا الرئيس وأمثاله". وهذا يعني أنه يُفعل دور

¹ محمد جلال شرف؛ وعلي عبد المعطي محمد، خصائص الفكر السياسي في الإسلام وأهم نظرياته، الإسكندرية: دار الجامعات المصرية، 1975. ص 260.

² الفارابي، المدينة الفاضلة، ص 101.

³ الفارابي، كتاب السياسة المدنية، ص 68.

⁴ شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 12.

⁵ الفارابي، المدينة الفاضلة، ص 107.

..... القيادة الإدارية في فكر الفارابي

النظرية الثانية من نظريات القيادة، تلك التصرفات الواجب اتباعها للقيادة الفاعلة، أي أنه عمل على وضع شروط إرادية هي أقرب إلى المعايير السلوكية منها إلى السمات أو الخصائص¹، تلك هي²: (أن يكون حكيماً - أن يكون حافظاً للشرائع التي دبرها الأولون - أن يكون له جودة الاستنباط فيما لا يحفظ عن السلف في الشريعة - أن يكون له جودة ورؤية وقوة استنباط لما سبيله أن يعرف في وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث التي تحدث مما ليس سبيلها أن يسير بها الأولون - أن يكون له جودة إرشاد للقول إلى شرائع الأولين وإلى التي استنبطت بعدهم ممن احتذى فيها حذوهم - أن يكون له جودة ثبات ببذنه في مباشرة أعمال الحرب).

ولقد أطلقت تسمية الرئيس الثاني أو الرؤساء الثواني على القادة الذين يتمتعون بهذه الصفات، أي الذين ينطلقون من النظرية السلوكية في القيادة³، ولقد أسهب وأطنب الفارابي لاحقاً في مؤلفاته الأخرى في الكلام عن التفصيل بالآليات السلوكية اللازمة لهذه القيادة، إذ خصص في مؤلفه "رسالة في السياسة الشرعية" فصلاً فيما ينبغي أن يستعمله المرء مع رؤسائه، وفيما ينبغي للمرء أن يستعمله مع أكفائه، وفيما ينبغي أن يستعمله مع مَنْ هو دونه⁴، كل ذلك في سبيل خلق وبناء القيادة الفاعلة والناجحة في التنظيم أيّاً كان.

3.4 مراتب القيادة:

ومن الإشارات المهمة فيما يخص مفهوم القيادة عند الفارابي أيضاً هو إيمانه باختلاف مستويات القيادة وفاعليتها، وربما كان لذلك ما هو مرتبط بإيمانه بصعوبة وجود القائد الأمثل،

¹ صقر، نظرية الدولة، ص 78.

² الفارابي، المدينة الفاضلة، ص 107.

³ شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 12.

⁴ الفارابي، رسالة في السياسة الشرعية: مجموعة رسائل، تحقيق: محمد حسن الشافعي، وأحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003. ص 67 - 76.

وكذلك ما هو مرتبط بتصوره عن الشكل الهرمي للمدينة الفاضلة (التنظيم الناجح والفاعل)¹، فيقول الفارابي في هذا الشأن²: "إنه ليس في قوة كل إنسان أن يرشد غيره، وليس في قوة كل إنسان أن يحمل غيره على الأشياء التي يريد، ومن لم يكن له القدرة على أن يُنهض غيره نحو شيء من الأشياء أصلاً ولا أن يستعمله فيه، وكان إنما له القدرة على أن يفعل أبداً ما يرشد إليه، لم يكن هذا رئيساً أصلاً ولا في شيء، بل يكون مرعوساً أبداً وفي كل شيء. ومن كانت له قوة على أن يرشد غيره إلى شيء ما ويحمله عليه أو يستعمله فيه فهو رئيس في ذلك الشيء على الذي ليس يمكنه أن يفعل ذلك الشيء من تلقاء نفسه، ولكن كان إذا أرشد إليه وعلمه فعله، ثم كانت له قدرة على أن ينهض غيره نحو ذلك الشيء الذي علمه وأرشد إليه ويستعمله فيه، كان هذا رئيساً على إنسان ومرعوساً من قبل إنسان آخر، والرئيس قد يكون رئيساً أولاً وقد يكون رئيساً ثانياً، فالرئيس الثاني هو الذي يرأسه إنسان ويرأس هو إنسان آخر، والرئيس الأول على الإطلاق هو الذي لا يحتاج ولا في شيء أصلاً أن يرأسه إنسان".

وبذلك يقسم الفارابي القيادة إلى مراتب ثلاث؛ (العليا) تلك التي تصدر الأوامر ولا تتلقاها من أحد في التنظيم، و(الوسطى) تلك التي تتلقى وتصدر الأوامر في الوقت نفسه، و(الدنيا) تلك التي تتلقى الأوامر وحسب، وهذا يتفق مع أحدث الكتابات المعاصرة في مجال نظرية التنظيم والقيادة³، وهذا التقسيم الواضح لمستويات القيادة نراه يتكرر بشكل متلازم كلما استدعت الفكرة لذلك، وأن الأفراد في تنظيمه يقسمون إلى رؤساء وأكفاء ومرعوسون، وأنه في كل تنظيم لابد من وجود هذه الرتب⁴.

¹ شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 12.

² الفارابي، كتاب السياسة المدنية، ص 66.

³ شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 13.

⁴ الفارابي، السياسة الشرعية، ص 60.

الاستنتاج

- من خلال ما تقدم من عرض يمكن استنتاج أهم مساهمات الفارابي في الإدارة، وهي:
- بين مبدأ التسلسل الرئاسي كمبدأ من مبادئ التنظيم حين قال بأن المدينة الفاضلة لها رئيسها ويكون تحته "مراتب رئاسات تتحط عن الرتبة العليا قليلاً إلى أن تصير مراتب الخدمة التي ليس فيها رئاسة ولا دونها مرتبة أخرى".
 - حدد سمات القيادة المثالية بنوعين: فطرية ومكتسبة، "ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق" فإن الرئاسة إنما تكون بشيئين: أحدهما يكون بالفطرة والطبع معداً لها، والثاني بالهيئة والملكة الإرادية.
 - ذكر الفارابي اثنتي عشرة خصلة للقيادة تكون بالفطرة، وهي أن يكون القائد: تام الأعضاء، جيد الفهم والتصور، جيد الفطنة وذكياً، حسن العبارة، مجداً للتعليم، غير شره على المأكول والمشروب، محباً للصديق، ومبغضاً للكذب، كبير النفس ومحباً للكرامة، يهون عليه الدرهم والدينار، محباً للعدل ومبغضاً للجور، عدلاً غير صعب القياد، قوي العزيمة على ما يجب عمله.
 - ذكر الفارابي ست خصال مكتسبة في القائد وهي: أن يكون حكيماً، وعالماً بالشرائع والسنن، له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف، وله جودة استنباط لما يعرف من الأمور والحوادث الحاضرة، وله جودة رشاد بالقول إلى شرائع الأولين، وله جودة ثبات ببذنه في مباشرة الحروب.

خاتمة

لقد ظهرت أهم الدراسات التي أثرت في الفكر الإداري الإسلامي في عصر انحلال الدولة الإسلامية مستهدفة تقويم الفساد الإداري الذي استشرى في سائر أرجائها، وإرشاد المسؤولين إلى ما ينبغي عمله في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية. وتحفل المخطوطات الإسلامية بالتراث الفكري في مختلف مجالات الإدارة، سواء منها ما يتعلق بدراسات

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

متخصصة في موضوعات معينة كالإدارة الحكومية والإدارة المكتبية والإصلاح الإداري، أو ما يتعلق بمدارس فكرية اجتماعية وسلوكية ومثالية¹. فقد سبقنا علماء الإدارة في الغرب إلى الإشارة بل والإشادة في دراساتهم الحديثة للفكر الإداري وأطواره برواده من المسلمين أمثال الفارابي، الذي أشاد به عالم الإدارة الأمريكي "كلود جورج" لتحليله صفات القيادة الفاضلة²، فقال عنها في كتابه تاريخ الفكر الإداري "يا لها من قائمة نموذجية للسماة اللازمة للمديرين المعاصرين".

¹ أشرف صالح محمد، "الإدارة المكتبية عند الرواد المسلمين"، مجلة الوعي الإسلامي (الكويت)، ع590؛ أغسطس 2014. ص 88.

² حمدي أمين عبد الهادي، الفكر الإداري الإسلامي والمقارن، القاهرة: دار الفكر العربي، 1990، ص236.

..... القيادة الإدارية في فكر الفارابي

المصادر والمراجع

- ابن خلدون، المقدمة/ تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة: مجلة البيان العربي، 1958.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان/ تحقيق: محي الدين بن عبد الحميد محمد، 1369هـ (ج5).
- أنور شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي: دراسة تاريخية تأصيلية"، المجلة العربية للإدارة، المجلد (32)، ع1- يونيو (حزيران) 2012.
- أشرف صالح محمد، "الإدارة المكتبية عند الرواد المسلمين"، مجلة الوعي الإسلامي (الكويت)، ع590؛ أغسطس 2014.
- أعلام ومفكرون/ تحرير: حكيم محمد سعيد، عمان: الأكاديمية الإسلامية للعلوم، 2000.
- الإمام أحمد بن حنبل (ت. 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل/ ضبط وتعليق: أحمد شاکر، القاهرة، دار المعارف، 1951. (ج10).
- الإمام الشاطبي بن اسحاق، الاعتصام، القاهرة: مطبعة المنار، 1914. (ج2).
- الحافظ المنذري (656هـ)، مختصر سنن أبي داود، القاهرة: مطبعة أنصار السنة المحمدية، 1948.
- حسام الغرباوي، "الفارابي بين أفلاطون وأفلوطين"، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية (جامعة بغداد)، ع16؛ كانون الأول 2012.
- حمدي أمين عبد الهادي، الفكر الإداري الإسلامي والمقارن، القاهرة: دار الفكر العربي، 1990.
- حنا الفاخوري، و خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر، 1963.
- شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (661 - 728هـ)، الحسبة في الإسلام، القاهرة: المطبعة السلفية، 1378هـ.
- عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة السياسية عند الفارابي، بيروت: دار الطليعة، 1997.
- الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1959.
- الفارابي، رسالة في السياسة الشرعية: مجموعة رسائل/ تحقيق: محمد حسن الشافعي، وأحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.
- الفارابي، كتاب السياسة المدنية، تونس: سیراس للنشر، 1994.
- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، 1973.
- محمد إبراهيم حسن محمد، القيادة الإدارية في المكتبات ومؤسسات المعلومات، القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2010.
- محمد جلال شرف؛ وعلي عبد المعطي محمد، خصائص الفكر السياسي في الإسلام وأهم نظرياته،

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

- الإسكندرية: دار الجامعات المصرية، 1975.
- محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993.
 - محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013.
 - مصطفى سيد أحمد صقر، نظرية الدولة عند الفارابي: دراسة تحليلية تأصيلية لفلسفة الفارابي السياسية. المنصورة: مكتبة الجلاء الجديدة، 1989.
 - موسوعة الإدارة العربية الإسلامية، القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2004. (المجلد الثاني).
 - هند عبد الرحمن آل عروان. الإدارة العلمية للمكتبات ومراكز المعلومات ومدى تطبيقها في الأقسام النسائية بمؤسسات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003.
 - Covey, Stephen R., the 8th Habit: from Effectiveness to Greatness, New York: Free Express, 2004, PP. 122, 217.
 - Kouzes, James M. & Posner, Barry Z., The Leadership Challenges, San Francisco: Jossey – Bass, 2002, P. 30.
 - Mondy, R. and R. Premeaux., Management, Boston, U.S.A.: Houghton Mifflin, 1995. P. 90 .
 - Robbins, P., Management, New Jersey, U.S.A.: Englewood Cliffs, 1994. P. 496 .
 - Stephens, Denise & Russell, Keith, Organizational Development and Leadership, Change, and the Future of Libraries. -Library Trends. - Vol. 53, No. 1 (Summer 2004), P. 249 .

من أنشطة المركز
خلال النصف الأول من عام 2015

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

من أنشطة المركز خلال النصف الأول من عام 2015

تابع المركز في النصف الأول من عام 2015، تنفيذ مشروعاته وبرامجه المقررة للدورة المالية 2015-2016 على النحو التالي:

أولاً: المشروعات والبرامج:

1. مشروع التأليف والترجمة والتعريب للكتب والمراجع العلمية والمؤلفات الثقافية والتربوية

1.1 تم إصدار الكتب التالية:

- أ. إدارة الكوارث
- ب. التدريب الفعال
- ج. هندسة المستشفيات
- د. دليل البحث العلمي في العلوم الصحية
- هـ. دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب

2.1 كتب في قيد الإصدار:

- أ. مدخل إلى ضمان جودة الأدوية
- ب. دراسات قانونية في الأخلاقيات الطبية والحيوية
- ج. تغذية الإنسان
- د. Product Design and Development
- هـ. Principles of Macroeconomics

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

2. مجلة المركز:

يجري العمل حالياً على تسلم الدراسات الخاصة بالعدد 49 الذي يتوقع صدوره في ديسمبر عام 2015.

3. مشروع تزويد الجامعات والمؤسسات التي تعمل في مجال التعريب بمطبوعات المركز:

تم استكمال مشروع دعم مكتبات الجامعات والمؤسسات العلمية بمطبوعات المركز وهي:

- اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو - لبنان

- مشفى المواساة الجامعي - سورية

- الجامعة اللبنانية الدولية - لبنان

4. مشروع المشاركة في المعارض والأنشطة العربية والدولية

شارك المركز بعرض إصداراته في المعارض التالية من خلال توكيل دار الملايين

للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع:

- معرض القاهرة الدولي للكتاب 2015/1/28

- معرض مسقط الدولي للكتاب 2015/2/25

- معرض أربيل الدولي للكتاب 2015/4/2

ثانياً: أنشطة المركز خارج البرامج:

- أصدر المركز ملصقاً بمناسبة الأول من آذار يوم العربية تحت شعار الترجمة جسر

التواصل بين الحضارت.

- قام المركز بالمراجعة العلمية والتدقيق اللغوي، لستة كتب للكلية الجامعية للعلوم التطبيقية

بغزة تنفيذاً للاتفاقية الموقعة معها.

- رشح المركز كتاب "التدريب الفعال" للمنافسة على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

قواعد النشر في المجلة

تتشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

1. ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدّما للنشر في أي من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.

2. أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمثانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.

3. ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستعمال برنامج مايكروسوفت word بمسافات مزدوجة بين الأسطر، وترسل نسخة إلكترونية (قرص مٌتراص CD) أو بالبريد الإلكتروني إلى عنوان المركز acatap2@gmail.com ويراعى في حجمها ألا يتجاوز عدد صفحاتها 20/ صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة)، وأن تكون المادة خالية من الأخطاء الإملائية.

4. تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه، مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.

5. ترفق المادة المقدمة للنشر بنبذة من سيرة المؤلف متضمنة اسمه بالعربية وبالحروف اللاتينية مع عنوانه البريدي الكامل.

6. تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

- بُنِّت للمصادر والمراجع المستعملة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.
7. تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها، على أوراق منفصلة بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة، ويقدم كل شكل أو رسم على ورقة منفصلة بحجم الورق المستعمل في كتابة نص المادة على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص.
8. تُعرَّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرَّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.
9. تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لا يتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:
- أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.
 - أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.
 - ألا يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات / 2000 كلمة/.
 - أن يصحَّب العرض معلوماتٌ ببيوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.
10. يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسليم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على النشر، وذلك خلال شهرين من تاريخ تسلم المجلة لها.
11. تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها، ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.

قواعد النشر في المجلة

12. يحق للمجلة - إذا رأت ضرورة لذلك - إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.

13. يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.

14. تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.

15. لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

16. إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17. تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى 200/ دولار أمريكي.

18. تعتذر هيئة التحرير عن نشر أية مقالة لا تلتزم بالشروط الواردة آنفاً.

19. ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور زيد العساف مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العنوان:

التعريب العدد الثامن والأربعون - حزيران (يونية) 2015م

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق — ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 (11 — +963)

فاكس: 3330998 (11 — +963)

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap2@gmail.com

الموقع على الإنترنت: www.acatap.org

